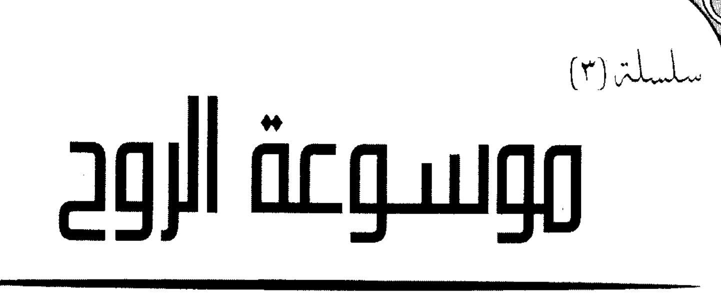


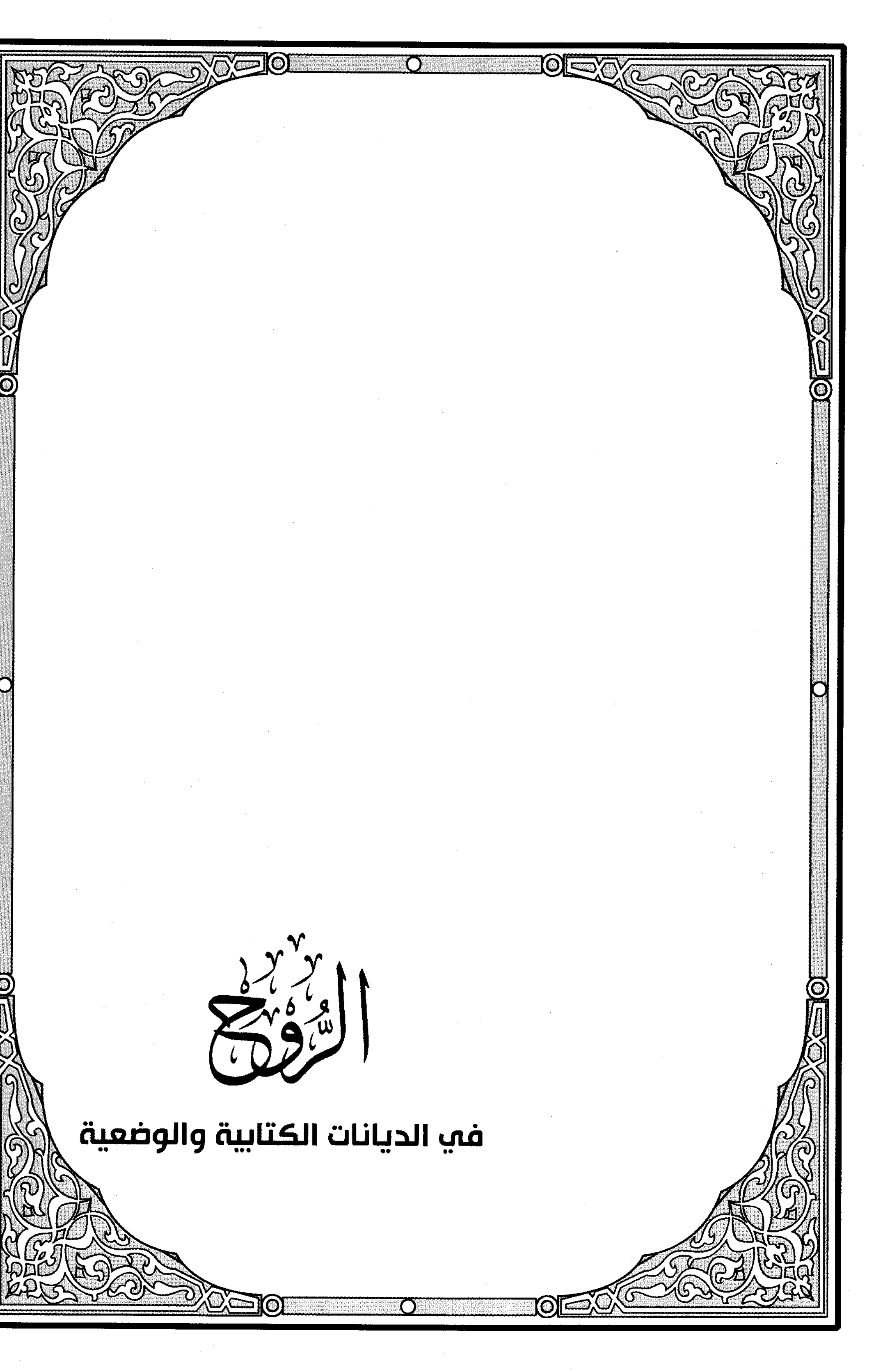


في الديانات الكتابية والوضعية

تأليف

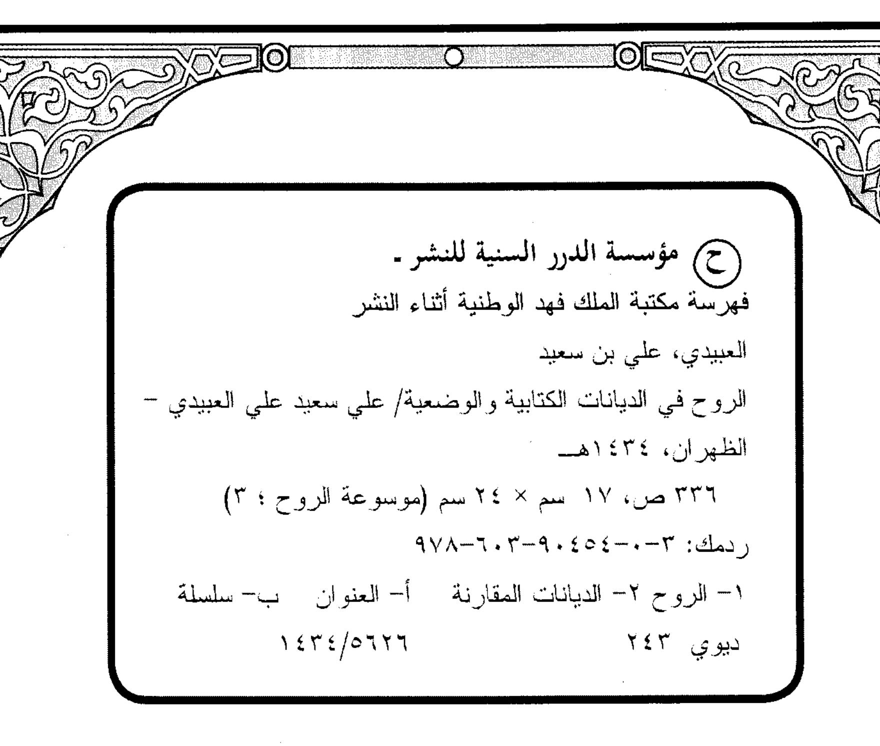
د. علي بن سعيد العبيدي


إهداء
إليك أبي
علي بن سعيد



الرُّوح

في الديانات الكتابية والوضعية



ح مؤسسة الدرر السنية للنشر .

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

العبيدي، علي بن سعيد

الروح في الديانات الكتابية والوضعية/ علي سعيد علي العبيدي - الظهران، ١٤٣٤هـ

٣٣٦ ص، ١٧ سم × ٢٤ سم (موسوعة الروح ؛ ٣)

ردمك: ٣-٠-٩٠٤٥٤-٦٠٣-٩٧٨

١- الروح ٢- الديانات المقارنة أ- العنوان ب- سلسلة

ديوي ٢٤٣ ١٤٣٤/٥٦٢٦

رقم الإيداع: ١٤٣٤/٥٦٢٦

ردمك: ٣-٠-٩٠٤٥٤-٦٠٣-٩٧٨

الطبعة الأولى

١٤٣٤هـ

الدرر السنية

www.dorar.net

مؤسسة الدرر السنية - المملكة العربية السعودية

ص. ب ٣٩٣٦٤ الظهران ٣١٩٤٢ - جوال: ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠

ت: ٠٣٨٦٨٠١٢٣/فاكس: ٠٣٨٦٨٢٨٤٨ - بريد إلكتروني nashr@dorar.net

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على المبعوث رحمة للناس أجمعين -محمد بن عبد الله - وعلى آله وأصحابه الطيبين الطاهرين، ومن اقتفى أثرهم واتبع طريقتهم إلى يوم الدين.

أما بعد

فيعد هذا الكتاب ثالث كتبي[١] التي تكلمت فيها عن الروح في الديانات والمذاهب المختلفة، وقد ذكرت فيه العقيدة في الروح عند أهل الكتابين من اليهود والنصارى، وكذا عند من يلحق بهم من المجوس والصابئة إذ كان لهم شبهة كتاب.

كما ذكرت فيه العقيدة في الروح عند أصحاب الديانات الوضعية والفلسفية، فشمل الكلام الحديث عن الروح عند أصحاب الديانة الهندوسية، والجينية، والبوذية، والكونفوشيوسية، وكذا الحديث عنها عند قدماء المصريين، وفي الفلسفات اليونانية والرومانية، وعند مشركي العرب.

وسيلحظ القاري كيف أن اليهود والنصارى - وهم أهل كتاب - قد بنوا معتقدهم في الروح على أصول محرفة، فكانت عقائدهم في الروح مضطربة فيما بينهم وغير مطمئنة، خاصة وأن بعضها مصادم لوحي السماء، كما سيلحظ أن بعض الفرق الإسلامية قد تأثرت ببعض عقائد اليهود خاصة في مسألة الرجعة ذات الأصول الوضعية.

كما سيلحظ أن عقائد المجوس والصابئة في الروح توحي بأن لها أصلاً سماوياً،

---

(١) سبقه كتابان بعنوان: ((الروح عند أهل السنة والجماعة))، و((الروح عند أهل الكلام والفلسفة))، ويتبعه كتاب بعنوان: ((الروح في المذاهب والدعاوى المعاصرة)).

وأن ديانة قدما المصريين في الروح والمعاد أكثر الديانات الوضعية السبع المتأثرة بأصل سماوي، وأن عقائد الفلسفة اليونانية والرومانية هي المعين الذي استقى منه الفلاسفة الإسلاميون كثيراً من عقائدهم الروحية.

وقد جعلت هذا الكتاب في بابين، وأحد عشر فصلاً:

الباب الأول

الروح في الديانات الكتابية ومن له شبهة كتاب

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الروح عند اليهود.

الفصل الثاني: الروح عند النصارى.

الفصل الثالث: الروح عند المجوس.

الفصل الرابع: الروح عند الصابئة.

الباب الثاني

الروح في الديانات الوضعية

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: الروح في الديانة الهندوسية.

الفصل الثاني: الروح في الديانة الجينية.

الفصل الثالث: الروح في الديانة البوذية.

الفصل الرابع: الروح في الديانة الكونفوشيوسية.

الفصل الخامس: الروح عند قدماء المصريين.

الفصل السادس: الروح في الفلسفات اليونانية والرومانية، وفيه ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العقائد اليونانية المتعلقة بالروح.

المبحث الثاني: العقائد الرومانية المتعلقة بالروح.

المبحث الثالث: آراء الفلاسفة في الروح.

الفصل السابع: الروح عند مشركي العرب.

الخاتمة، والفهارس.

هذا والله الموفق، والهادي إلى سبيل الرشاد.

وكتبه
الدكتور علي بن سعيد العبيدي
جامعة الملك خالد – أبها
١/ ١/ ١٤٣٤هـ

aliabeedi@Gmail.com

aliabeedi@Hotmail.com





الباب الأول

الروح في الديانات الكتابية ومن له شبهة كتاب

وفيه أربعة فصول:

الفصل الأول: الروح عند اليهود.

الفصل الثاني: الروح عند النصارى.

الفصل الثالث: الروح عند المجوس.

الفصل الرابع: الروح عند الصابئة.



الفصل الأول

الروح عند اليهود

اليهود: هم الذي يزعمون أنهم أتباع موسى - عليه السلام - وكتابهم الذي يقوم عليه دينهم ويستقون منه عقائدهم هو العهد القديم(١)، إضافة إلى التلمود(٢)، وهو أكثر أهمية وأشد قداسة من التوراة(٣) عندهم(٤).

وعقيدة اليهود في أصلها حق وصدق، سواء ما يتعلق بالروح وما يتصل بها من أمور مغيبة أو غير ذلك، وهي لا تخالف القرآن الكريم ولا الكتب المقدسة التي أنزلها الرب - تعالى - على النبيين - عليهم السلام - ذلك أن أمور العقيدة بين النبيين ثابتة لا اختلاف فيها من لدن آدم -عليه السلام- وحتى محمد -عليه الصلاة والسلام-.

أما وقد طرأ على كتبهم السماوية الأصل التحريف والتغيير؛ فلا يمكن الجزم بصحة ما يذكرونه فيها عن الروح وما يتصل بها كغيرها من المسائل العقدية،

---

(١) العهد القديم: هو مجموعة الأسفار التي كتبت قبل عهد عيسى عليه السلام، وهو عبارة عن ديوان من النثر يحتوي النصوص الأساسية التي يقوم عليها دين اليهود في القديم والحديث، وينقسم إلى ثلاثة أقسام: التوراة، والأنبياء، والكتب.
انظر: ((المدخل لدارسة التوراة والعهد القديم)) (ص ١١١)، ((والتراث الإسرائيلي في العهد القديم)) (ص ٣٥)، و((الكتب المقدسة في ميزان التوثيق)) (ص ٥٨).

(٢) التلمود: هو القانون الشفهي الذي نقله الحاخامات بزعمهم عن موسى عليه السلام جيلًا بعد جيل، دوِّن في آخر القرن الخامس الميلادي، وهو المجال التطبيقي للتوراة.
انظر: ((موسوعة الأديان الميسرة)) (ص ١٨٥)، و((الأسفار المقدسة قبل الإسلام)) (ص ٤١).

(٣) التوراة: هي الأسفار الخمسة الأولى من كتاب العهد القديم، وقد يطلق لفظ التوراة على العهد القديم من باب إطلاق الجزء على الكل.
انظر: ((المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم)) (١١١ - ١١٢)، و((التوراة بين الوثنية والتوحيد)) (ص ١٠).

(٤) انظر: ((الأسفار المقدسة قبل الإسلام)) (ص ٤٩).

لكن كما هي القاعدة: أنه ما وافق الحق الذي جاء به القرآن والسنة فإنا نقبله، وما خالفهما فإنا نرده، وما لم يتبين لنا حاله فإنا نتوقف فيه.

وإذا كان اليهود هم أرباب التحريف وزعماء التغيير والتبديل في أهم قضايا العقيدة: وهو توحيد الرب - تعالى - والإيمان به وبرسله وباليوم الآخر وغير ذلك من أركان الإيمان، فإن حصول التبديل والتغيير فيما دون ذلك حاصل ولا شك.

آراء اليهود وعقائدهم في الروح:

ثم إني قد وقفت على جملة من آراء اليهود وعقائدهم في الروح وما يتصل به، ويمكن سياق ذلك في النقاط الآتية:

١ - اعتقادهم بوجود الروح وكونها إلهية المصدر:

فمن الشواهد الواردة في التوراة الحالية ما جاء في سفر الجامعة: «فيرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها»[١].

ومنها ما جاء في سفر حزقيال: «... يا ابن آدم أتحيا هذه العظام؟ هأنذا أدخل فيكم روحاً فتحيون، وأضع عليكم عصباً وأكسيكم لحماً وأبسط عليكم جلداً وأجعل فيكم روحاً فتحيون وتعلمون أني أنا الرب»[٢].

ومنها ما جاء في سفر التكوين: «فهاأنا آتٍ بطوفان الماء على الأرض؛ لأهلك كل جسد فيه روح حياة من تحت السماء، كل ما في الأرض يموت»[٣].

ومنها ما جاء في سفر أيوب: «فاسأل البهائم فتعلمك، وطيور السماء فتخبرك، أو كلم الأرض فتعلمك، ويحدثك سمك البحر، من لا يعلم من كل هؤلاء أن يد

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٩٨٤)، سفر الجامعة (١٢: ٧).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ١٢٣٦)، سفر حزقيال (٣٧: ٤ - ٦).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص ١١)، سفر التكوين (٦: ١٧).

الرب صنعت هذا، الذي بيده نفس كل حي وروح كل البشر؟»[1].

بل كان الله تعالى - يدعى في التوراة إله أرواح جميع البشر، جاء ذلك في سفر العدد ففيه: «فكلم موسى الرب قائلاً: ليوكِّل الرب إله أرواح جميع البشر رجلاً على الجماعة»[2].

فهذه النصوص المستقاة من العهد القديم تفيد اعتقاد اليهود بالروح التي تكون بها الحياة والمسماة بـ»النفس الناطقة».

٢- النفس جوهر روحاني مجرد عن الجسمية:

هذا تعريف بعض علمائهم، ومنهم ابن كمونة اليهودي العبراني[3]، فقد عرَّف النفس بأنها: جوهر ليس بجسم ولا جزئه ولا حالٍّ فيه، وله تعلُّق بالجسم من جهة التدبير له والتصرف فيه والاستكمال به»[4].

ويشرح ابن كمونة هذا التعلق فيقول: «ليس تعلُّق النفس بالبدن تعلُّقاً يقتضي فسادها بفساده، وبعد الموت قد تتعلق النفس بشيء من الأجسام، ويحصل لها وهي في ذلك الجسم لذَّات عقلية، أو آلام عقلية، مع اللذات والآلام الحسية الحاصلة بسبب التعلق بالجسم»[5]، مشيراً بهذا القول إلى إمكان التناسخ.

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٨٠٤)، سفر أيوب (١٢: ٧ - ١٠).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٢٦٠) سفر العدد (٢٧: ١٥، ١٦).

(٣) **سعد بن منصور بن سعد بن الحسن هبة الله المعروف بابن الكمونة اليهودي**، من مصنفاته: ((تذكرة في الكيمياء، وتنقيح الأبحاث في الملل الثلاث)) ، توفي سنة (٦٨٣هـ).
انظر: ((نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام)) (ص ٢٢٩)، ((والجديد في الحكمة)) (ص ١١٥)، و((الأعلام)) (٣/ ١٣٩).

(٤) انظر: ((الجديد في الحكمة)) لابن كمونة (ص ٤٠٩)، ((عن نظرية السعادة)) (ص ٢٣٠)، و((حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب)) (ص ٢١٧).

(٥) انظر: ((الجديد في الحكمة)) لابن كمونة (ص ٤٠٩)، ((عن نظرية السعادة))، (ص ٢٣٠)، و((حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب)) (ص ٢١٧).

وعرَّفها سعديا الفيومي[١] بقوله: «جوهر عقلي صافٍ، أصفى من جوهر الكواكب والأفلاك، ونحن لسنا نراها حسّاً»[٢].

٣- لفظة «نسم الحياة» وكذا النفس ترادف لفظة «الروح»:

وهذا في بعض النصوص، فالروح التي بوجودها تكون الحياة وبفراقها يكون الموت، جاءت بلفظ «نسم الحياة» كما في سفر التكوين في قصة خلق آدم -عليه السلام- ففيه: «وجَبَلَ الربُّ الإلهُ آدمَ تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حية»[٣].

فذكر نفخ نسمة الحياة في أنف آدم -عليه السلام- وأن النافخ هو الرب -تعالى- وقد تقدم الكلام على مسألة: هل باشر الله - تعالى - النفخ أم لا؟ عند ذكر عقائد السلف في الروح.

وترد النفس في بعض النصوص والمراد بها الروح كما يفهم من ظاهر النص الآتي من سفر يونان ففيه: «فالآن يا رب خذ نفسي مني؛ لأن موتي خير من حياتي»[٤].

وقد ترد النفس بغير المعنى الآنف الذِّكر[٥]، فترد بمعنى الدم، كما في سفر

---

(١) **سعديا أو سعدي بن يوسف الفيومي**، نسبة إلى فيوم مصر موطنه الأصلي، طبق صيته الخافقين، كان معظم سعيه مناضلة القرائين ومحاربتهم، من مصنفاته: ((ترجمة للعهد القديم، والأمانات والاعتقادات))، توفي سنة (٩٤٢م).
انظر: ((نزهة المشتاق في تاريخ يهود العراق)) (ص ١٢١ – ١٢٢)، و((موسوعة فلاسفة ومتصوفة اليهودية)) (ص ١٣٢).

(٢) ((الأمانات والاعتقادات)) (ص ١٦٦) ((عن نزهة المشتاق)) (ص ٢٨٦).

(٣) ((الكتاب المقدس)) (ص ٤)، سفر التكوين (٢: ٧).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص ١٣١٧)، سفر يونان (٤: ٣).

(٥) انظر: ((حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب)) (ص ٧٣).

التثنية «لا تأكل النفس مع اللحم»[١].

وتأتي بمعنى صورة الإنسان كما في سفر أرميا: «حَيٌّ هو الرب الذي صنع لنا هذه النفس»[٢].

وتأتي بمعنى الإرادة، ففي سفر المزامير: «ولا يسلمه إلى نفوس أعدائه»[٣]. أي: لا يسلمه إلى إرادتهم...

إلى غير ذلك من المعاني.

٤- لفظة «الروح» في التوراة لها إطلاقات متعددة:

فقد جاءت بكثرة وبدلالات مختلفة تفهم من سياق الكلام، فجاءت والمراد بها:

أ- الروح الذي به الحياة وبفراقه الموت، وشواهد ذلك كثيرة، وأكتفي منها بما تقدم في العنصر الثاني.

ب- جاءت والمراد بها النَّفس:

ففي سفر صموئيل الأول في بعض قصص داود - عليه السلام -: «... فصادفوا رجلاً مصرياً في الحقل فأخذوه إلى داود وأعطوه خبزاً وسقوه ماءً، وأعطوه قرصاً من التين، وعنقودين من الزبيب فأكل ورجعت روحه إليه؛ لأنه لم يأكل خبزاً ولا شرب ماءً في ثلاثة أيام وثلاث ليالٍ»[٤]، فمعناها: أنه عاد إليه تنفسه من جديد[٥].

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٢٠٠)، سفر التثنية (١٢: ٢٣).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ١٣٨)، سفر أرميا (٣٨: ١٦).

(٣)((المصدر السابق)) (ص ٨٦١)، سفر المزامير (٤١: ١ -٢)، وفي بعض الألفاظ (مرام أعدائه).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٤٧٩)، سفر صموئيل الأول (٣٠: ١١، ١٢).

(٥) انظر: ((الروح بين الدين والفلسفة)) (ص ٨٩).

ج- جاءت والمراد بها الحكمة:

ففي سفر الأمثال جاء في أمثال سليمان - عليه السلام -: «الحكمة تنادي في الخارج... ارجعوا عند توبيخي، هأنذا أفيض لكم روحي، أعلمكم كلماتي»[١]، أي حكمته وعلمه.

د- جاءت والمراد بها الشريعة:

ففي سفر العدد «فقال الرب لموسى: اجمع إلي سبعين رجلاً من شيوخ إسرائيل الذين تعلم أنهم شيوخ الشعب وعرفاؤه، وأقبل بهم إلى خيمة الاجتماع فيقفوا هناك معك، فأنزل أنا وأتكلم معك هناك وآخذ من الروح الذي عليك، وأضع عليهم، فيحملوا معك ثقل الشعب فلا تحمل أنت وحدك، وللشعب تقول: تقدسوا للغد...»[٢]، فالروح هنا هو التكليف بأوامر الشريعة[٣].

هـ- جاءت والمراد بها الغرض والإرادة:

ففي سفر أشعياء: «ويهرق روح مصر في داخلها وأبيد مشورتها»[٤]، أي تتبدد إرادتها[٥].

....وقد تأتي بغير هذه المعاني.

٥ - الإنسان يتألف من روح ونفس وجسد:

ويستدل على هذا بما جاء في سفر المزامير: «أبارك الرب الذي نصحني...،

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (٩٢٧ – ٩٢٨)، سفر الأمثال (١: ٢٠ – ٢٣).

(٢) ((المصدر السابق)) (٢٢٩ – ٢٣٠)، سفر العدد (١١: ١٦ – ١٨).

(٣) انظر: ((النصرانية في ميزان العقل والإسلام)) (ص ٢٥).

(٤) ((الكتاب المقدس)) (ص ١٠١٣) سفر أشعياء (١٩: ٣).

(٥) انظر: ((حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب)) (ص ٧٤).

لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي، جسدي أيضاً يسكن مطمئناً؛ لأنك لن تترك نفسي في الهاوية»[١].

ومن هنا قالوا: «كيان الإنسان بحسب الوضع والتركيب الإلهي هو من جسد وروح ونفس، كما أيدت هذه الحقيقة شواهد وآيات كتب الله المقدسة»[٢].

ومما جاء في قاموس الكتاب المقدس تفسيراً لهذا التركيب الثلاثي قولهم: «**الجسد**: هو الجزء المادي في تكوين الإنسان، أما النفس فهي عنصر الحياة الحيوانية، وفيها يشترك الإنسان مع الحيوان، عليها يتوقف الفهم والحركة والحساسية، وهي تتوقف عند الموت.

والروح: هي العقل؛ العنصر الخالد، مصدر الإرادة والضمير، خلق الله الإنسان بإعطاء حياة للجسد الذي صوَّره ثم بخلق روحٍ عاقلةٍ وهبها الإنسان»[٣].

ولكن هذا التقسيم الثلاثي ليس محل اتفاق عند اليهود - بل ولا النصارى -؛ بسبب الترادف أحياناً بين لفظي النفس والروح بحيث تدل كل منها على النفس الناطقة، جاء في قاموس الكتاب المقدس: «في كثير من الأحيان تستعمل لفظة «الروح» في الكتاب بدل «النفس»، ولفظة «النفس» بدل «الروح»؛ ولهذا يعتقد كثيرون أن هناك عنصرين فقط في الإنسان: الجسد ويشمل النفس الإنسانية، والروح»[٤].

ومن اليهود الذين قالوا بالثنائية في الإنسان: اليهود الحسيديم[٥]؛ حيث

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٨٤٢)، سفر المزامير (١٦: ٧ - ١٠).

(٢) ((حقيقة البيان في وجود الخالق وكيان الإنسان)) (ص ٤٤).

(٣) ((قاموس الكتاب المقدس)) (ص ٤١٤).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٤١٤).

(٥) **الحسيديم**: جماعات يهودية ظهرت في فترات مختلفة من تاريخ اليهود، تزعمها «بعل شم طوب» في القرن الثاني عشر الميلادي، ويسميها بعض المؤرخين طائفة الأتقياء، والحسيديم من اليهود الأرثوذكس إلا أنهم يخالفونهم في الممارسات الدينية والسلوك والتقاليد واللغة، يسكن أغلبهم =

يقولون: «يتميز الإنسان في أنه يقف على رجليه ورأسه إلى السماء، وهذا يرمز إلى ما يتمتع به من روحانية بطبيعة خلقه، إذ إن طبيعته تتكون من عنصرين متعارضين هما: الروح والجسد، وبهذا التعارض يتميز الإنسان عن غيره من المخلوقات، فهو من ناحية الجسم يكون مرتبطاً بهذا العالم المادي، أما من ناحية الروح فهو مرتبط بالعالم العلوي (أي عالم الروح) وهذا التركيب فريد، إذ يوجد في الإنسان وحده دون غيره...»[١].

فالحاصل: أن تركيب الإنسان مختلفٌ فيه؛ بسبب النصوص الواردة في العهدين، فمن قائل بالتركيب الثلاثي، ومن قائل بالثنائي، والقول بالثنائية في الإنسان وعدم التفريق بين الروح والنفس هو - فيما يظهر - الصواب، كما تقدم الكلام عليه عند ذكر عقائد السلف في الروح.

٦ - اعتقادهم بحدوث الروح واعتقاد بعضهم بقدمها:

تقدم اعتقادهم بوجود الروح وكونها إلهية المصدر مخلوقة، إلا أن التلمود يقرر قدم الأرواح قدماً نسبياً فيقول: «خُلِقَت كل الأرواح في الستة أيام الأولى للخليقة، ووضعها الله في المخزن العمومي في السماء، ويُخرِجُ منها عند اللزوم، أي كلما حملت امرأة ولداً»[٢].

والاعتقاد بحدوث الروح هو الحق، وأما القدم فباطل، وقد تقدم إيضاح ذلك.

وجاء في التلمود ما يفيد قدم الروح اليهودية مطلقاً وكونها جزء من الله، ففيه: «تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من

= الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل.

انظر: ((اليهود الحسيديم)) (٥، ٦)، و((اليهود في عصر المسيح)) (ص ٣٠).

(١) Ibid. p. 10 بالإحالة عن ((اليهود الحسيديم)) (٥٩ – ٦٠).

(٢) ((الكنز المرصود في قواعد التلمود)) (ص ٦٦).

والده»[١]، وفيه «أرواحكم مصدرها روح الله»[٢].

وهذا كفر وباطل، وقد تقدم أن حدوث الروح هو الحق وخلافه لا يصح.

٧ - اعتقاد طوائف منهم أن روح آدم -عليه السلام- جزء من الله:

يزعم التلمود: «أن روح آدم -عليه السلام- جزء من روح الله؛ فلهذا فهو ابنه على الحقيقة لا على المجاز فقط»[٣]. ويستدلون على ذلك بما جاء في سفر التكوين: «قال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا»[٤]، وأيضاً: «وقال الرب الإله: هو ذا الإنسان قد صار كواحد منا»[٥].

وهذا من الأباطيل التي أدخلها اليهود في دينهم.

٨ - اعتقادهم بتميز أرواح اليهود عن سائر الناس:

فعندهم أن أرواح اليهود تتميز عن أرواح غيرهم من بني آدم، وهذا من أعظم ما شذت به يهود، وله تأثير على سلوكياتهم ونظرتهم للشعوب والأمم، ولا عجب من هذه الدعوى، فهم أرباب الدعاوى الباطلة، وقد ادعوا أنهم أبناء الله وأحباؤه، وأنهم شعب الله المختار[٦]، وأن الجنة لهم دون العالمين.

جاء في التلمود: «نحن شعب الله المختار، وقد أوجب علينا أن يفرقنا لمنفعتنا؛ ذلك لأنه لأجل رحمته ورضاه لنا سخر لنا الحيوان الإنساني وهم كل الأمم

---

(١) ((الكنز المرصود في قواعد التلمود)) (ص ٦٦).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٧٥).

(٣) ((المدخل لدراسة التوارة والعهد القديم)) (ص ٣٤٠).

(٤) ((الكتاب المقدس)) (ص ٤)، سفر التكوين (١: ٢٦).

(٥) ((المصدر السابق)) (ص ٧)، سفر التكوين (٣: ٢٢).

(٦) ادعاء اليهود أنهم شعب الله المختار تزخر به أسفار العهد القديم وله تأثير على سلوكياتهم، واستعلائهم واستعدائهم على الآخرين.

انظر: ((التلمود)) (كوهن) (ص ١١٥ فما بعد)، و((اليهود تاريخ وعقيدة)) (ص ١٦٨ فما بعد)، و((أوهام التاريخ اليهودي)) (٢٦٠ فما بعد).

والأجناس؛ لأنه يعلم أننا نحتاج إلى نوعين من الحيوان: نوع أخرس كالدواب والأنعام، ونوع ناطق كالمسيحيين وغيرهم، فسخرهم لنا ليكونوا في خدمتنا، وفرقنا في الأرض لنمتطي ظهورهم ونمسك بعنانهم ونستخرج أموالهم لمنفعتنا»(١).

فإذا كان الإنسان روحاً وجسداً قد سُخِّرَ فيما يدعي اليهود لهم، فإن هذا يعني تميز اليهود روحاً وجسداً على غيرهم، وهذا هو الحاصل، وقد أسفروا عن هذا المعتقد في تلمودهم، ويمكن تلخيص مظاهر هذا التميز المزعوم في النقاط الآتية:

أ- **حصرهم أرواح اليهود في ستمائة ألف**، وعن هذا التميز العددي المزعوم يقول التلمود: «خلق الله ستمائة ألف روح يهودية...؛ لأن كل فقرة من التوراة لها ستمائة ألف تأويل، وكل تأويل يختص بروح من هذه الأرواح!»(٢).

ب- **تجدد الروح اليهودية**، ففي التلمود: «وفي كل يوم سبت تتجدد عند كل يهودي روح جديدة على روحه الأصلية، وهي التي تعطيه الشهية للأكل والشرب»(٣).

ج- **أرواحهم إلهية المصدر وأما غيرهم فالنجاسة:**

جاء في التلمود: «تتميز أرواح اليهود عن باقي الأرواح بأنها جزء من الله، كما أن الابن جزء من والده، ومن ثم كانت أرواح اليهود عزيزة عند الله بالنسبة لباقي الأرواح؛ لأن الأرواح غير اليهودية هي أرواح شيطانية، وشبيهة بأرواح الحيوانات»(٤).

ويقول أحد مشائخهم: «أيها اليهود، إنكم من بني البشر!؛ لأن أرواحكم

---

(١) ((المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم)) (ص ٢٤٨).
(٢) ((الكنز المرصود)) (ص ٦٦).
(٣) ((المصدر السابق)).
(٤) ((المصدر السابق)).

مصدرها روح الله، وأما باقي الأمم فليست كذلك؛ لأن أرواحهم مصدرها الروح النجسة»[١].

وهم يحتقرون كل ما يتصل بالمسيح - عليه السلام - وبالنصارى فيقولون: «الوثنيون (المسيحيون) يوسخون العالم؛ لأن أرواحهم خرجت من الشق النجس» و«من الشق النجس تخرج أرواح المسيحيين»[٢].

وجاء في تعاليم اليهود أن الله خلق طبيعتين: إحداهما طيبة والأخرى شريرة، أو طاهرة ونجسة، وعلى صعيد الشق النجس تحدرت أرواح المسيحيين[٣].

وفي الباب نصوص أخرى أتركها طلباً للاختصار.

٩ - اعتقاد طوائف منهم بخلود الروح وأخرى بموتها:

تضطرب طوائف اليهود في قضية بقاء الأرواح وخلودها، فبينما يذهب الفريسيون[٤] إلى القول ببقاء الروح بعد الموت، يذهب الصدوقيون[٥] إلى القول بفنائها وموتها مع الجسد[٦].

---

(١) ((الكنز المرصود)) (ص ٧٥).

(٢) ((أصلح الأديان للإنسانية)) (ص ٧١).

(٣) انظر: ((فضح التلمود)) (ص ٩٧).

(٤) **الفريسيون**: فرقة أو مذهب يهودي، والكلمة معناها: المنفصلون أو المنعزلون، كانوا لا يقبلون سوى التوراة بأسفارها الخمسة، يؤمنون بالدينونة والمعاد الأخروي.
انظر: ((موسوعة الأديان الميسرة)) (ص ٣٩٤).

(٥) **الصدوقيون**: أتباع صادوق، شكلوا طبقة أرستقراطية عريضة الثراء، ركزوا على التوراة، وهم لا يؤمنون بالقيامة، وينكرون الجن والملائكة والقضاء والقدر وغير ذلك.
انظر: ((موسوعة الأديان الميسرة)) (ص ٣٣١ - ٣٣٢).

(٦) انظر: ((اليهودية والمسيحية)) (ص ١٨٧، ١٩٠)، و((المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم)) (ص ٢٤٥، ٢٥٥)، و((دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية)) (ص ١٤٣)، و((الفكر الديني اليهودي)) (ص ٢١٦).

ومما يستدل به اليهود عموماً على أن الروح لا تفنى بفناء الجسد قول زكريا -عليه السلام-: «يقول الرب باسط السموات ومؤسس الأرض وجابل روح الإنسان في داخله»[١].

وقد علق على النص سعديا الفيومي اليهودي فقال: «عرَّفنا ربنا تبارك وتعالى أنه مبتدئ نفس الإنسان في قلبه، مع كمال صورة جسمه، وأنه جعل أجلاً لمقامهما مجتمعين، فإذا انقضى فرَّق بينهما، إلى أن يتم عود النفوس التي أوجبت حكمته خلقها، فإذا استتمها جمع بينها وبين أجسامها وجازاهم»[٢].

١٠- اعتقادهم بحياة البرزخ:

ذهب بعض الكُتَّاب إلى أن علماء بني إسرائيل لا يعترفون بأن في القبر سؤالاً ونعيماً وعذاباً، ولا يعترفون بحياة للأموات في قبورهم، وإنما يكون ذلك يوم القيامة[٣].

وهذا لا يسلم على إطلاقه، فقد تحدث عن حياة البرزخ نساء يهود في عهد النبوة، فهذه امرأة من يهود تدخل على أم المؤمنين عائشة - رضي الله عنها - فتذكر عندها عذاب القبر وتقول: «أعاذك الله من عذاب القبر»، فسألت عائشة رسول الله ﷺ عن عذاب القبر؟ فقال: ((**نعم، عذاب القبر حق**))[٤].

فهذا النص يفيد أصل ثبوت هذا المعتقد عند اليهود.

وقد جاء في كتب اليهود على ما فيها من تحريف ما يفيد حياة البرزخ، فهم

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ١٣٥١)، سفر زكريا (١٢: ١).

(٢) ((الأمانات والاعتقادات)) (ص ١٦٦)، ((عن حياة القبور)) (ص ٢٨٦).

(٣) انظر: ((حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب)) (ص ٥٥).

(٤) **صحيح**، أخرجه **البخاري** في ((كتاب الجنائز))، باب: ما جاء في عذاب القبر (١/ ٤٦٢ برقم ١٣٠٦).

يعتقدون ابتداءً أن فراق الروح الجسد عامٌّ لكل الناس، جاء في سفر أيوب: «يسلم الروح كل البشر جميعاً، ويعود الإنسان إلى التراب»[١].

ثم هم يعتقدون ذهاب الروح بعد ذلك إلى الهاوية: وهي مكان الأموات، وفيها يقع القصاص ويكون الثواب والعقاب، فقد جاء في قاموس الكتاب المقدس: «الهاوية في الأصل: مكان الأموات، وهي ترجمة كلمة «شئول» العبرانية، وشئول هذه: اسم موضع مجهول آمن الساميون على مختلف شعوبهم بوجوده، واعتبروه عالماً قائماً بذاته»[٢]. وهو العالم الأسفل والقبر[٣].

وإليك جملة من النصوص التي ذكرت الهاوية ضمن أسفار التوراة، ففي التثنية: «أنه قد اشتعلت نار بغضبي فتتقد إلى الهاوية السفلى»[٤].

وفي المزامير: «أين أذهب من روحك؟ ومن وجهك أين أهرب؟ إن صعدت إلى السموات فأنت هناك، وإن فرشت في الهاوية فها أنت»[٥].

وفي عاموس: «لا يهرب منهم هارب ولا يلتفت منهم ناجٍ، إن نقبوا إلى الهاوية فمِنْ هناك تأخذهم يدي، وإن صعدوا إلى السماء فمِنْ هناك أُنزلهم...»[٦].

وفي أيوب: «الأرواح ترتعد من تحت المياه وسكونها، الهاوية عُريانة قدامه والهلاك...»[٧].

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٨٢٤)، سفر أيوب (٣٤: ١٥).

(٢) ((قاموس الكتاب المقدس)) (ص ١٠٠٧).

(٣) انظر: ((أوهام التاريخ اليهودي)) (ص ١٩٠).

(٤) ((الكتاب المقدس)) (ص ٣٣٢)، سفر التثنية (٣٢: ٢٢).

(٥) ((المصدر السابق)) (ص ٩٣٠)، المزامير (١٣٩: ٧).

(٦) ((المصدر السابق)) (ص ١٣١٢)، سفر عاموس (٩: ١ – ٣).

(٧) ((المصدر السابق)) (ص ٨١٦)، سفر أيوب (٢٦: ٥).

وجاء في صفات الهاوية أنها تحت الأرض، ولها أبواب، وهي مظلمة، وإليها تذهب جميع أرواح الموتى بدون استثناء، وفيها يجري العقاب، وفيها يعطى الثواب[١].

وزَعْمُ أن الهاوية مقر جميع الأرواح دون استثناء باطلٌ، وينقضه أن «هناك حالات لم تذهب فيها أرواح بعض الموتى إلى «شئول» مثل حزقيا، وبعضهم مثل الياهو صعد إلى السماء»[٢].

وتوحيد دار القرار بعد الموت باطل في دين المسلمين، ومنافٍ للعدالة الإلهية، وللفطرة والعقل، وقد تقدم بسط الكلام في هذا ضمن عقائد السلف.

هذا بعض ما وقفت عليه من عقائد اليهود في البرزخ، وهي عقائد كما ترى مقتضبة جداً بالقياس إلى ما جاء في عقائد المسلمين التي فصَّلت أحوال البرزخ بما لا مزيد عليه.

ويُفهَم من النصوص السابقة أن العذاب واقع على الأرواح دون الأجساد التي تعود بعد الموت إلى التراب، وهم لا يتعرضون لهذا في قضية البرزخ.

وقد جاء في التعاليم الشفهية ما يبين بعض أحوال الروح بعد فراق البدن، فذكرت: «أن الروح عندما تغادر الجثة ينتج عنها صوت صارخ»[٣].

وذكرت: أن الصلة بين الروح والبدن لا تنقطع بالموت مباشرة، بل هناك محاولات للروح تحاول فيها العودة إلى جسدها الذي تتركه بعد أيام لفساده، ففي التلمود: «أما بعد الموت فتحلِّق الروح على الجثة ثلاثة أيام، تنوي الرجوع إليها، ولكنها

---

(١) انظر: ((قاموس الكتاب المقدس)) (ص ١٠٠٧).

(٢) ((أوهام التاريخ اليهودي)) (ص ١٩١).

(٣) ((التلمود تاريخه وتعاليمه)) (ص ٧٨).

عندما ترى أن شكل الوجه تغير تتركها وتذهب بعيداً»[١].

وجاء في التلمود: أن الأجساد الميتة تتصل بها أرواح جديدة مع نهاية كل أسبوع وبداية آخر - إن صح التعبير - ففيه: «إن مساء كل جمعة تدخل روح جديدة في الأجسام الميتة في القبر، وتبقى حتى انتهاء السبت حيث تغادر الجسم، ولزم إثبات هذه الروح الجديدة بسبب الرغبة المتزايدة في الأكل والشرب»[٢].

وهذا الذي جاء في التعاليم الشفهية لا يُعرَفُ في دين المسلمين.

١١- اعتقاد طوائف منهم بالمعاد والمجازاة على الأعمال:

إذا كان البعث في المفهوم الإسلامي الصحيح هو إعادة الإنسان بعد موته بروحه وجسده، كما كان عليه في الدنيا للحساب والمجازاة، فإن هذا المفهوم لا يوجد اليوم في الديانة اليهودية عند كثير من الباحثين كما سيأتي.

وعقيدة اليهود في الآخرة عقيدة غير واضحة، بل هي فكرة مضطربة نراها في التوراة لا تعدو إشارات يسيرة غامضة؛ ولهذا لم يتضح ما إذا كانت الجنة وثوابها والنار وجحيمها في الدنيا أم في الآخرة؟ وهي في التلمود فكرة غريبة جداً أقرب إلى الخرافة والأساطير، وهي عند علمائهم وأحبارهم تقترب في بعض الجوانب من عقيدة الإسلام[٣].

ولا يخفى أن عقيدة اليهود في المعاد في مبتداها في عهد موسى -عليه السلام- هي عقيدة صحيحة ثابتة، ثم طرأ عليها التحريف بعده، قال تعالى حكاية لقول موسى -عليه السلام-: ﴿وَٱكْتُبْ لَنَا فِى هَٰذِهِ ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ إِنَّا هُدْنَآ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف: ١٥٦]. وكان مؤمن آل فرعون الذي دافع عن موسى - عليه

---

(١) ((التلمود تاريخ وتعاليمه)) (ص ٧٧).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٧٨).

(٣) انظر: ((اليوم الآخر في الأديان السماوية والديانات القديمة)) (ص ٦١).

السلام - يعرف هذه العقيدة، وقد أثبت الله - سبحانه - قوله في القرآن كما حكاه الحق - تعالى -: ﴿يَٰقَوْمِ إِنَّمَا هَٰذِهِ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا مَتَٰعٌ وَإِنَّ ٱلْءَاخِرَةَ هِىَ دَارُ ٱلْقَرَارِ ﴿٣٩﴾ مَنْ عَمِلَ سَيِّئَةً فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَٰلِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَٰٓئِكَ يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ يُرْزَقُونَ فِيهَا بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ [غافر: ٣٩-٤٠]. فهذه العقيدة معلومة وثابتة فيما جاء به موسى -عليه السلام- كما قال الله -تعالى-: ﴿بَلْ تُؤْثِرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿١٦﴾ وَٱلْءَاخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿١٧﴾ إِنَّ هَٰذَا لَفِى ٱلصُّحُفِ ٱلْأُولَىٰ ﴿١٨﴾ صُحُفِ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ﴾ [الأعلى: ١٦ - ١٩]. وقد جاء في السنة ما يفيد علم أحبار اليهود عن الآخرة وبتفاصيل جلية واضحة، ففي صحيح مسلم: أن ثوبان مولى رسول الله ﷺ قال: كنت قائماً عند رسول الله ﷺ فجاء حبرٌ من أحبار اليهود فقال: السلامُ عليك يا محمد. فدفعته دفعة كاد يُصرع منها، فقال: لم تدفعني؟ فقلت: ألا تقول: يا رسول الله؟ فقال اليهودي: إنما ندعوه باسمه الذي سماه به أهله. فقال رسول الله ﷺ: ((**إن اسمي محمدٌ الذي سمّاني به أهلي**)). فقال اليهودي: جئت أسألك. فقال له رسول الله ﷺ: ((**أينفعك شيء إن حدثتك؟**)). قال: أسمع بأذني. فنكت رسول الله ﷺ بعودٍ معه. فقال: ((**سل**)). فقال اليهودي: أين يكون الناس يوم تُبدَّل الأرض غير الأرض والسموات؟. فقال رسول الله ﷺ: ((**هم في الظلمة دون الجسر**)). قال: فمَنْ أول الناس إجازة؟ قال: ((**فقراء المهاجرين**)). قال اليهودي: فما تحفتهم حين يدخلون الجنة؟ قال: ((**زيادة كبد النون**)). قال: فما غذاؤهم على إثرها؟ قال: ((**يُنحر لهم ثور الجنة الذي كان يأكل من أطرافها**)). قال: فما شرابهم عليه؟ قال: ((**من عينٍ فيها تُسمى سلسبيلاً**)). قال: صدقت. قال: وجئت أسألك عن شيء لا يعلمه أحد من أهل الأرض إلا نبي أو رجل أو رجلان. قال: ((**ينفعك إن حدثتك؟**)). قال: أسمع بأذني. قال: جئت أسألك عن الولد، قال: ((**ماء الرجل أبيض وماء المرأة أصفر، فإذا اجتمعا فعلا مَنيُّ**

الرجلِ منيَّ المرأة أذكرا بإذن الله، وإذا علا منيُّ المرأة منيَّ الرجل أنَّثا بإذن الله)).
فقال اليهودي: لقد صدقت، وإنك لنبيٌّ. ثم انصرف فذهب. قال رسول الله ﷺ:
((لقد سألني هذا عن الذي سألني عنه وما لي علمٌ بشيء منه حتى أتاني الله به))(١).

فهذه الأدلة تدل - دون شك ولا ريب - على أن اليهود لديهم علم عن البعث والمجازاة.

لكن هذه الصورة الواضحة الناصعة لم يحفظها اليهود، بل حصل عندهم انحرافات في تصوراتهم للآخرة، وقد حكى ذلك القرآن الكريم، ومن ذلك زعمهم أن الجنة حكرٌ عليهم وإخوانهم من النصارى كما قال الحق حكايةً عنهم: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا أَوْ نَصَـٰرَىٰ ۗ تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ ۗ قُلْ هَاتُواْ بُرْهَـٰنَكُمْ إِن كُنتُمْ صَـٰدِقِينَ ﴿١١١﴾ بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُۥ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُۥٓ أَجْرُهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ١١١-١١٢]. ولم يستقم لهم هذا المعتقد طويلاً حتى بدأ بعضهم يعيب على بعض ويطعن فيه كما قال الحق: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ لَيْسَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ عَلَىٰ شَىْءٍ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَىٰ لَيْسَتِ ٱلْيَهُودُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُمْ يَتْلُونَ ٱلْكِتَـٰبَ ۗ كَذَٰلِكَ قَالَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ مِثْلَ قَوْلِهِمْ ۚ فَٱللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ فِيمَا كَانُواْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ [البقرة: ١١٣]. ولما علموا أن هناك ناراً تصلى العصاة قال اليهود: ﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعْدُودَةً ۚ قُلْ أَتَّخَذْتُمْ عِندَ ٱللَّهِ عَهْدًا فَلَن يُخْلِفَ ٱللَّهُ عَهْدَهُۥٓ ۖ أَمْ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨٠﴾ بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَـٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ ﴿٨١﴾ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّـٰلِحَـٰتِ أُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلْجَنَّةِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [البقرة: ٨٠-٨٢]. وهكذا تجارت بهم البدع والانحرافات، حتى ظهر فيهم من ينكر البعث الذي به تعود الأرواح إلى أجسادها ويقوم فيه

---

(١) صحيح، أخرجه مسلم في كتاب الحيض، باب صفة مني الرجل والمرأة (١/ ٣١٥ برقم ٣١٥).

الناس لرب العالمين، ويعقبه حساب وجزاء على الأعمال بالجنة أو النار، وقد جاء في الكتاب المقدس: أن يهود انقسمت إلى طائفتين: إحداهما: الصدوقيون، وهؤلاء ينكرون القيامة، والأخرى: الفريسيون وهم على الضد (بغض النظر عن صحة تصورهم لحقيقة البعث والقيامة)، ففيه: «... حدثت منازعة بين الفريسيين والصدوقيين وانشقت الجماعة؛ لأن الصدوقيين يقولون: إنه ليس قيامة ولا ملاك ولا روح، وأما الفريسيون فيقرون بكل ذلك»[١].

فالصدوقيون والفريسيون أشهر الطوائف التي انقسمت إليها يهود وبينهم تضاد، خاصة في مسألة البعث والحساب[٢]، وأما طوائف اليهود الأخرى فأكثرهم على الإثبات[٣].

وعند القول بأن هناك طوائف من اليهود تثبت البعث فلا يلزم من هذا صحة تصورهم فيما يثبتون، فإن الكثير منهم على الاعتقاد بأن اليوم الآخر وما يكون فيه من ثواب وعقاب إنما يقع في الحياة الدنيا، وعليه فيعود المثبت في النهاية كالنافي في البداية، إذ لا بعث عندهم على الحقيقة، وإنما هي تصورات خاطئة بثها المحرفون المفسدون للأديان فأُشْرِبَها من أُشْرِبَها منهم.

يقول الدكتور سعدون الساموك: «لم تذكر التوراة نصاً واضحاً يدل على فكرة البعث والنشور في حياة أخرى، أو لدار العقاب ودار الثواب في العالم الآخر،

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٢٢٤)، أعمال الرسل (٢٣: ٧، ٨).

(٢) انظر: ((الأثر الفارسي الهندي في التوراة)) (ص ٦٤٢)، و((أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة)) (ص ٢١).

(٣) انظر: ((اليهود الحسيديم)) (ص ٦٧ فما بعد، ٨٧)، و((الأثر الفارسي الهندي في التوراة)) (ص٦٤٢)، و((اليهودية والمسيحية)) (ص ١٨٧)، و((اليهود تاريخ وعقيدة)) (ص ٢٠٤)، و((الفكر الديني اليهودي)) (ص ٢٢٧)، و((المدخل لدراسة التوراة)) (ص ٢٦٣)، و((دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية)) (ص ١١٨).

فالثواب والعقاب زمني في الدار الدنيا»[١]. وهذا ما قرره جمع من الباحثين[٢].

يقول أحدهم: «لم يؤمن اليهود بحساب أخروي، ولم يأتِ في التوراة ما يفيد ذلك، وكل ما ورد إنما هو حساب دنيوي»[٣].

النصوص التي أشارت إلى البعث:

وإليك طرفاً من النصوص التي جاءت بالإشارة إلى البعث:

١- جاء في سفر التثنية: «أكرم أباك وأمك كما أوصاك الربُّ إلهُك لكي تطول أيامك، ولكي يكون لك خير على الأرض التي يعطيك الربُّ إلهُك، لا تقتل...»[٤].

٢- وجاء فيه: «احفظوا وصايا الربِّ إلهِكم وشهادته وفرائضه التي أوصاكم بها، واعمل الصالح والحسن في عيني الرب؛ لكي يكون لك الخير وتدخل وتمتلك الأرض الجيدة التي خلق الرب لآبائك أن ينفي جميع أعدائك من أمامك كما تكلم الرب»[٥].

٣- وفيه: «وإن سمعت سمعاً لصوت الرب إلهك لتحرص أن تعمل بجميع وصاياه التي أنا أوصيك بها، اليوم يجعلك الرب... مباركاً تكون في المدينة، ومباركاً تكون في الحقل، ومباركة تكون ثمرة بطنك، وثمرة أرضك وثمرة بهائمك... ويبارك في الأرض التي يعطيك الربُّ إلهك، ويقيمك الرب لنفسه

---

(١) ((مقارنة الأديان)) (ص ١٢٠).

(٢) انظر: ((أخلاق اليهود)) (ص ٢١)، و((اليوم الآخر والحياة المعاصرة)) (ص ٣٦)، و((دراسة في الأديان اليهودية والنصرانية)) (ص ١١٨)، و((الأثر الفارسي الهندي في التوراة)) (ص ٦٩٢)، و((مختصر الموت)) (ص ٢٧).

(٣) ((الأثر الفارسي الهندي في التوراة)) (ص ٦٤).

(٤) ((الكتاب المقدس)) (ص ٢٨٨)، سفر التثنية (٥: ١٦).

(٥) ((المصدر السابق)) (ص ٢٨٩)، سفر التثنية (٦: ١٧ - ١٩).

شعباً مقدساً كما حلف لك إذا حفظت وصايا الرب إلهك وسلكت في طرقه... ولكن إن لم تسمع... تأتي عليك جميع هذه اللعنات وتدركك، ملعوناً تكون في المدينة، وملعوناً تكون في الحقل، يلحق بك الرب الوباء حتى يبيدك عن الأرض التي أنت داخل إليها لكي تمتلكها، يضربك الرب بالسل والحمى والبرد والالتهاب والجفاف واللفح والذبول فتتبعك حتى تفنيك، وتكون سماؤك التي فوق رأسك نحاساً، والأرض التي تحتك حديداً، ويجعل الرب مطر أرضك غباراً وتراباً...»[١].

وعلى مثل هذه النصوص التي تفيد أن الثواب والعقاب دنيوي لا أخروي يمكن حمل عبارات من ذهب إلى أن العهد القديم لم يمس العالم الآخر من قريب أو بعيد[٢].

لكن بما أن أصل عقيدة اليهود في الآخرة ثابتة بنص القرآن، ووجد في عهد النبوة من اليهود من يذكر بعض تفاصيلها كأنما يتكلم بالوحي، وبما أن اليهود عايشوا شيئاً من الوحي المنزل على محمد ﷺ وفيه ذكر للبعث وأحوال الآخرة وبصورة مفصلة، ولم توجد منهم معارضة لهذه الغيبيات كما عارضوا في أمور أخرى كالرجم، ولم يسألوا عنها كما سألوا عن الروح وهم أهل الشغب ومتتبعو العثرات، فإن هذه الأمور ـ مجتمعةً - تدل على اعتقاد اليهود بالبعث في الجملة، وربما كان عند أحبارهم في عصر النبوة علم مفصل فكتموه أو حرَّفوه كما صنع أسلافهم، وعليه فيصح القول بأن أسفار العهد القديم لابد أن يكون قد ورد فيها ما يشير إلى البعث ولو بصورة مشوهة، وهذا هو الحاصل، وقد يُحمل عليه قول من قال: إن اليهود يؤمنون بالبعث.

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٣٣٢ – ٣٣٣)، سفر التثنية (٢٨: ١ – ٢٣).

(٢) انظر: ((اليهود تاريخ وعقيدة)) (ص ١٦٧).

النصوص التي أشارت إلى البعث:

وإليك طرفًا من النصوص التي جاءت بالإشارة إلى البعث:

١- جاء في سفر دانيال: «كثيرون من الراقدين في تراب الأرض يستيقظون، هؤلاء إلى الحياة الأبدية وهؤلاء إلى العار للازدراء الأبدي»[١].

يذكر الدكتور كامل سعفان أن أول إشارة إلى البعث لا نكاد نجدها قبل سفر دانيال، وأن هذا النص دليل على تحول في العلاقات السياسية والثقافية، أو دليل على ما أصاب التوراة من تحريف وتزييف، إذ إنه أثر الاتصال بالديانة الزرادشتية زمن الأسر الطويل، إبان الاتصال بالفرس[٢].

وإذا كان البعث كما هو معلوم من دين المسلمين عام لجميع الخلائق، فإن هذا النص المشوه يذكر بعث الكثير فقط، فصح أن يكون إشارة إليه.

٢- جاء في سفر التثنية: «أليس ذلك مكنوزاً عندي مختوماً عليه في خزائني؟ لي النقمة والجزاء في وقت تزل أقدامهم، إن يوم هلاكهم قريب والمهيّآت لهم مسرعة»[٣].

يقول السامريون: إن هذا النص يدل على القيامة، وإن العبرانيين حرفوه إلى يوم الجزاء، وقد يكون يوماً من أيام هذه الحياة الدنيا[٤].

٣- جاء في سفر إشعياء: «تحيا أمواتك، تقوم الجثث، استيقظوا ترنموا يا سكان التراب»[٥]. فالخطاب لأهل القبور، وهو إشارة إلى البعث القومي وعودة

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ١٢٨٥)، سفر دانيال (١٢: ٢).

(٢) انظر: ((اليهود تاريخ وعقيدة)) (ص ١٦٧ – ١٦٨).

(٣) ((الكتاب المقدس)) (ص ٢٢٢)، سفر التثنية (٣٢: ٣٤، ٣٥).

(٤) انظر: ((اليوم الآخر في الأديان السماوية)) (ص ٥٣).

(٥) ((الكتاب المقدس)) (ص ١٠٢١)، سفر إشعياء (٢٦: ١٩).

اليهود إلى أرضهم[١].

فهذه الإشارات وما دار في فلكها من نصوص التوراة لا تعطي صورة واضحة مطمئنة عن البعث الذي قرره الوحي عند المسلمين، وما كان من نصوص صريحة أو شبه صريحة في البعث عند اليهود فإنها قد تُنْقَض بغيرها، ويشهد لذلك: التناقض الحاصل في نسخ التوراة نفسها، فإن «التوراة التي بأيدي السامريين تختلف في بعض الآيات عن التوراة التي بأيدي العبرانيين، ومن الآيات المختلف فيها: النص على يوم القيامة، فهو في التوراة السامرية صريح للغاية، وهو في التوراة العبرانية يحتمل معنيين: إما الجزاء في الدنيا، وإما الجزاء في الآخرة»[٢].

ما صرح به التلمود:

وأما تلمود اليهود ففيه التصريح بالنعيم الذي ينتظر اليهود، وبالجحيم الذي ينتظر سواهم، فمما جاء فيه: «النعيم مأوى الأرواح الزكية، ولا يدخله إلا اليهود، ويأكل المؤمنون في النعيم لحم زوجة الحوت المملحة، ولحم ثور بري كبير جداً، ولحم طير كبير لذيذ، ولحم أوز سمين للغاية، وشراب من النبيذ القديم المعصور ثاني يوم خلق فيه العالم.

وأما الجحيم فهو مأوى الكفار، ولا نصيب لهم فيه إلا البكاء، وهو مأوى المسلمين والمسيحيين خالدين فيه أبداً[٣].

وذكروا أن الإسرائيليين المذنبين سيذهبون مع الأجانب إلى نار الجحيم، وسيمكثون فيها اثني عشر شهراً تحرق أرواحهم، وسوف تثير الرياح أجزاءهم

(١) ((اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري)) (ص ١٥٩).
(٢) ((يقظة أولي الاعتبار)) (ص ٧).
(٣) انظر: ((الكنز المرصود)) (ص ٦٨) و((أخلاق اليهود)) (ص ٢٢).

تحت نعال الصالحين[١].

وفي هذه العقائد أخذٌ بأقوال حاخامات اليهود وأحبارهم الذين ذكر القرآن مقولتهم من ادعائهم أن الجنة لهم دون العالمين، وأن النار لن تمسهم إلا أيام قلائل ثم يخرجون، وبالطبع يبقى غيرهم في النار.

ومما جاء في التلمود: «ساعة توبة في الدنيا أنفع من جميع دار الآخرة، إذ لا توبة فيها». وأيضاً: «إن دار الآخرة إنما الحياة فيها بالنور، وليس مع ذلك طعام ولا شراب ولا غشيان ولا تناسل ولا شراء ولا بيع، ولا سائر الأمور التي في الدنيا، وإنما ثواب من نور الخالق - عز وجل -»[٢].

وهذه النصوص أكثر صراحة في تقرير الآخرة.

ما صرح به علماء اليهود:

وأما علماء اليهود الذين تكلموا في البعث والثواب والعقاب، فعباراتهم أكثر وضوحا، وبعضها أقرب إلى روح الإسلام - كما سترى بعد قليل -.

ولعل من أبرز من تكلم في هذه القضايا الحاخام سعديا الفيومي من علماء القرن العاشر، فهو يقول: «عرّفنا ربنا تبارك وتعالى أنه قد أعد زماناً لمجازاة الصالحين، وفيه يفصل بينهم وبين الكافرين... وأقام لنا على ذلك الآيات والبراهين فقبلناها»[٣].

وقد ذكر للبعث حججاً عقلية وأخرى نقلية، وتكلم عن قضية الثواب والعقاب الأخروي، وقرر أنه سيكون للروح والجسد، وأن نعيم الآخرة حسي

---

(١) انظر: ((أخلاق اليهود)) (ص ٢٣).

(٢) ((حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب)) (٢٨٢ – ٢٨٣).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص ٢٨٠)، وقد ذكر نصاً بالعبرية ترجمه المؤلف إلى العربية.

للبدن والروح معاً، ولا تُعلَمُ كيفيته لكونه من نور الله، وشرع في ذكر أدلة من التوراة تصرح بالنعيم الحسي والعذاب الحسي.

كما تحدث عن مكان الثواب والعقاب، فقرر أن المثابين والمعاقبين أجساداً وأرواحاً لابد لهم من مكان يستقرون عليه، ومحيط يحيط بهم فيخلقه الخالق ويسكنهم فيه، وقد ذكرته الكتب –يعني كتب اليهود– لكنها سمته سماءً وأرضاً[1].

والإيمان بالقيامة أحد أركان الإيمان عند اليهود، حيث عده موسى بن ميمونيدس[2] الأصل الثالث عشر من الأصول التي وضعها وجعلها أركاناً للإيمان اليهودي، فقال: «أنا أؤمن إيماناً كاملاً بقيامة الموتى، في الوقت الذي تنبعث فيه بذلك إرادة الخالق تبارك اسمه وتعالى ذكره الآن وإلى أبد الآبدين»[3].

ويقول فيلسوف اليهود سعد بن كمونة: «إنه من المعتقد لدى اليهود أن ثواب الطاعة هو الخلود في نعيم الجنة، وإن عقاب المعصية هو العذاب في جهنم من غير خلود لمعتقد هذه الشريعة، وإن كان عاصياً، على أنه لم يبين شيئاً من ذلك في التوراة تبياناً صريحاً، لكن نقله أحبار الأمة وعلماؤهم، ونقله شرعهم بالغين إلى درجة الاستقصاء في ذكر الجنة والنار ووصف النعيم والعذاب»[4].

وأختم بكلام الحاخام المعاصر دافيد زكي ليشع[5]، حيث كتب ملخَّصاً لعقائد

---

(١) انظر: ((حياة القبور بين المسلمين وأهل الكتاب)) (٢٧٩ – ٢٨٤).

(٢) **موسى بن عبدالله القرطبي الأندلسي (ميمونيدس)**، تعلم الطب وبرع فيه، ظل يهودياً مع تظاهره بالإسلام، من مصنفاته: دلائل الحائرين، ورسالة في الردة، توفي سنة (٦٠٥هـ).
انظر: ((أخبار الحكماء)) (ص ٢٠٩)، و((ذيل كشف الظنون)) (ص ٣٠٥)، و((الأعلام)) (٨/ ٢٨٤).

(٣) ((الفكر الديني اليهودي)) (ص ١٣٥).

(٤) ((ابن كمونة البغدادي أعماله وآراؤه)) (ص ١٩٠).

(٥) معاصر ذكر في مقدمة كتابه أنه لما رأى أهل عصره مقصرين في التمسك بأهداب التوارة وخشي =

الإسرائيليين القرائين[١]، وفي العقيدة السادسة قال ما يشبه كلام المسلمين ونص كلامه: «نعتقد باليوم الآخر، وهو يوم البعث والنشور، أعني: إعادة الموتى إلى الحياة بإعادة أرواحهم إليهم بعد إخراجهم من قبورهم، وعودة الأجسام إلى ما كانت عليه، سواء أكانت في بطون الأرض أم في قاع البحار.

فهذا اليوم هو يوم الحساب، يحاسب الإنسان على ما قدمت يداه من خير أو شر، طاعة أو معصية، فمن كان عمله صالحاً نُقِل بإذن الله إلى دار النعيم، لينال ما تشتهيه الأنفس من الفوز العظيم مقروناً بإجلال وإكرام، ويكون من الخالدين في هذه الدار.

أما من كان عمله سيئاً نُقِلَ إلى دار العقاب، لينال الذل والعذاب والآلام بما يستحق عقاباً ليس له نظير دائماً وبلا انقطاع، حتى يعفو الله عنه - وهو الرحمن الرحيم - إن كان يستحق العفو»[٢].

واستشهد لذلك بآيات من التوراة وقال بعد تفسيرها: «وبما أن يوم البعث والنشور حق، فيجب علينا حينئذ الاعتقاد بصحته»[٣].

هذا نص كلامه، وفيه تفاصيل جيدة، لكن هل البعث عندهم عام أم خاص؟،

= اندثارها في الأجيال القادمة، كتب هذه الرسالة الملخصة لطائفته من القرائين، مستعيناً بما كتبه علماؤهم، وقد شاركه في كتابه هذا الحاخام يوسف إبراهيم يمطوب.
انظر: ((مقدمة كتابه المرشد الأمين)) (ص ٥).

(١) **القرائون**: فرقة يهودية ظهرت في القرنين السابع والثامن للميلاد، أبرز شخصياتها عوبديا ابن عيسى نادى بأخذ التوراة دون التلمود، وكل ما أضافه الحاخامات، كان هناك صراع بينهم وبين سائر فرق اليهود، واستمر نشاطهم حتى القرن السابع عشر ثم تقلص في أوربا وأمريكا وبدأ ينحصر مع بروز الحركة الصهيونية.
انظر: ((موسوعة الأديان الميسرة)) (ص ٤٠٧).

(٢) ((المرشد الأمين)) (١٠ - ١١).

(٣) نفس المصدر (ص ١١).

لم يذكر هذا، إلا أنه استشهد لكلامه الأخير بنص دانيال المتقدم وفيه أن البعث للكثرة.

وإنما أسهبت بعض الشيء في ذكر التقسيمات والنقولات المتقدمة حتى يُعلَمَ أن القول بأن اليهود ينكرون الآخرة، أو أنهم يثبتونها هكذا بإطلاق قول غير سديد، وأن القول الصواب والأقرب إلى الحق ذكر التفاصيل السابقة، وخلاصتها: أنَّ عقيدة اليهود في البعث وعودة الأرواح إلى الأجساد للحساب والجزاء كانت عقيدة صافية، تطابق ما جاء به القرآن والسنة، وذلك في زمن موسى -عليه السلام-.

ثم بدأت تظهر بوادر الانحراف تارة بادعاء الخصوصية في الجنة، وتارة بنشر المفاهيم الخاطئة عن داخلي النار منهم، وتارة بالتكذيب والتشكيك فيما عليه الآخرون -أعني النصارى-.

وتبعاً لذلك، ومع تعاقب الأعوام وحصول التحريف في التوراة ظهر الإنكار الواضح من بعض طوائفهم، كما ظهر الإثبات المشوَّه؛ ولذا فمن وقف على نصوص التوراة في هذه القضية وجدها نوعين: نوعا أفاد إثبات البعث لكنه بعث دنيوي، ونوعا أفاد البعث الأخروي بإشارة ينتابها الغموض والقصور، وإن كان البعض قد يعتبرها نصاً في البعث.

وأما التلمود فكان أكثر وضوحاً وصراحة من التوراة في تقرير الآخرة -مع ما فيه من الخرافة والأساطير-.

أما ما أُثِرَ عن علماء اليهود فيما بعد ظهور الإسلام فكان أكثر وضوحاً وجلاءً في إثبات عقيدة البعث في الجملة.

١٢ – اعتقادهم بالرجعة بعد الموت:

هذه من العقائد المكينة عند يهود فهم «يقولون برجعة الروح لبعض الناس بعد

الموت، فيعودون بنفس أجسادهم إلى الحياة»[١].

وقد ذكر الشهرستاني تجويز اليهود للرجعة وذكر لهم حجتين فقال: «أما جواز الرجعة فإنما وقع لهم من أمرين، أحدهما: حديث عزير – عليه السلام – إذ أماته الله مائة عام ثم بعثه، الثاني: حديث هارون – عليه السلام –: إذ مات في الثنية، وقد نسبوا موسى إلى قتله بألواحه، قالوا: حسده!!؛ لأن يهود كانوا أميل إليه منهم إلى موسى، واختلفوا في حال موته، فمنهم من قال: إنه مات وسيرجع، ومنهم من قال: غاب وسيرجع»[٢].

ويُفْهَم من النصين الآنفين أن العودة خاصة بالمذكورين: عزير وهارون -عليه السلام- لكن ألا يمكن أن يزعم اليهود الرجعة لأنفسهم بعد الموت – سيما وبعضهم على الاعتقاد بالعبث الدنيوي –؟ بلى، وقد وجدت العقاد يذكر أن اليهود دانوا بالعودة إلى الدنيا في آخر الزمان، وأن غيرهم من الأمم لا يعودون[٣]. وهذا لا يستبعد فهو قليل بجنب ادعائهم أنهم أبناء الله وأحباؤه!!

١٣ – اعتقاد طوائف منهم بتناسخ الأرواح وتقمصها:

هذه العقيدة ليست واسعة الانتشار عند اليهود، والقائل بها منهم قلة، وأصل التقمص عندهم يُعزَى «إلى الفرق اليهودية الصوفية التي ظهرت في القرن الثالث قبل الميلاد، والتي تعرف باسم «القَباليين»... ولا يؤثرون في التوجهات الدينية العامة للطوائف اليهودية الرئيسية التي تقول بالتقمص، ولا تعده ركناً من أركان إيمانها»[٤].

يقول أحد الحاخامات – مؤكداً رسوخ عقيدة التناسخ عند طائفته الآنفة الذكر –:

---

(١) ((في العودة للتجسد)) (ص ٥٨).

(٢) ((الملل والنحل)) (١/ ٢١٢).

(٣) انظر: ((أبو الأنبياء الخليل إبراهيم)) (ص ٢١١).

(٤) ((صوت داهش)) (ص ٢٣).

«تناسخ النفوس عقيدة ثابتة غير منقوصة تؤمن بها جميع فصائل كنيسنا بصوت واحد وبلا تحفظ»[١].

وهذه الفكرة قال بها أيضاً من اليهود: الحسيديم، وقد أخذوها عن القبلاه[٢] وقد فُسِّرَت بعض عبارات التوراة على أنها إشارة إلى التناسخ، نحو ما جاء في سفر الجامعة «جيل يمضي وجيل يأتي»[٣]. بل إن بعض الأحكام في الشريعة اليهودية فسرته في ضوء التناسخ كأحكام الذبح[٤].

ولليهود الحسيديم فلسفة عريضة في التناسخ[٥].

وكان أصحاب التلمود قد قرروا هذه العقيدة، فقالوا بتناسخ أرواح اليهود، إلا أن ظاهر فلسفتهم فيه يفيد أن التناسخ ليس على مرتبة واحدة، ويمكن تقسيمهم إلى فريقين:

أ- **اليهود المرتدين**: هؤلاء تتناسخ أرواحهم لأسفل ثم إلى الجحيم.

جاء في التلمود: «اليهود الذين يرتدون عن دينهم بقتلهم يهودياً فإن أرواحهم تدخل بعد موتهم في الحيوانات أو النباتات، ثم تذهب إلى الجحيم وتُعذَّب عذاباً أليماً مدة اثني عشر شهراً، ثم تعود ثانياً وتدخل في الجمادات، ثم في الحيوانات، ثم

---

(١) ((صوت داهش)) (ص ٢٣).

(٢) **القبّالة**: فرقة أو مذهب يهودي أساسه الأفكار التلمودية، تعود نشأتها إلى سمعان بن يوشاي، تأثرت القبالة بالفلسفات الهندية والفارسية واليونانية والإشراقية، لهم كتاب اسمه: الزوهار يعني النور أو الضياء، ولايزال لهم وجود اليوم لكنهم قلة مبعثرة في شتى أنحاء العالم.
انظر: ((موسوعة الأديان الميسرة)) (ص ٤٠٢)، و((صوت داهش)) (ص ٢٣).

(٣) ((الكتاب المقدس)) (ص ٩٧٣)، سفر الجامعة (١: ٤)، بلفظ: دور يمضي ودور يجيء، والأرض قائمة إلى الأبد».

(٤) انظر: ((اليهود والحسيديم)) (ص ٦٤).

(٥) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ٦٤ — ٦٨).

في الوثنيين، ثم ترجع إلى جسد اليهودي بعد تطهيرها»[١].

ب- **اليهود غير المرتدين**: هؤلاء تتناسخ أرواحهم في أجسام البشر.

جاء في التلمود: «بعد موت اليهودي تخرج روحه وتشغل جسماً آخر، فإذا مات أحد الجدود مثلاً تخرج روحه وتشغل أجسام نسله الحديثي الولادة» ثم يعددون أنواعاً من التناسخات الماضية فيقولون: «دخلت روح يافث في جسد شمشون، وروح ثار في أيوب، وروح حواء في إسحاق... إلخ»[٢].

ولما تكلم الإمام الألوسي - صاحب التفسير - عن التناسخية وشرح مذهبهم قال: «وإن ما تقوله اليهود الآن قريب من هذا، فإن عندهم أن الميت تنتقل روحه إلى غيره ثلاث مرات، أي تنتقل من شخص إلى آخر، ثم إذا مات تنتقل إلى آخر ثم إلى ثالث ثم إلى ما شاءالله تعالى من الأماكن على ما ذكر لي أحد علمائهم»[٣].

والهدف من التناسخ تطهير النفس وإعطاؤها الفرصة للصلاح[٤]، ويدَّعون أن الله فعله رحمةً باليهود؛ لأنه أراد أن يكون لكل يهودي نصيب من الحياة الأبدية[٥].

وهذه من الدعاوى الحالمة عند اليهود كعادتهم، ولا أصل لها، كما أنه لا أصل للتناسخ المزعوم، وقد تقدم إبطاله والرد على القائلين به.

١٤- اعتقادهم بتحضير الأرواح:

يذكر الدكتور كامل سعفان أن القَبَّالة ترتبط «بعدد من العلوم السحرية

---

(١) ((الكنز المرصود)) (ص ٦٧).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٦٦ - ٦٧).

(٣) ((الآيات البينات في عدم سماع الأموات)) (ص ٨٣).

(٤) انظر: ((دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية))، (ص ١٤٣ - ١٤٤).

(٥) ((الكنز المرصود)) (ص ٦٦ - ٦٧).

مثل: التنجيم، والسيمياء، والفراسة، وقراءة الكف، وعمل الأحجبة، وتحضير الأرواح...»[١].

وتحضير الأرواح من الأمور التي جاء ذكرها في التوراة، يقول أحد الباحثين: «إحضار أرواح الموتى طريقة عرفتها التوراة، فقد أحضرت امرأةٌ صاحبةُ جانٍّ روح صموئيل لملك بني إسرائيل شاول»[٢].

وقد أشار إلى أن هذه الحادثة جاءت في سفر صموئيل الأول ولم يذكرها، وأنا أسوقها إليك بعد الوقوف عليها في مصدرها؛ لكونها أحد البراهين التي قد يستدل بها مُدَّعو تحضير الأرواح من اليهود وغيرهم، فكان مما جاء: «فقال شاول لعبيده: فتشوا لي على امرأة صاحبةِ جانٍّ فأذهب إليها وأسألها. فقال له عبيده: هوذا امرأة صاحبة جان في عين دور. فتنكر شاول ولبس ثياباً أخرى، وذهب هو ورجلان معه وجاءوا إلى المرأة ليلاً. وقال: اعرفي لي بالجان وأصعدي لي من أقول لك، فقالت له المرأة: هوذا أنت تعلم ما فعل شاول، كيف قطع أصحاب الجان والتوابع من الأرض، فلماذا تضع شركاً لنفسي لتميتها؟ فحلف لها شاول بالرب: حي هو الرب، إنه لا يلحقك إثم في هذا الأمر. فقالت المرأة: من أصعد لك؟ فقال: أصعدي لي صموئيل. فلما رأت المرأة صموئيل صرخت بصوت عظيم، وقالت لشاول: لماذا خدعتني وأنت شاول؟ فقال لها الملك: لا تخافي، فماذا رأيت؟ فقالت المرأة لشاول: رأيت آلهة يصعدون من الأرض. فقال لها: ما هي صورته؟ فقالت: رجل شيخ صاعد وهو مغطى بجبة. فعلم شاول أنه صموئيل، فخر على وجهه على الأرض وسجد. فقال صموئيل لشاول: لماذا أقلقتني بإصعادك إياي؟

(١) ((اليهود تاريخ وعقيدة)) (ص ٢١٧).

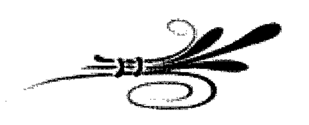
(٢) ((الأثر الفارسي الهندي في التوراة)) (ص ٧٠٣).

فقال شاول: قد ضاق بي الأمر جداً، الفلسطينيون يحاربونني، والرب فارقني ولم يعد يجيبني لا بالأنبياء ولا بالأحلام، فدعوتك لتعلمني ماذا أصنع. فقال صموئيل: ولماذا تسألني والرب قد فارقك وصار عدوك؟»[١].

فهذه القصة تقرر حضور الروح وحديثها مع شاول.

وقد جاء في التوراة الكنعانية الإشارة إلى ما أسموه بعادة استحضار الأرواح[٢]؛ مما يدل على ثبوت هذا المعتقد عند اليهود.

هذه جملة من عقائد اليهود في الروح وما يتصل بها، وهي كما ترى عقائد مشوهة ومتناقضة بسبب التحريف الذي طرأ على التوراة، وبما أضافه أحبارهم وقرروه معتقداً لليهود.



(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٤٧٢)، سفر صموئيل الأول (٢٨: ٧ – ١٦).

(٢) انظر: ((التوراة الكنعانية)) (ص ٣١٠).



الفصل الثاني

الروح عند النصارى

النصارى: هم أمة عيسى -عليه السلام- وكتابهم المقدس هو الإنجيل بالإضافة إلى التوراة، أو ما يسمى بالعهد الجديد والعهد القديم، فكلاهما مقدس عند النصارى، وعليه فما ذُكِر من عقائد اليهود في الروح وكان مما جاء دليله في العهد القديم فإنه يعد من عقائد النصارى التي يؤمنون بها.

ولا ينبغي أن يغيب عن الذهن -عند المرور على عقائد النصارى في الروح- تذكر أن الإنجيل الحقيقي المنزل من عند الله تعالى مفقود ولا وجود له اليوم على الحقيقة، وما يعده النصارى اليوم إنجيلاً مقدساً فهو من صنع أتباع المسيح - عليه السلام - بعد رفعه إلى السماء.

يقول محمود كريت عن قصة فقد الإنجيل الأصل ووجود الإنجيل الحالي: «فُقِدَ هذا الإنجيل بعد رفع المسيح -عليه السلام- إلى السماء مباشرة ولم يوقَفْ له على أثر، فأحدث ذلك فراغاً كبيراً، ولم يلبث أتباعه من بعده أن تاقت نفوسهم إلى إنجيل المسيح، فوضعت كل طائفة إنجيلاً وزعمت أنه إنجيل المسيح، حتى عجت المسيحية بأناجيل تجل عن الحصر، وتمسكت كل فرقة بإنجيلها مكفرة كل من يدعو إلى غيره حتى كان مجمع نيقية سنة ٣٢٥م... فحرم كل إنجيل عدا الأربعة المعتمدة وهي: إنجيل متى، وإنجيل مرقس، وإنجيل لوقا، وإنجيل يوحنا.

ونظراً لضياع الإنجيل الحقيقي فقد ضاعت المسيحية، ووُضِعَت مكانها نحلة جديدة أخذت من النِّحَل الوثنية التي كانت سائدة في ذلك الوقت...»[١].

وعليه فما يعرض من العقائد في هذا الفصل وكان مصدره الإنجيل أو ما

---

(١) ((دراسات في المسيحية)) (ص د).

أسموه بالعهد الجديد فالموقف منه من حيث القبول والرد كالموقف من العهد القديم كما سبق سواءً بسواء، فيجب النظر والتأمل في نصوصه، فما وافق الحق منها قبلناه، وما خالفه رددناه، وما لم يتبين لنا حاله سكتنا عنه.

آراء النصارى وعقائدهم في الروح:

هذا وقد وقفت على جملة من عقائد النصارى وآرائهم في الروح، ويمكن عرضها وسياقها في النقاط الآتية:

١- اعتقادهم بوجود الروح وكونها إلهية المصدر:

وقد تقدم ذكر نصوص هذه المسألة ضمن عقائد اليهود فأغنى ذلك عن إعادتها هنا. وكان مما جاء في الإنجيل[١] «ولا تخافوا من الذين يقتلون الجسد ولكن النفس لا يقدرون أن يقتلوها»[٢].

وأيضاً: «لأنه ماذا ينتفع الإنسان لو ربح العالم كله وخسر نفسه؟ أو ماذا يعطي الإنسان فداءً عن نفسه؟»[٣].

٢- الروح الإنسانية هي الجوهر العاقل والنفخة الإلهية:

يقول الأنبا غريغوريوس[٤] في تعريفها: «هي الجوهر العاقل الناطق الذي خُلِق على صورة الله ومثاله... وهي النفخة الإلهية التي نفخها الله في آدم، والتي ينفخها الله في كل جنين بعد أن تتكون بذرة الحياة الأولى المتولدة من الأب والأم»[٥].

---

(١) هذه النصوص ذكرتها ملكه حبيب في كتابها: ((حقيقة البيان)) (ص ٦٦).

(٢) ((الكتاب المقدس)) (١٨ جـ) إنجيل متى (١٠: ٢٨).

(٣) ((المصدر السابق)) (٧١جـ) إنجيل مرقس (٨: ٣٧).

(٤) الأنبا غريغوريوس أسقف عام الدراسات العليا اللاهوتية والثقافة القبطية والبحث العلمي، يتبع الكنيسة الأرثوذكسية.

(٥) ((في عالم الروح)) (٢/ ٣٧ – ٤٣)، وانظر: (١/ ٢٦، ٢٨، ٦٦).

ويستدلون لهذا بما جاء في الكتاب المقدس نحو: «وقال الله: نعمل الإنسان على صورتنا كشبهنا، فيتسلطون على سمك البحر، وعلى طير السماء، وعلى البهائم، وعلى كل الأرض، وعلى جميع الدبابات التي تدب على الأرض، فخلق الله الإنسان على صورته»[١].

ففيه أن الإنسان خُلِقَ على صورة الله ومثاله، وفي شأن خلق آدم -عليه السلام- جاء في سفر التكوين: «وجبل الربُّ الإلهُ آدمَ تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة حياة، فصار آدم نفساً حيةً»[٢].

وفي أيوب: «إنه مادامت نسمتي فيَّ ونفخة الله في أنفي، لن تتكلم شفتاي إثماً... حتى أسلم الروح»[٣].

وجاء في الإنجيل (في رسالة بولس الأولى إلى أهل كورنثوس): «فإن الرجل لا ينبغي أن يغطي رأسه لكونه صورة الله ومجده»[٤]، وفي رسالة يعقوب: «وأما اللسان... به نبارك الآب وبه نلعن الناس الذين قد تكونوا على شبه الله»[٥].

هذا وقد فسر الأنبا غريغوريوس معنى كون الروح على صورة الله ومثاله بأن المراد: في كيانه الروحي والعقلي، وليس على صورته في الجسم وأعضاء الجسم؛ لأن الله روحٌ عاقلٌ[٦]، والصورة تعني الخيال أو الظل، فالروح الإنسانية ظل الله، تشبهه ولا تساويه، وهي على مثاله، فبينها وبين الله تعالى وجوه شبه، مع الفارق

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٤)، سفر التكوين (١: ٢٦ – ٢٧).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٥)، سفر التكوين (٢: ٧).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص ٨١٦)، سفر أيوب (٢٧: ٣ – ٤).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٢٨٠جـ)، رسالة بولس الأولى (١/ ٧).

(٥) ((المصدر السابق)) (ص ٣٧٢جـ) رسالة يعقوب (٣ : ٨ – ٩).

(٦) انظر: ((في عالم الروح)) (١/ ١٤٠).

العظيم بين الصورة والأصل[١].

وقد ساق الأنبا بعض وجوه الشبه بين روح الإنسان وبين الله تعالى، وملخصها أن روح الإنسان على صورة الله وشبهه في الروحانية، وفي العقل والحكمة والعلم، والحرية، والخلود وعدم الفناء، وفي القداسة ومحبة الحق والبر، وفي عدم النوم وعدم التوقف عن النشاط والعمل، وفي السيادة على الطبيعة. وقد تناول هذه الفقرات بالشرح المطول والاستدلالات بنصوص الكتاب المقدس[٢]، ولا يهم الاستطراد في ذكر التفاصيلات، وإنما المهم أن نعلم أن المراد بالصورة والمثلية في خلق الروح إنها مثلية في الروح لا في الجسد على حد تعبيرهم.

ويفسر الأنبا معنى النفخة الإلهية بقوله: «ليس معنى الروح – من حيث هي نفخة من الله – أنها قطعة من الله أو جزء منه انفصل عنه... لكنها قوة أو طاقة منه... دفقت في الإنسان قوةً وحياةً وحركةً ونشاطاً»[٣].

وفي العلاقة بين النفخة والصورة يقول: «هي التي جعلت الإنسان على صورة الله ومثاله»[٤].

وقبل الانتقال من هذه النقطة يحسن التنبيه إلى أن من النصارى مَن زعم أن «مِنْ» في قوله تعالى بشأن المسيح – عليه السلام –: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ [النساء: ١٧١] أنها للتبعيض؛ أي أن عيسى جزء من الله – تعالى – وهذا جهل وضلال. قال ابن كثير: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ كقوله: ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ﴾ [الجاثية: ١٣]. أي: مِنْ خلقه ومِنْ عنده، وليست «مِنْ» للتبعيض كما تقوله

---

(١) انظر: ((في عالم الروح)) (١/ ١٤٢).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٣٦ – ١٧٢)، (٢/ ٢١ – ٢٥).

(٣)((المصدر السابق)) (٢/ ٢٠).

(٤) ((المصدر السابق)) (١/ ١٣٨).

النصارى عليهم لعائن الله المتتابعة، بل هي لابتداء الغاية كما في الآية الأخرى، وقد قال مجاهد في قوله: ﴿وَرُوحٌ مِّنْهُ﴾ أي رسول منه، وقال غيره: ومحبة منه، والأظهر الأول، وهو أنه مخلوق من روح مخلوقة، وأضيفت الروح إلى الله على وجه التشريف كما أضيفت الناقة والبيت إلى الله»[١].

وعليه فجميع الآيات الواردة في القرآن الكريم والتي ذُكرت فيها إضافة الروح إلى الرب -تعالى- في قصة خلق عيسى بل وآدم قبله -عليهما الصلاة والسلام- لا تفيد البعضية بحال، جاء في إيضاح الدليل: «ونسبة إضافة الروح في آيات مريم كلها نسبة إضافة مُلْكٍ وخَلقٍ وتشريف كما قدمناه في آدم عليه السلام؛ لأن نفخ جبريل كان بأمر الله، وسمي المسيح -عليه السلام- روح الله إما تشريفاً له، أو لأنه كان بأمره وخلقه من غير واسطة لأب»[٢].

٣- لفظة الروح في الإنجيل لها إطلاقات متعددة:

تقدم ضمن عقائد اليهود أن لفظة «نسم الحياة» قد ترادف لفظة «النفس» في بعض مواطن العهد القديم الذي يؤمن به النصارى، فلا حاجة لإعادة الكلام هنا.

وكذا تقدم ضمن عقائدهم أن لفظة الروح في العهد القديم لها إطلاقات متعددة، وما قيل عنها هناك يقال هنا، إلا أني أذكر هنا بعض إطلاقاتها في العهد الجديد، فقد جاءت الروح في الإنجيل بعدة إطلاقات، فجاءت والمراد بها:

أ- **الوحي**[٣]، ففي إنجيل متى: «فلما اعتمد يسوع صعد للوقت من الماء، وإذا السموات قد انفتحت له، فرأى روح الله نازلاً مثل حمامة وآتياً إليه»[٤].

---

(١) ((تفسير القرآن العظيم)) (٢/ ١٣٠).

(٢) ((إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل)) (ص ١٤٣).

(٣) انظر: ((النصرانية في ميزان العقل والإسلام)) (ص ٢٥).

(٤) ((الكتاب المقدس)) (ص ٦ جـ)، إنجيل متى (٣: ١٦).

لكن الأقرب للمعنى: أنه رأى الملك النازل بالوحي، كما أفد ذلك د/ عبدالله الدميجي المناقش لهذا البحث.

ب- **جاءت بمعنى الشجاعة**(١)، ففي إنجيل متى يقول المسيح لتلاميذه: «احذروا من الناس؛ لأنهم سيسلمونكم إلى مجالس وفي مجامعهم يجلدونكم، وتُساقون أمام ولاة وملوك من أجلي شهادةً لهم وللأمم، فمتى أسلموكم فلا تهتموا كيف أو بم تتكلمون؛ لأنكم تُعطونَ في تلك الساعة ما تتكلمون به؛ لأنكم لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم الذي فيكم»(٢).

فالشاهد قوله: «لستم أنتم المتكلمين بل روح أبيكم...».

ج- **جاءت والمراد بها محرك الناس وهاديهم**(٣)، ففي إنجيل لوقا «أما يسوع فرجع من الأردن ممتلئاً من الروح القدس، وكان يُقتاد بالروح في البرية»(٤).

وهناك إطلاقات أخرى تُفهَم من سياق الكلام لمن وقف عليها(٥).

٤ - الإنسان جوهرياً يتألف من روح وجسد:

هذا المعتقد من حيث الجوهرية كما يرون، أي من حيث الإنسان ككل -كما سيمر معنا-.

جاء في الكتاب المقدس ما نصه: «وجَبَل الربُّ الإله آدمَ تراباً من الأرض، ونفخ في أنفه نسمة الحياة، فصار آدم نفساً حية»(٦).

---

(١) انظر: ((أقانيم النصارى)) (ص ٤٥).

(٢) ((الكتاب المقدس)) (ص ١٦ جـ)، إنجيل متى (١٠: ١٧ - ٢٠).

(٣) انظر: ((أقانيم النصارى)) (ص ٤٥).

(٤) ((الكتاب المقدس)) (ص ٩٦ جـ)، إنجيل لوقا (٤: ١).

(٥) انظر: ((أقانيم النصارى)) (٤٤ - ٤٥)، و((النصرانية في الميزان)) (ص ١٠١ فما بعد)، و((الديانة المسيحية)) (٩٨ - ١٠٣).

(٦) ((الكتاب المقدس)) (ص ٥)، سفر التكوين (٢: ٧).

يقول الأنبا غريغوريوس: «أما التراب فمنه صار للإنسان جسد، وأما نفخة الحياة فهي الروح العاقلة الناطقة»[١]. ولما كانت الروح عندهم جوهراً، فهو يرى أن الإنسان جوهرياً يتألف من روح وجسد، وفي هذا الصدد يقول: «الإنسان جوهرياً هو الكائن القائم باتحاد الروح والجسد معاً في كيان واحد،

فإذا انفصلت الروح عن الجسد، فلا يصدق اسم الإنسان على أي منهما بمفرده بمعزل عن الآخر، وبالتالي لا يقال عن الروح دون الجسد أنها هي الإنسان كله، ولا يقال عن الجسد من دون الروح أنه الإنسان كله»[٢].

فروح الإنسان من النفخة، وجسده من التراب، ومن شواهد ذلك ما نُسِبَ إلى أيوب -عليه السلام-: «روح الله صنعني، ونسمة القدير أحيتني»[٣].

ومما يدل على كونه من تراب ما جاء في مادة خَلْق آدم - عليه السلام - ففي الكتاب المقدس: «وجبل الربُّ الإلهُ آدمَ تراباً من الأرض»[٤].

وجاء في الإنجيل: «الإنسان الأول من الأرض ترابي»[٥].

وجاء عن أيوب - عليه السلام - أنه قال: «أنا أيضاً من الطين تقرحت»[٦].

والشواهد غير ما ذُكِرَ كثيرة.

فالإنسان عندهم عبارة عن مجموع الروح والجسد، وقد جاء في الجمع بينهما في الإنجيل فيما نسب إلى المسيح -عليه السلام- أنه قال: «ولا تخافوا ممن يقتل

---

(١) ((في عالم الروح)) (١/ ١٠).

(٢) ((المصدر السابق)).

(٣) ((الكتاب المقدس)) (ص ٨٢٢)، سفر أيوب (٤:٣٣).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٥)، سفر التكوين (٢: ٧).

(٥) ((المصدر السابق)) (ص ٢٨٨ جـ)، رسالة بولس الرسول الأولى إلى أهل كورنثوس (١٥: ٤٧).

(٦) ((المصدر السابق)) (ص ٨٢٢)، سفر أيوب (٣٣: ٦).

الجسد ولكنه لا يقدر أن يقتل النفس، بل خافوا بالحري ممن يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم»[١].

وعن طبيعة هذه الثنائية التي أطلقوا على كل منهما جوهراً يقول الأنبا غريغوريوس: «النفس أو الروح من طبيعة غير طبيعة الجسد، فالروح من طبيعة النور والنار لا تقبل الموت بالسيف، أما الجسد فمن طبيعة المادة؛ ولذلك يمكن أن يموت بالسيف»[٢].

ويقال لهم: نعم، الإنسان يتألف من روح وجسد، وهو ثنائي التركيب، وهناك تمايز بين الروح والجسد، لكن لا يقال بأن الروح جوهرٌ - كما سبق بيانه ضمن عقائد السلف والرد على المخالفين -.

٥- الإنسان ككل يتألف من روح ونفس وجسد:

ومعنى هذا: أنهم يفرقون بين المصطلحات الثلاث، وهذا هو الحاصل، ويشهد له من التوراة: «أبارك الرب الذي نصحني...؛ لذلك فرح قلبي وابتهجت روحي، جسدي أيضاً يسكن مطمئناً؛ لأنك لن تترك نفسي في الهاوية»[٣].

ومن هنا استدلوا على أن الإنسان ثلاثي التركيب، فهو عندهم ثلاثة أشياء: روح ونفس وجسد.

ومما يعضد به النصارى النص التوراتي الآنف الذكر ما جاء في العهد الجديد من قول بولس الرسول: «وإله السماء نفسه يقدسكم بالتمام، ولتحفظ روحكم ونفسكم وجسدكم كاملة بلا لوم»[٤].

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ١٩ جـ)، إنجيل متى (١٠: ٢٨).

(٢) ((في عالم الروح)) (١/ ١٤).

(٣) ((الكتاب المقدس)) (ص ٨٤٢)، سفر المزامير (١٦: ٧ - ١٠).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٢٣٤ جـ)، رسالة بولس الأولى إلى أهل مثالونيكي (٥: ٢٣).

فعندهم: أن منطوق هذه الآية مع ما قبلها يدل صراحةً على أن تركيب الإنسان هو من روح ونفس وجسد[١].

وكما مر بنا: فالروح عندهم هي الجوهر العاقل، والجسد هو الكيان الترابي، فإذا ما سألتهم عن النفس ما هي؟ قالوا: هي الحياة الحسية المرتبطة بالجسد ارتباط الحرارة بالنار، فإذا انطفأت النار زالت الحرارة بزوالها[٢].

ومعنى هذا أن النفس غير الروح، فإذا كانت الروح جوهراً باقياً فإن النفس عرضٌ فانٍ يفنى بفناء الجسد، وهذا ما يقول به جمع من النصارى، جاء في كتاب «أسس الديانتين»: «المسيحية تفرق بين النفس والروح، فالنفس عرض قائم في الجوهر الذي هو الجسد، فهي تعبر عن ذاتها بواسطة الجسد، والنفس بسبب علاقتها بالروح الأسمى هي الدليل على أصله الروحي.

النفس هي: علامة الحياة، والروح هي: ينبوع الحياة (النسمة).

فإذن: الإنسان كائن متشعب النواحي، فهو جسم ونفس وروح معاً»[٣].

ومن شواهد الكتاب المقدس التي تساق للدلالة على التفريق بين الروح والنفس - إضافة إلى ما سبق - ما جاء في سفر أيوب: «جمع إلى نفسه روحه ونسمته»[٤].

وفي رسالة «بولس الرسول» إلى العبرانيين[٥] كما في العهد الجديد: «لأن كلمة

---

(١) انظر: ((قاموس الكتاب المقدس)) (ص ٤١٤).

(٢) انظر: ((في عالم الروح)) (١/ ٢٦).

(٣) ((أسس الديانتين الإسلام والمسيحية)) (ص ٢٤٨ - ٢٤٩).

(٤) ((الكتاب المقدس)) (ص ٨٢٤)، سفر أيوب (٣٤: ١٤).

(٥) **العبرانيون**: هم بنو إسرائيل، تطلق عليهم للتمييز من غير بني إسرائيل، وهناك خلاف حول أصل هذه الكلمة. =

الله حية وفعالة، وأمضى من كل سيف ذي حدين، وخارقة إلى مفرق النفس والروح والمفاصل...»[١].

لكن الحق أن هذا التفريق بين النفس والروح ليس دائماً، وليس محل اتفاق، فإن في نصوص الكتاب المقدس ما يدل على ترادفهما، فقد مر بنا - عند ذكر عقائد اليهود - أن التقسيم الثلاثي ليس محل اتفاق عند اليهود، وكذا ليس محل اتفاق عند النصارى الذين يؤمنون بالعهد القديم، وأن هناك من يرى أن الإنسان ثنائي التركيب، أي أنه روح وجسد فقط.

ولعل الذين يرون عدم التفريق بين النفس والروح قد أصابوا، ومن نصوص الكتاب المقدس التي تشهد لعدم التفريق ما يأتي:

جاء في سفر الملوك الأول في قصة ابن الأرملة الذي مات: «يا ربِّ إلهي لترجع نفس هذا الولد إلى جوفه، فسمع الرب لصوت إيليَّا فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش»[٢].

فدلالة الآية ظاهرة في أن المراد بالنفس: الروح الناطقة، فهي التي خرجت وهي التي رجعت.

وفي إنجيل متى: «خافوا بالحري من الذي يقدر أن يهلك النفس والجسد كليهما في جهنم»[٣].

فذكر النفس أي الروح وما يقابلها وهو الجسد.

= انظر: ((اليهودية والمسيحية)) (ص ٥١ - ٥٤).

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٣٥٦جـ)، العبرانيين (٤: ١٢)، وانظر: ((الرسالة إلى رومية)) (ص ٤٨ فما بعد).

(٢) ((الكتاب المقدس)) (ص ٥٦٨)، سفر الملوك الأول (١٧: ٢١، ٢٢).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص ١٨ جـ)، إنجيل متى (١٠: ٢٨).

وجاء في الرؤيا: «ولما فتح الختم الخامس رأيت تحت المذبح نفوس الذين قُتِلوا من أجل كلمة الله ومن أجل الشهادة التي كانت عندهم، وصرخوا بصوتٍ عظيمٍ قائلين: حتى متى أيها السيد القدوس والحق لا تقضي وتنتقم لدمائنا من الساكنين على الأرض؟ فأعطوا كل واحد ثياباً بيضاً، وقيل لهم أن يستريحوا زمناً يسيراً...»[١].

وأكتفي بهذا القدر من النصوص التي تفيد أن النفس قد تُطلَق في الكتاب المقدس ويراد بها الروح الإنسانية.

وقد تقدم ضمن عقائد السلف بيان إطلاقات الروح، وترجيح الترادف بين النفس والروح، وأنها النفس الناطقة التي بها الحياة وبفراقها الموت.

٦- عيسى - عليه السلام - عبارة عن اتحاد اللاهوت بالناسوت:

فإذا كان الإنسان -على رأي بعض النصارى- يتألف جوهرياً من جوهرين هما الروح والجسد، فإن المسيح -عليه السلام- يتألف من ثلاثة أشياء، ففيه بزعمهم جانب إلهي وفيه جانب بشري، وحتى يقرروا فلسفتهم هذه ويقربوها للأذهان استدلوا عليها باتحاد الروح بالجسد فقالوا: إن هذا الاتحاد يشبه اتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح -عليه السلام- وكان الأنبا غريغوريوس قد شرح هذه الفلسفة الخاطئة وبيَّنها بوضوح تام، فكان مما قال: «لقد رأى آباء الكنيسة في هذه الطبيعة الواحدة في الإنسان المتكونة من اتحاد الروح والجسد وهما في الأصل من طبيعتين مختلفتين، صورة لاتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح. فاللاهوت هو طبيعة الله والناسوت هو طبيعة الإنسان، ومع أن الطبيعتين مختلفتان اختلافاً جوهرياً ومتميزتان تماماً، لكنهما اتحدا في المسيح منذ الحبل به في بطن العذراء مريم،

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٤٠٣ جـ) رؤيا يوحنا اللاهوتي (٦: ٩ – ١١).

وصار المولود منها ابناً واحداً لا ابنين، هو ابن الله وهو الآن نفسه ابن الإنسان؛ لأن الطبيعتين اتحدتا في واحد، هو المسيح، وطبيعته ليست هي طبيعة اللاهوت وحده ولا طبيعة الناسوت وحده، وإنما هي طبيعة اللاهوت المتحد بالناسوت، الإله المتأنس، طبيعة واحدة لكنها طبيعة مركبة من اللاهوت والناسوت معاً باتحاد فريد من نوعه، ليس من نوع الاختلاط، ولا من نوع الامتزاج، ولا من نوع المركب الكيميائي الذي يُحدِث تغييراً في جوهر العناصر التي يتألف منها ذلك المركب الكيميائي، وإنما هو اتحاد حقيقي وكامل، مع احتفاظ كل من اللاهوت والناسوت بخصائصه المميِّزة له، ومع ذلك بغير انفصال أو افتراق أو تلاشٍ أو امتصاص أو ابتلاع لأحدهما في الآخر. ومع أن هذا الاتحاد ليس له نظير، ولا يمكن أن نجد له في عالم المحسوسات ما يماثله تماماً، لكن البابا كيرلس الأول عمود الإيمان، والبابا ديوسقوروس من بعده، قد وجدا في طبيعة الإنسان ما يشبهه، وإن كان لا يساويه تماماً ومن كل الوجوه، ذلك أن طبيعة الإنسان هي طبيعة الروح المتحد بالبدن؛ أي أن الإنسان طبيعة واحدة من طبيعتين، هكذا قال الآباء: أن المسيح طبيعة واحدة من طبيعتين، هي طبيعة الكلمة المتجسد، الإله المتأنس، ولكن هذه الطبيعة الواحدة هي من طبيعتين قبل التجسد، طبيعة الإله وطبيعة الإنسان. وكما أن أفعال الإنسان تصدر منه كله، لا من الروح وحدها ولا من البدن وحده، وإنما من الوحدة الناشئة منهما معاً، هكذا أفعال المسيح تصدر من طبيعة واحدة ومشيئة واحدة هي طبيعة الإله المتأنس، الكلمة المتجسد، لا من اللاهوت على حدة أو من الناسوت على حدة، بل منهما متَّحدَين في وحدة واحدة وطبيعة واحدة.

وعلى الرغم من وجاهة هذا التشبيه، لكن الآباء يتحفظون، فيرون أنه تشبيه

ناقص، وهو لا يعبر تماماً، ومن كل الوجوه، عن قوة الاتحاد بين اللاهوت والناسوت في المسيح»[1].

ولبعض النصارى فلسفة عريضة في قضية اتحاد اللاهوت بالناسوت وليس هذا مكان بسطها(٢)، والمهم الآن معرفة أن هذا المعتقد فاسد من أصله، وقد أبطله القرآن الكريم فبيَّن حقيقة - عيسى عليه السلام - إذ قال: ﴿ إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ ۖ خَلَقَهُۥ مِن تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ﴾ [آل عمران: ٥٩] فهو مخلوق كما أن آدم عليه السلام مخلوق، وفي موضع آخر قال -سبحانه-: ﴿إِنَّمَا ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ رَسُولُ ٱللَّهِ ﴾ [النساء: ١٧١]. فعيسى -عليه السلام- عبد مخلوق ورسول مرسل، وليس هو ابناً لله ولا هو الله، تعالى الله عما يقول المبطلون، قال الحق -تعالى-: ﴿ وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَـٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ۖ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ ۖ يُضَـٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ ۚ قَـٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ ۚ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ﴾ [التوبة: ٣٠]، وقال -سبحانه-: ﴿ لَقَدْ كَفَرَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ مَرْيَمَ ۖ وَقَالَ ٱلْمَسِيحُ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ رَبِّى وَرَبَّكُمْ ﴾ [المائدة: ٧٢].

٧- أفعال الإنسان صادرة عن الروح والجسد معاً:

رغم الاختلاف بين طبيعة الروح وطبيعة الجسد، إلا أنهما بالاتحاد صارا طبيعة

---

(١) ((في عالم الأرواح)) (١/ ٢٢ - ٢٤).

(٢) **راجع في هذه المسألة:** ((موقف ابن تيمية من النصرانية)) (١/ ٢١١ فما بعد)، و((النصرانية تاريخاً وعقيدة وكتاباً ومذاهب)) (ص ١٥٤ فما بعد)، و((دراسات في الأديان اليهودية والنصرانية)) (ص ٢٩٦ فما بعد)، و((منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب)) (ص١٢٧ فما بعد)، و((الرد على النصارى)) (٣٣ فما بعد)، و((المسيحية وأساطير التجسد)) (ص٤٥ فما بعد)، و((النصرانية في ميزان العقل والإسلام)) (ص ٣٣ فما بعد)، و((اليهودي شاول بولس الطرطوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية)) (ص ١٠٤، ١٠٩ فما بعد).

واحدة يعرفونها بالطبيعة البشرية التي تصدر عنها أفعال الإنسان، لا عن الروح بانفراد ولا عن الجسد بانفراد.

وفي تقرير ذلك يقول الأنبا غريغوريوس: «المفهوم من الطبيعة البشرية: أنها الطبيعة المتكونة من اتحاد الروح بالجسد؛ ولذلك تصير أفعالها وأعمالها تصدر لا عن الروح وحدها ولا عن الجسد وحده، وإنما تصدر عنهما معاً، باتحاد واتفاق بينهما، وما تنفعل به الروح ينفعل به الجسد أيضاً»[١].

وهذا كلام جيد، ولا بأس من سياق بعض الأمثلة لذلك، فمثلاً عندهم أن الإنسان إذا فرح أو حزن، إذا أحب أو كره، إذا صفح أو حقد، إذا صلى أو صام أو تصدق، فكل فعل من تلك الأفعال لا يصدر عن الروح وحدها ولا عن الجسد وحده، وإنما عنهما معاً.

وعلى الرغم من ما يبدو على طبيعة أحد الأفعال أنها تنتمي أصلاً إلى الروح كالفرح والحزن والحب والصلاة وما إليها من أفعال روحية ومعنوية، لكنها -في الآن نفسه- عندما تصدر من الإنسان تصدر عن كيانه كله روحاً وجسداً.

فالجسد ينفعل بها تماماً، ويضفي عليها لوناً من عنده، فتصير روحية جسدية، معنوية مادية، بحيث لا تستطيع أن تشق أي فعل منها إلى نصفين، أو تفصل بينهما فصلاً حقيقياً طبيعياً، يُخرِجُ كلاً منهما على حدة، كما تشق حبة من ذات الفلقتين إلى نصفين أو إلى فلقتين[٢].

وهذا كلام وجيه جداً، وهو يعني دون شك أن «الاتحاد بين الروح والبدن في الإنسان اتحاد كامل وتام، حتى إن كل ما تنفعل به الروح ينفعل به البدن، وكل ما

---

(١) ((في عالم الروح)) (١/ ١٣).

(٢) ((المصدر السابق)) (٢/ ١٩).

ينفعل به البدن تنفعل به الروح»[١].

ولا بأس من ذكر مثال لتأثر الروح بما يقع على البدن، فالإنسان مثلاً إذا صفعه خصمه على وجهه، فمع أن الصفعة وقعت على الوجه أي على البدن الظاهر، إلا أن الروح من الداخل سريعاً ما تنفعل بالألم، وتحس بالإهانة فينعكس انفعال الروح بالألم على البدن، فتذرف العينان الدمع أحياناً، وقد لا يبكي الإنسان ولكنه يغضب، وقد تظهر علامات الغضب على وجهه وحركاته[٢].

إذن فالرابطة بين الروح والجسد قوية، وما يصدر عن الإنسان من أفعال إنما يكون بمجموعهما معاً.

٨- اعتقادهم بحدوث الروح:

تَقدَّمَ ذكر النصوص الدالة على وجود الروح وكونها إلهية المصدر ضمن عقائد أهل الكتابين، وهي مفيدة في الدلالة على حدوث الروح، لكن ما يُذكَر من النصوص هنا أكثر صراحة في التدليل على حدوث الروح وكونها مخلوقة مربوبة، فمن شواهد الكتاب المقدس ما جاء في «زكريا»: «يقول الربُّ باسطُ السموات ومؤسس الأرض وجابل روح الإنسان في داخله»[٣]. فدلالة الآية واضحة في كون الروح مخلوقة خلقها الرب تبارك وتعالى، وجاء في الجامعة: «فيرجع التراب إلى الأرض كما ترجع الروح إلى الله الذي أعطاها»[٤]، وفي العبرانيين: «أفلا نخضع بالأَولى جداً لأبي الأرواح فنحيا»[٥]. أي أنه أصلها وخالقها[٦].

---

(١) ((في عالم الروح)) (١/ ٢١).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)).

(٣) ((الكتاب المقدس)) (ص ١٣٥٠)، زكريا (١٢: ١).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٩٨٤)، الجامعة (١٢: ٧).

(٥) ((المصدر السابق)) (ص ٣٦٧جـ)، العبرانيين (١٢: ٩).

(٦) انظر: ((في عالم الروح)) (٢/ ١٤).

وفي تقرير هذا المعتقد عند النصارى يقول الأنبا غريغوريوس: «الروح تُجلبَ ولا تولد، تُخلَق ولا تنجب، الله هو جابلها وخالقها»[١].

لكنه يقول إنها «هابطة من السماء،وهي مخلوقة من نور»[٢].

وفي موضع آخر يقول: «إنها تنزل من عند الله، من عالم الأرواح»[٣].

وفي موضع ثالث يذكر أن الروح «تهبط من السماء لتتحد بالبذرة المتكونة من الرجل والمرأة بعد أن تكون قد تهيأت لاتحاد الروح بها»[٤]. ويسوق لذلك النصَّ الآتي: «تُرسَل روحك فتُخلَق»[٥].

وفي جوابه يقال: أما كون الروح مخلوقة من نور فهذا لا أصل له في دين المسلمين ولا يُعلَم له دليل من كتاب أو سنة.

وأما كون الروح هبطت من عند الله من السماء أي من عالم الأرواح والاستدلال له بما في المزمور الآنف الذكر، فهذا أيضاً لا أصل له في دين المسلمين ولا يصح ألبتة؛ لأن معناه أن خَلْق الروح متقدم على خلق البدن، وأيضاً فلا يوجد شيء اسمه عالم الأرواح، ولا يصح الاستدلال بآية المزمور، وهي تشبه الأحاديث الموضوعة عند المسلمين والتي أفادت تقدم خلق الأرواح على الأبدان، وقد تقدم تفصيل الكلام في ذلك ضمن عقائد السلف.

أما كون الروح بعد أن تهبط من السماء تتحد بالبذرة المتكونة من الرجل

---

(١) ((في عالم الأرواح)) (٢/ ١٠٢).

(٢) ((المصدر السابق)) (٢/ ٢٦).

(٣) ((المصدر السابق)) (٢/ ١٠٢).

(٤) ((المصدر السابق)) (٢/ ١٤).

(٥) ((الكتاب المقدس)) (ص ٩٠٦) مزمور (١٠٤: ٣٠).

والمرأة... إلخ فلا يصح، والصواب: أن الروح تتحد بالجنين عند نفخ المَلَك للروح في الجنين بعد اكتمال تخليقه أي بعد تمام مائة وعشرين يوماً على قول، أو قبله وبعد الأربعين على قول آخر. وقد تقدم تفصيل الكلام بأدلته ضمن عقائد السلف فلتراجع عند الحاجة هناك.

٩- الموت مفارقة الروح الجسد، وموت المسيح له معنى آخر:

الموت عندهم مفارقة الروح الجسد ويسمونه تسليم الروح، أما موت المسيح بزعمهم فله معنى آخر، وقد جاءت ألفاظ الكتاب المقدس متنوعة في التعبير عن الموت، ففي سفر التكوين «وأسلم إبراهيم روحه ومات بشيبة صالحة»[(١)].

وقال عن إسحاق -عليه السلام-: «فأسلم إسحاق روحه ومات»[(٢)].

وفي أعمال الرسل: «فكانوا يرجمون إستيفانوس وهو يدعو ويقول: أيها الرب يسوع اقبل روحي»[(٣)].

وقد يعبر عنه بالاستيداع: «في يدك أستودع روحي فديتني يا رب إله الحق»[(٤)].

وقد تُنسب إلى المسيح - عليه السلام - عبارات مماثلة ولا تصح.

والموت عند النصارى هو مفارقة الروح الجسد، ويقولون: بالموت ترجع الروح إلى الله والجسد إلى التراب، وعلى ذلك شواهد كثيرة من «الكتاب المقدس»، ففي الجامعة: «يرجع التراب إلى الأرض كما كان، وترجع الروح إلى الله الذي أعطاها»[(٥)]. وفي أيوب: «يسلم الروح كل بشر جميعاً، ويعود الإنسان إلى

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٢٨)، سفر التكوين (٢٥: ٨).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٥٩)، سفر التكوين (٣٥: ٢٩).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص ٢٠٢جـ)، أعمال الرسل (٧: ٥٩).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٨٥٢)، مزمور (٣٠: ٥).

(٥)((المصدر السابق)) (ص ٩٨٤)، جامعة (١٢: ٧).

التراب»[١]. وفي المزامير: « تنزع أرواحها فتموت، وإلى ترابها تعود»[٢].

فهذه النصوص وما شابهها تفيد حدوث الانفصال بين الروح والجسد، فعند الموت «تنحل الروابط الطبيعية بين الروح والجسد، وينفك الاتحاد بينهما، وينصرم الوثاق اللاحم لهما، فتذهب الروح إلى المصدر الذي منه هبطت، وينحدر الجسد إلى الأرض التي أخذ منها»[٣].

وإذا كان النصارى يقولون زوراً وبهتاناً باتحاد اللاهوت بالناسوت في المسيح -عليه السلام- ثم يزعمون فوق ذلك أن المسيح قد مات، ويستدلون لهذا بنصوص الكتاب المقدس، إذا كانوا يقولون ذلك فكيف يفسرون لنا ظاهرة موت المسيح مع وجود هذا الاتحاد؟!

إن الاعتقاد بموت المسيح - عليه السلام - راسخ عند النصارى، وكيف لا؟ وهم يستدلون له بنصوص الكتاب المقدس، ففي إنجيل متى: «فصرخ يسوع أيضاً بصوت عظيم وأسلم الروح»[٤]. ونحوه نص في مرقس[٥]، وفي يوحنا: «ونكس رأسه وأسلم الروح»[٦]، وفي لوقا: «ونادى يسوع بصوت عظيم، وقال: يا أبتاه في يدك أستودع روحي، ولما قال هذا أسلم الروح»[٧].

فهذه النصوص وما شابهها باطلة الدلالة ومحرفة عن أصلها إن كان لها أصل، فإن القرآن قد بيَّن لنا حقيقة المسيح - عليه السلام - وأنه ما قُتِلَ وما صُلِبَ، إن

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٨٢٤)، أيوب (٣٤: ١٥).
(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٩٠٦)، مزامير (١٠٤: ٢٩).
(٣) ((في عالم الروح)) (١/ ١٥).
(٤) ((الكتاب المقدس)) (ص ٥٤جـ)، إنجيل متى (٢٧: ٥٠).
(٥) ((المصدر السابق)) (ص ٨٦ جـ)، مرقس (١٥: ٢٧).
(٦) ((المصدر السابق)) (ص ١٨٥جـ)، يوحنا (١٩: ٣٠).
(٧) ((المصدر السابق)) (ص ١٤١جـ)، لوقا (٢٣: ٤٦).

المسيح لم يمت، قال الله تعالى: ﴿وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمْ ۚ وَإِنَّ الَّذِينَ اخْتَلَفُوا فِيهِ لَفِي شَكٍّ مِّنْهُ ۚ مَا لَهُم بِهِ مِنْ عِلْمٍ إِلَّا اتِّبَاعَ الظَّنِّ ۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينًا﴾ [النساء: ١٥٧].

وتخبرنا السنة أنه سينزل آخر الزمان، ففي الحديث: ((**ينزل فيكم ابن مريم حَكَماً مقسطاً فيكسر الصليب، ويقتل الخنزير، ويضع الجزية، ويفيض المال حتى لا يقبله أحد**))[١].

إذاً: المسيح - عليه السلام - حي لم يمت، لكن طائفة من النصارى يقولون بموته، فإذا ما سألتهم كيف مات المسيح - عليه السلام - وهو كما تزعمون عبارة عن اتحاد اللاهوت بالناسوت؟

أجابوا: «موت المسيح هو انفصال بين مكوِّنَي ناسوته أو إنسانيته (الروح والجسد)، أما لاهوته أو إلهيته فلم تنفصل قط لا من روحه ولا من جسده»[٢].

هذا يعني أن الصلة بين اللاهوت والجوهرين على مذهبهم لازالت مستمرة لم يلحقها تأثر بالموت.

وفي مزيد إيضاح وبيان لهذه الفلسفة يقول الأنبا غريغوريوس أن: «الروح التي أسلمها المسيح في يد الأب هي الروح الإنسانية التي اتخذها، ومنها ومن الجسد يتألف ناسوته الذي اتحد به لاهوته... فلما مات المسيح لم يمت لاهوته؛ لأن اللاهوت [أي الله] حي لا يموت، لكن موت المسيح معناه انفصال بين مركَّبَي إنسانيته مع استمرار وجود لاهوته متحداً بكلٍّ مِن روحه الإنسانية وجسده»[٣].

---

(١) **صحيح**، أخرجه الترمذي في ((السنن)) كتاب الفتن، باب: ما جاء في نزول عيسى بن مريم عليه السلام (٤/ ٥٠٦ برقم ٢٢٣٣).

* **درجته**: أورده الألباني في ((صحيح سنن الترمذي)) (٢/ ٢٤٧) وقال: (صحيح).

(٢) ((في عالم الروح)) (١/ ٦٥).

(٣) ((المصدر السابق)) (١/ ١٦).

ثم ساق لذلك استدلالات من الكتاب المقدس، وفسرها بما يتناسب مع عقيدة الاتحاد وبقاء الصلة بين اللاهوت والناسوت بعد موت المسيح -عليه السلام- بزعمهم؛ وكلها عقائد فاسدة لا تصح.

١٠ - اعتقادهم ببقاء الروح وخلودها بعد الموت:

يستدل النصارى لهذا المعتقد بأنواع من النصوص، منها تلك النصوص التي جاءت بالدلالة على رجوع الروح إلى بعض الأشخاص بعد موتهم، مثل رجوع الروح إلى ابن الأرملة بعد موته: «يا رب لتُرجِعْ نفس هذا الولد إلى جوفه، فسمع الرب لصوت إيليا، فرجعت نفس الولد إلى جوفه فعاش»[١].

وكذا رجوع نفس «طابيثا» إلى جسدها بعد موتها، ففي أعمال الرسل: «فأخرج بطرس الجميع خارجاً، وجثا على ركبتيه وصلى، ثم التفت إلى الجسد وقال: يا طابيثا قومي ففتحت عينيها... وأحضرها حية»[٢].

وما أشبه ذلك.

ومن النصوص في هذا الباب أيضاً ما جاء في يوحنا: «هكذا أحب الله العالم، حتى بذل ابنه الوحيد لكي لا يهلك كل من يؤمن به، بل تكون له الحياة الأبدية»[٣].

يقول الأنبا غريغوريوس: «الروح حية وخالدة وهي التي تبعث الحياة فينا، ومن دونها فلا حياة للإنسان»[٤].

وفي موضع آخر يذكر أنها خالدة وهي لذلك على صورة الله؛ لأن الله هو الأبدي والحي إلى أبد الآبدين[٥].

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٥٦٨)، الملوك الأول (١٧: ٢١).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٢٠٧جـ)، أعمال الرسل (٩: ٣٦ - ٤٢).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص ١٤٩جـ)، يوحنا (٣: ١٦).

(٤) ((في عالم الروح)) (١/ ١١٧).

(٥) انظر: ((المصدر السابق))(٢/ ٢٢).

وتقول ملكة حبيب في تقرير هذا المعتقد: «النفس هي نفخة من روح الله الأزلية الأبدية في الإنسان، وهي مخلدة باقية، إذ لا يجوز عليها فناء؛ لأنها بسيطة الجوهر، وليست كالمادة الواقعة تحت حكم التحليل والتركيب أو التلاشي والعدم... إنها قريبة الشبه بالله، وعلى ذلك فهي خالدة بخلود الله»[١].

١١ - اعتقادهم بحياة البرزخ:

جاء النص في الكتاب المقدس على أن الأرواح بعد الموت تذهب إلى مكانٍ ما، سمَّاه العهد القديم «شئول» أي «الهاوية» وذكر له أوصافاً متعددة، فالهاوية هي المكان الذي تجتمع فيه الأرواح بعد الموت، وفيه يقع القصاص ويكون الثواب والعقاب، كما تقدم ذكره ضمن عقائد اليهود.

يقول السقا: «يقول النصارى في الأرواح بما يقول به اليهود، سواء بسواء، ولكنهم لما تكلموا في حياة البرزخ... لم يضبطوا كلامهم، وذلك لأنهم قالوا: إن أرواح السعداء عقب الموت مباشرة تكون مع المسيح في الفردوس...، وإن أرواح الأشقياء تظل في عذاب إلى أن تقوم القيامة، وسعادة الروح وشقاؤها في الحياة البرزخية تكون بقدر ضئيل هو أقل مما ينتظرها في الجنة أو النار»[٢].

وقد جاءت الإشارة إلى حياة البرزخ في إنجيل لوقا في قصة «لعازر» الفقير والغني ونصها: «كان إنسان غني، وكان يلبس الأرجوان والبز وهو يتنعم كل يوم مترفهاً، وكان مسكين اسمه «لعازر» الذي طُرِحَ عند بابه مضروباً بالقروح، ويشتهي أن يشبع من الفتات الساقط من مائدة الغني... فمات المسكين وحملته الملائكة إلى حضن إبراهيم، ومات الغني أيضاً ودُفِن، فرفع عينيه في الهاوية وهو في العذاب ورأى إبراهيم من بعيد و»لعازر» في حضنه، فنادى وقال: يا أبي إبراهيم

(١) ((حقيقة البيان)) (ص ١١٥).

(٢) ((حياة القبور)) (ص ٢٨٧).

ارحمني، وأرسل لعازر ليبل طرف أصبعه بماء ويبرد لساني لأني معذب في اللهيب. فقال إبراهيم: يا ابني اذكر أنك استوفيت خيراتك في حياتك وكذلك «لعازر» البلايا، والآن هو يتعزى وأنت تتعذب، وفوق هذا كله بيننا وبينكم هوة عظيمة قد أُثبِتَت، حتى إن الذين يريدون العبور من هاهنا إليكم لا يقدرون، ولا الذين من هناك يجتازون إلينا...»[1].

ففي هذا النص إشارة إلى النعيم والعذاب، وفيه أن للمنعم مقراً وللمعذب مقر، وبينهما فاصل بحيث لا يمكن لأحد الفريقين الذهاب إلى الآخر.

ويعتقد النصارى المعاصرون الكاثوليك[2] والأرثوذكس[3] والبروتستانت[4] بحياة البرزخ، وإن كان بينهم بعض التباين، حيث تقول الطائفة الكاثوليكية بالمحاكمة والمطهِّر، فعندهم: «إن روح الميت ستُحاكَم على الأعمال عقب الموت مباشرة، ونفوس الأخيار ستصعد إلى حيث يقيم المسيح، ونفوس الأشرار ستنزل مكاناً يسمى «المطهِّر» لتنال عذاباً على أعمالها السيئة»[5].

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ١٢٦ جـ)، إنجيل لوقا (١٦: ١٩ – ٢٦).

(٢) **الكاثوليك**: أكبر الكنائس النصرانية في العالم، تزعم أن مؤسسها بطرس الرسول، تتمثل في عدة كنائس تتبع كنيسة روما وتعترف بسيادة بابا روما عليها، وتسمى بالكنيسة الغربية أو اللاتينية.
انظر: ((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة)) (٢/ ٦١٠).

(٣) **الأرثوذكس**: أحد الكنائس الرئيسة الثلاث في النصرانية، انفصلت عن الكنيسة الكاثوليكية الغربية، لا تعترف بسيادة بابا روما عليها، ويجمعهم الإيمان بأن الروح القدس منبثقة عن الآب وحده، ويتركز أتباعها في المشرق.
انظر: ((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب المعاصرة)) (٢/ ٥٩٣).

(٤) **البروتستانت**: حركة دينية تنتظم مختلف الكنائس المسيحية ما عدا الكنيسة الكاثوليكية الرومانية، والكنيسة الشرقية الأرثوذكسية، وهناك تعاريف أخر.
انظر: ((موسوعة المورد)) (٨/ ٨٩)، و((دائرة معارف القرن العشرين)) (٢/ ١٦٤)، و((المجموعات العرقية والمذهبية)) (ص ١٣٨).

(٥) ((حياة القبور)) (ص ٢٨٧).

وهل يمكن لمن قُضِيَ عليها بالعذاب أن تنجو منه؟

الجواب: نعم، فعندهم أن «من الممكن فداء النفوس من عذاب المطهِّر بصدقات وأدعية وصلوات يوهب ثوابها إلى الموتى، وإذ يفعل ذلك عنهم، تتطهر النفوس من الخطايا، وتخرج من المطهِّر إلى حيث يقيم المسيح»[1].

ويُفهم من هذا أن عذاب القبر ليس بدائم، بل يمكن أن يتحرر منه مستحقه في المطهِّر بعمل الغير.

وفكرة المطهِّر[2] هذه لا تقرها الكنيسة الأرثوذكسية والبروتستانتية ولا تؤمن بها، جاء في كتاب «علم اللاهوت النظامي»: «وقد رفضت الكنائس الأرثوذكسية والإنجيلية فكرة المطهِّر، الذي لم يُذكَرْ شيء من أمره في المجامع المسكونية الأولى» ثم ذكر تصورهم لحقيقة الأمر بعد الموت، وأن الناس بعد الموت إما في نعيم أو عذاب، أراد إبطال ما أسموه بالمطهِّر، يقول: «أجساد البشر بعد الموت تعود إلى التراب وترى فساداً، وأما نفوسهم التي لا تموت ولا تنام فتعود حالاً إلى الله الذي أعطاها؛ لأن لها جوهراً غير قابل للموت، وحينئذ تصير نفوس الأبرار كاملة في الطهارة في السماوات العليا، حيث تشاهد وجه الله في النور والمجد وهي تنتظر فداء أجسادها الكامل، أما نفوس الأشرار فتُطرَح في جهنم حيث تبقى تحت

(١) ((حياة القبور)) (ص ٢٨٧).

(٢) فكرة المطهر هذه هي التي قادت إلى ما يسمى بصكوك الغفران عند الكاثوليك حيث روجوا لفكرة دينية مؤداها أن الإنسان إذا ارتكب خطيئة ثم ندم وتاب منها واعترف بها أمام القسيس، فإنه لا يدخل الجنة مباشرة بل يظل في المطهر حتى يتطهر من ذنوبه التي اقترفها، ويمكن تخفيف العذاب في المطهر بالحج إلى روما، ثم استعيض عنه بشراء صكوك الغفران، ثم توسعت فيه حتى زعمت أن أثرها يمتد إلى الموتى، وكان هدف الكنيسة جمع المزيد من الأموال فزعمت أن الصكوك تباع مقدماً لغفران جميع الذنوب السابقة واللاحقة.
انظر: ((أوربا في مطلع العصور الحديثة)) (ص ٤٠٨)، وانظر: ((الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)) (ص ١٤١).

العذاب والظلام التام محفوظة إلى حكم اليوم العظيم، ولا يحكم الكتاب المقدس عن مكان آخر غير هذين للنفوس المنفصلة عن أجسادها»[١].

فيتحصل مما تقدم أن الديانة النصرانية والتي تمثلها اليوم كبرى الطوائف المعاصرة من كاثوليك وأرثوذكس وبروتستانت تعتقد بحياة البرزخ، وأن بعد الموت نعيماً أو عذاباً للأرواح، وتنفرد الطائفة الكاثوليكية بالاعتقاد بالمحاكمة بعد الموت وما أسموه بالمطهِّر.

وبتذكر ما كُتِبَ عن عقيدة السلف في مقر الأرواح بعد الموت وما تَلقَاه من نعيم أو عذاب، وبتذكر التقسيمات التي تميزُ كل نوع من الأرواح يتبين الفارق بين ما يعتقده المسلمون وما يعتقده النصارى.

هذا وقد ذكر الأنبا غريغوريوس في إجاباته على بعض الأسئلة الموجهة إليه جملة من العقائد المتعلقة بالروح، وأسوق إليك طرفاً منها على إيجاز؛ للوقوف عن قرب على بعض عقائد النصارى المتعلقة بالروح في برزخها.

فلما سئل: هل تتعارف الأرواح بعد الموت؟

أجاب بأنها تتعارف، وذكر لذلك عدة شواهد كان من أوضحها قصة «لعازر» والغني المتقدم ذكرها، وقد علق عليها قائلاً: «ومن هذا يتضح أن الغني وهو في مقر العذاب المؤقت للأرواح قبل يوم الدينونة وهو الجحيم، رأى من بعيد أبا الآباء إبراهيم كما رأى «لعازر» في حضنه، فعرف كلاً منهما باسمه ولم تختلط في ذهنه الأشخاص، ولا الأسماء، ولم تضعف ذاكرته، ولم ينس قصته مع «لعازر» ولم يستنكر شيئاً مما حدث.

---

(١) ((علم اللاهوت النظامي)) (الفصل السابع والأربعون، السؤال التاسع)، وانظر: ((المعجم الموسوعي للديانات والعقائد)) (١/ ٣٠)، و((يا أهل الكتاب تعالى إلى كلمة سواء)) (ص ٢٦٢).

وفي القصة ما يدل على أن أبا الآباء إبراهيم عرف الغني كما عرف «لعازر» في حضنه، وذكَّره بماضيه، وماضي «لعازر» معه... هذا بالإضافة إلى أن في القصة دليلاً على أن المنتقلين يعلمون بالأحداث التي تجري على الأرض... هذا التعارف إذاً تم في العالم الآخر، وفي مقر الانتظار وقبل يوم القيامة العامة والدينونة»[١].

وفي تقريره ثبوت اللقاء بين الأرواح بعد الموت ذكر عدة شواهد مماثلة، كما استشهد بالرؤى المنامية في ثبوت اللقاء والتعارف بين الأحياء والأموات[٢].

واللقاء بين الأرواح حق عند المسلمين، وفيه تفصيلات يحسن الرجوع إليها ضمن عقائد السلف.

ولما سئل: هل يشعر الميت بعد وفاته بأهله؟ وهل تلازم الروح الجسد؟

أجاب: «أما أن الميت يشعر بأهله بعد وفاته فهذه حقيقة أثبتتها الكتب المقدسة، فضلاً عن خبرات التراث الإنساني عبر كل العصور، وعند جميع الشعوب»[٣].

وذكر لذلك شواهد كقصة «لعازر» مع الغني التي سبقت الإشارة إليها، واستدل له بأن الذين رحلوا من هذا العالم أحياء في العالم الآخر، قال: «وإذا كانوا أحياء فهم يعلمون ما يجري في عالمنا من أحداث، بل هم يكونون أكثر قدرة على هذه المعرفة مما كانوا في الجسد... فإذا خرجت الروح من الجسم بالموت، فالمعرفة تمتد بجميع أبعادها، أي للماضي والحاضر والمستقبل القريب»[٤].

قلت: لا يلزم من كون الذين رحلوا إلى العالم الآخر أحياءً علمهم بما يجري في

---

(١) ((في عالم الروح)) (٢/ ١٥٨ - ١٥٩).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (٢/ ١٦٠).

(٣) ((المصدر السابق)) (٢/ ١٦١).

(٤) ((المصدر السابق)) (٢/ ١٦٢).

عالمنا من أحداث، فزعم الأنبا أن الأرواح وهي في مقرها تعلم بأحداث الزمن بأبعاده الثلاثة ليس بصحيح، فإن الأرواح مشغولة في برزخها بما هي فيه من نعيم أو عذاب، ونصوص الوحي عند المسلمين أفادت علم الأموات المنعمين دون غيرهم ببعض أخبار الأحياء الذين تركوهم وراءهم، أو ماتوا بعدهم ولم يفدوا إليهم، ومصدر هذه الأخبار هو الأرواح القادمة إليهم من الدنيا بعد وفاة أصحابها، وهذه الأرواح الناقلة هي من جنس الأرواح المنعمة، فلو كانت الأرواح تعلم الواقع وما وقع وما سيقع بتلك الصورة اللامحدودة والتي ذكرها الأنبا لم يكن هناك حاجة لتلقي الأرواح القادمة واستخبارها، بل مثل هذه المزاعم يفرح بها مدَّعو تحضير الأرواح الذين يزعمون أنها تخبرهم بالماضي السحيق والمستقبل البعيد فضلاً عن الحاضر القريب.

أما: هل تلازم الروح الجسد فترة ما؟

فيذكر أن سِيَر الآباء تدل عليه دون الكتاب المقدس، يقول: «ليس في الكتاب المقدس معلومات كافية تفيدنا في الإجابة على هذا السؤال.

على أن في سِيَر الآباء المدونة بالسنكار وتاريخ الكنيسة ما يضيف إلى معلوماتنا في أن أرواح بعض الناس بعد الموت لازمت أجسادها بعض الوقت، لا في داخل أجسادهم بل من خارجها، وأنها لازمت الجثة أو التابوت الذي تحمله الجثة، وأنها كانت في بعض الأحيان تُصدِر أصواتاً مسموعة، تبدي الرغبة في دفنها في مكان معين... إلخ»[١].

إذن مِنَ النصارى مَنْ يعتقد بالصلة بعد الموت لكنها صلة خارجية مؤقتة، وليس لهم في هذا المعتقد أصل من السماء، وإنما قصص رويت ضمن سِيَر الآباء.

---

(١) انظر: ((في عالم الروح)) (٢/ ١٦٦).

وبالرجوع إلى عقيدة السلف نجد أن الروح لها اتصالات وتعلُّقات متنوعة بالبدن يحسن الرجوع إليها ضمن عقائدهم هناك للتذكر والمقارنة، وهي عقائد ثابتة بالدليل الذي لا يتطرق إليه الشك والريب.

ولما سئل: هل تتردد أرواح الموتى على عالمنا؟

أجاب بما خلاصته أن ظهور الأرواح بعد وفاة صاحبها سواء في الأحلام أو في شكل شبح ظاهرة طبيعية ولا غرابة فيها، فالأرواح تتردد على الأماكن التي لها صلة بها، ولاسيما إذا كان لها أشخاص متعلقة بهم.

إنها تشتاق إليهم، وتحنو عليهم، وهذا تعبير عن اهتمامها بهم حتى بعد مغادرتها للأرض[1].

قلت: أما في الأحلام فنَعَم، قد تظهر الأرواح، وأما في اليقظة فلا، فهذا معتقد فاسد لا أصل له، ومن وقع له شيء من ذلك فإما أن يكون وهم أو كذب، أو يكون شيطان تراءى له، فإن الأرواح مشغولة بما هي فيه من نعيم أو عذاب، وقد تقدم إيضاح هذه المسألة ضمن عقائد السلف بحمد الله.

ولما سئل: هل أرواح الموتى تعود إلى الأرض؟ وهل لها الحرية في الخروج والدخول والمجيء إلى العالم مرة أخرى؟

أجاب بأن «الروح بعد أن تخرج من الجسد تذهب في رحلة إلى مقر الانتظار الخاص بها، فأرواح القديسين تحملها الملائكة إلى الفردوس، وأما أرواح الأشرار فتتسلمها الشياطين وتنزل بها إلى الجحيم، وهو العالم السفلي.

وبعد أن تستقر الروح في مقر الانتظار الخاص بها، يمكن أن تتحرك كما تشاء

(١) انظر بتصرف: ((في عالم الروح)) (٢/ ١٩٢ – ١٩٣).

لتصنع خيراً إن كانت روحاً مقدسة، أو لتصنع شراً إن كانت روحاً شريرة، ثم تعود بعد ذلك إلى مقرها»[1].

واستشهد لذلك ببضعة أدلة من نصوص الكتاب المقدس، وهي عنده تفيد تجول الأرواح بعد الموت في عالم الأرض لتصنع خيراً أو شراً.

وهذا المعتقد لا يصح في دين المسلمين، فإن الأرواح مشغولة بما هي فيه في مقرها الذي هي فيه، والصلة بينها وبين أهل الأرض مقطوعة إلا ما كان في رؤيا المنام فهي حاصلة موجودة.

١٢ – اعتقادهم بالمعاد والمجازاة على الأعمال:

يعتقد النصارى بالحياة بعد الموت، وهم كما يذكر الدكتور مدكور: «صريحون في إثبات الحشر والنشر، والقول بحياةٍ بعد هذه الحياة»[2].

وهل البعث عندهم للأرواح أم للأرواح والأجساد؟

النصارى في هذا الباب فريقان: فمن قائل بهذا ومن قائل بهذا، وقد ذكر الشهرستاني هذا المعتقد مشيراً في عبارته إلى تقليل الفريق القائل ببعث الأرواح، فذكر أنهم يعتقدون «بقيام أبداننا والحياة الدائمة أبد الآبدين... وفيه إشارة إلى حشر الأبدان، وفي النصارى من قال بحشر الأرواح دون الأبدان، وقال إن عاقبة الأشرار في القيامة غم وحزن الجهل، وعاقبة الأخيار سرور وفرح العلم، وأنكر أن يكون في الجنة نكاح وأكل وشرب»[3].

وفي هذا النص أيضاً ذكر عاقبة الأشرار والأخيار بما يُفهَم منه أن العقاب والثواب والمجازاة معنوية، ويؤيده إنكارهم للنعيم الحسي من نكاح وأكل

(١) ((في عالم الروح)) (٢/ ٢٠٨ – ٢٠٩).
(٢) ((في النفس الإنسانية منهج وتطبيق)) (١/ ١٨٩).
(٣) ((الملل والنحل)) (١/ ٢٢٣ – ٢٢٤).

وشرب، وسيأتي ما يبطله من نصوص الإنجيل.

وذهب البغدادي إلى أن أكثر النصارى على القول بأن الثواب والعقاب إنما يكون للأرواح[١].

والحق الذي لا مرية فيه أن البعث يوم القيامة إنما يكون للأرواح والأجساد معاً، لا لهذه دون هذه، ولا لهذه دون هذه، ومن قال ببعث الأرواح والأجساد من النصارى فقد أصاب ووافق وحي السماء.

ويذكر صاحب كتاب «حقيقة النصرانية» أن عيسى - عليه السلام - قد صرح بعقيدة البعث هذه فقال: «صرح عيسى عليه السلام بالبعث الروحي والجسدي»[٢].

ويستشهد لذلك بقول المسيح - عليه السلام -: «وإن أعثرتك يدك فاقطعها، خير لك أن تدخل الحياة أقطع من أن تكون لك يدان وتمضي إلى جهنم...»[٣].

وقوله: «خير لك أن يهلك أحد أعضائك، ولا يُلقى جسدك كله في جهنم»[٤].

وفي إنجيل يوحنا جاءت الإشارة إلى بعث المقبورين: «الحق الحق أقولُ لكم: إنه تأتي ساعة - وهي الآن - حين يسمع الأموات صوت ابن الله والسامعون يحيون... لا تتعجبوا من هذا، فإنه تأتي ساعة فيها يسمع جميع الذين في القبور صوته، فيخرج الذين فعلوا الصالحات إلى قيامة الحياة، والذين عملوا السيئات إلى قيامة الدينونة»[٥].

---

(١) انظر: ((أصول الدين)) (ص ١٣٥).

(٢) ((حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة)) (ص ١٤٨).

(٣) ((الكتاب المقدس)) (ص ٧٢جـ)، إنجيل مرقس (٩: ٤٣ - ٤٥).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٩جـ)، إنجيل متى (٥: ٣٠).

(٥) ((المصدر السابق)) (ص ١٥٤جـ)، إنجيل يوحنا (٥: ٢٥ - ٢٩).

فهذا النص دليل على بعث الصالحين والطالحين، وهو «يؤكد أنهم يخرجون من الأجداث بأجسادهم بعد أن تُجمَعَ الأشلاء ويسعون إلى الحساب إن كانوا مسيئين، أما الصالحون فلا حساب عليهم، فالقيامة من القبر والعودة إلى الحياة الأخرى»[١].

وجاء في إنجيل برنابا: «أن بطرس قال للمسيح: أيذهب جسدنا الذي لنا الآن إلى الجنة؟

أجاب يسوع: احذر يا بطرس من أن تصير صدوقياً فإن الصدوقيين يقولون: إن الجسد لا يقوم أيضاً، وأنه لا توجد ملائكة، لذلك حَرُمَ على جسدهم وروحهم الدخول في الجنة، وهم محرومون من خدمة الملائكة في هذا العالم.

أنسيتم أيوب النبي وخليل الله، كيف يقول: أعلم أن إلهي حي، وأني سأقوم في اليوم الأخير بجسدي، وسأرى بعيني الله مخلصي»[٢]. ففيه التصريح ببعث الأرواح والأجساد، وأن الصدوقيين ينكرون ذلك.

فهذه النصوص وما شابهها تفيد إمكان بل وقوع البعث بشِقَّيه، و«يؤكد التعليم اللاهوتي المسيحي أن القيامة لابد حاصلة جسداً وروحاً، وهو حجر الزاوية وركن الأساس للمعتقدات المسيحية التي طالما نادت بها على مر العصور، حتى صار ضروري المعالم عندها»[٣].

وبهذا يُعلَم بطلان القول ببعث الأرواح فقط، وزعمُ أن نصوص الكتاب المقدس قد دلت عليه دون غيره زعمٌ فاسد، وما أوردوا لذلك من نصوص جعلوها أصلاً في البعث الروحي فهي دون شك نصوص محرفة ولابد؛ لمنافاتها

---

(١) ((أسس الديانتين الإسلام والمسيحية)) (ص ٢٥٦).

(٢) ((إنجيل برنابا)) (١٧٣: ٨ – ١٠) (ص ٢٦٢).

(٣) ((أسس الديانتين الإسلام والمسيحية)) (ص ٢٥٦).

للنصوص القطعية المعلومة من دين المسلمين، بل ومنافاتها لبعض نصوص الكتاب المقدس ذاته - كما مر -.

وقد ذكر أحمد حجازي بعض تحريفات النصارى البروتستانت، فذكر أن التوراة العبرية نصت بصراحة على البعث بالجسد والروح في قول أيوب: «اعلم أن إلهي حي، وأني سأقوم في اليوم الأخير بجسدي، وسأرى بعيني الله مخلصي»[١].

وقال: إن «النصارى البروتستانت حرفوا الترجمة إلى «وبدون جسدي» لقولهم ببعث الأرواح فقط، مستندين إلى قول بولس مؤسس الديانة النصرانية الحالية»[٢].

هذا وقد جاء ضمن نصوص الإنجيل ما يبطل قول مَنْ قال مِنَ النصارى بالعقاب والثواب الروحي دون الحسي، ففي «مرقس» قال المسيح لتلاميذه في العشاء الأخير: «الحق أقول لكم إني لا أشرب بعدُ مِنْ نتاج الكَرْمة إلى ذلك اليوم، حينما أشربه جديداً في ملكوت الله»[٣].

وفي لوقا: «أنتم الذين ثبتوا معي في تجاربي، وأنا أجعل لكم كما جعل لي أبي ملكوتاً لتأكلوا وتشربوا على مائدتي في ملكوتي، وتجلسوا على كراسيَّ تدينون أسباط إسرائيل الاثني عشر»[٤].

ففي هذه النصوص إثبات الأكل والشرب الأخروي وهذا من النعيم الحسي.

وجاء في «متى» ذكر المنازل والحقول والزوجات كنعيم حسي: «كل من ترك بيوتاً أو إخوة أو أخوات أو أباً أو أماً أو امرأة أو أولاداً، أو حقولاً من أجل اسمي

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٨١٠)، ((إنجيل أيوب)) (١٩: ٢٥ - ٢٦).
(٢) ((حياة القبور)) (ص ١٥٤).
(٣) ((الكتاب المقدس)) (ص ٨٣جـ)، ((إنجيل مرقس)) (١٤: ٢٥).
(٤) ((المصدر السابق)) (ص ١٣٧جـ)، ((إنجيل لوقا)) (٢٢: ٢٩، ٣٠).

يأخذ مائة ضعف، ويرث الحياة الأبدية»[١].

ففي هذا النص «وعد المسيح الذين اتبعوه وتحملوا المشاق والآلام من أجله أن تكون لهم في الآخرة مئة ضعف من البيوت والنساء والأولاد وغيره»[٢].

هذا ما يتعلق بالثواب الحسي، أما ما يتعلق بالعقاب الحسي، فيدل عليه «متى» ففيه «والعبد البطال اطرحوه إلى الظلمة الخارجية، هناك يكون البكاء وصرير الأسنان»[٣].

فهذا البكاء وهذا الصرير إنما هو نتيجة الألم الواقع على الأجساد التي عُذِّبَت بالنار والكبريت، ففي رؤيا «يوحنا»: «ثم تبعهما ملاك ثالث قائلاً بصوت عظيم: إن كان أحد يسجد للوحش ولصورته ويقبل سمته على جبهته أو على يده فهو أيضاً سيشرب من خمر غضب الله المصبوب صرفاً في كأس غضبه، ويُعذَّب بنار وكبريت... ويصعد دخان عذابهم إلى أبد الآبدين ولا تكون راحة...»[٤].

فهذه النصوص وما شابهها تردُّ على القائلين بالجزاء المعنوي فقط، بل هناك جزاء معنوي وهناك جزاء حسي، وهذا هو الحق، فإن الأرواح والأبدان هي مجموع الإنسان، وهي التي يقع عليها النعيم والعذاب يوم القيامة، وقد تقدم تقرير هذه المسألة وبسط أدلتها ضمن عقيدة السلف فلتُراجَع هناك.

١٣ – اعتقاد طوائف منهم بالتقمص:

الذين يعتقدون التقمص في النصرانية اليوم قلة، بعد أن «كان سائداً عند المسيحيين الأولين، فقد آمن به إيماناً راسخاً بعض آباء الكنيسة في عهودها الأولى،

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٣٥جـ)، ((إنجيل متى)) (١٩ : ٢٩).
(٢) ((الإسلام والأديان الأخرى)) (ص ٥١).
(٣) ((الكتاب المقدس)) (ص ٤٧جـ)، ((إنجيل متى)) (٢٥ : ٣٠).
(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٤١١جـ)، ((رؤيا يوحنا اللاهوتي)) (١٤ : ٩ – ١١).

ومن أشهرهم وأوفرهم علماً وفلسفةً: أوريجين origen (١٨٥ - ٢٥٤م) الذي كان رأيه في التقمص شبيهاً جداً بآراء الأفلاطونية والهندوسية والتصوف اليهودي»[١].

وكان منتشراً في القرنين الأول والثاني الميلاديين، لكن الكنيسة جعلت تقلل من أهمية عقيدة التقمص، حتى أجهزت عليه رسمياً في المجمع الكنسي الثاني المنعقد في القسطنطينية عام ٥٤٣ للميلاد، وأصبحت الكنيسة في أكثر مذاهبها لا تؤمن اليوم بالتقمص، بل بيوم القيامة الذي يُبْعَث فيه الأموات من القبور للحساب، لكن بقي بعض المسيحيين يؤمنون به معوِّلين على ما ورد في العهد الجديد من إشارات إليه[٢].

ولا بأس من ذكر بعض ما استدلوا به من نصوص العهد الجديد، والتي هي عند بعضهم إشارات واضحة إلى عقيدة التقمص، فكان مما أوردوه لهذا الغرض[٣] ما جاء في إنجيل لوقا لما سأل المسيح - عليه السلام - تلاميذه: «مَنْ تقول الجموع إني أنا؟ فأجابوا وقالوا: يوحنا المعمدان، وآخرون: إيليا، وآخرون: إنَّ نبياً من القدماء قام»[٤].

ومما عدوه إشارة على التقمص أيضاً سؤال التلامذة عن المولود الأعمى: «وفيما هو مجتاز رأى إنساناً أعمى منذ ولادته، فسأله تلاميذه قائلين: يا معلم مَنْ أخطأ هذا أم أبوه حتى ولد أعمى؟»[٥].

---

(١) ((صوت داهش)) (ص ٢٤).

(٢) انظر: ((صوت داهش)) (٢٤ - ٢٥)، و((أضواء علمية على العالم الآخر)) (١٠٥ - ١٠٦)، وفي ((العودة للتجسد)) (ص ٣٠ فما بعد).

(٣) انظر: في ((العودة للتجسد)) (ص ٢٦ - ٣٠)، و((صوت داهش)) (ص ٢٣ - ٢٤).

(٤) ((الكتاب المقدس)) (ص ١٠٩ - ١١٠ جـ)، إنجيل لوقا (٩: ١٨ - ١٩).

(٥) ((المصدر السابق)) (ص ١٦٤ جـ)، إنجيل يوحنا (٩: ١ - ٢).

ومنها مقولة بولس الرسول: «ما يزرعه الإنسان إياه يحصد»[١].

هذا بعض ما استدلوا به، ويزعمون أن «هذه الإشارات وكثير غيرها تفيد أن السيد المسيح وتلامذته كانوا يعرفون التقمص أو يؤمنون به»[٢].

والحق: أن عقيدة التقمص فاسدة من أصلها، وقد تقدم إبطالها، وما استُدِلَّ به من نصوص الكتاب المقدس مما جاء في العهد الجديد فهو إما نص محرف أو مبتور، فبالرجوع إلى العهد الجديد ظهر لي التدليس والتلبيس في بعض ما استدلوا به، ففي قصة سؤال التلاميذ عن ولادة الأعمى أغفلوا جواب المسيح - عليه السلام - وهو قوله - تتمة للنص الآنف -: «أجاب يسوع: لا هذا أخطأ ولا أبوه، لكن لتظهر أعمال الله فيه»[٣].

ففي هذا الجواب إبطالٌ للتقمص الذي زعموا أن النص الذي استدلوا به إشارة إليه؛ لأن المسيح -عليه السلام- لم ينسب الخطأ للأب ولا للابن، وعند أصحاب التقمص أن سببه خطيئةٌ وشرٌّ عمله الإنسان فلابد أن يكفِّر عن سيئاته بالتقمص حتى يطهر.

وأيضاً فإن المسيح بيَّن الغرض من خلق الأعمى حسب النص الإنجيلي، وأنه «لتظهر أعمال الله فيه» أي: الإعجاز والآيات التي جاء بها المسيح تدل على صدقه ونبوته، ومنها إرجاع البصر لفاقده، ويؤكد هذا: أنه جاء في تتمة الكلام أن المسيح: «تفل على الأرض وصنع من التفل طيناً وطلى بالطين عين الأعمى، وقال له: اذهب اغتسل... فمضى واغتسل وأتى بصيراً»[٤].

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (ص ٣١١جـ)، ((الرسالة إلى أهل غلاطية)) (٦: ٧).

(٢) ((صوت داهش)) (ص ٢٤).

(٣) ((الكتاب المقدس)) (ص ١٦٤جـ)، إنجيل يوحنا (٩: ٣).

(٤) ((المصدر السابق)) (١٦٤جـ)، إنجيل يوحنا (٩: ٦ - ٧).

وذكر بقية القصة، وفيها: أن جيرانه استغربوا حاله، وبعد سؤال منهم وجواب منه عن حاله قالوا في النهاية للأعمى: «... ماذا تقول أنت عنه من حيث إنه فتح عينيك؟ فقال: إنه نبي... منذ الدهر لم يُسمَع أن أحداً فتح عينَي مولود أعمى، لو لم يكن هذا من الله لم يقدر أن يفعل شيئاً...»(١).

وكذا يقال في نص غلاطية، فليس فيه دلالة على التقمص، وغاية ما فيه أن ما يفعله الإنسان من خير أو شر يُجْزَ به، والنص فيه الترغيب على فعل الخيرات واجتناب السيئات، وبالرجوع إلى آيات الإصحاح السادس من غلاطية تجد أنها تفيد هذا المعنى.

وبالجملة فجميع النصوص المقدسة التي يستدل بها التقمصيون على التقمص إما أن تكون نصوصاً محرفة أو مفهومة على غير وجهها الصحيح، إذ إن التقمص باطل بما تعني هذه الكلمة من معنى كما تقدم.

١٤ – اعتقاد طوائف منهم بتحضير الأرواح:

دعوى تحضير الأرواح قديمة، وسبق الكلام عن طرف منها عند الكلام عن عقائد اليهود في الروح، ولبعض النصارى قدم راسخة في الاعتقاد بتحضير الأرواح، وبعضهم الآخر يرفضها جملةً وتفصيلاً ولا يقرُّ بها ألبتة.

ويبالغ بعض الكتاب فيحاول إضفاء الشرعية على هذه الدعوى بزعم أن لها أصلاً في الكتب المقدسة، فهذا موريس شربل يقول: «يحفل الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد بسرد دقيق مفصل لظواهر روحية كثيرة، بل في الواقع لجميع الظواهر الروحية التي تكشف عنها تحقيقات العلم الروحي الحديث»(٢).

---

(١) ((الكتاب المقدس)) (١٦٥جـ)، إنجيل يوحنا (٩: ١٧ – ٣٣).

(٢) ((أضواء علمية على العالم الآخر)) (ص ٣٠).

ويذكر الأستاذ دزموند[١] أن من القساوسة من كان يقول بتحضير الأرواح، لكن تمنعه الرهبة من التصريح بهذا المعتقد، وإليك نصُّ كلامه المترجم من الإنكليزية كما أورده رؤوف عبيد في مُطَوَّله: «والذي أعرفه أنه يوجد في كنيسة إنجلترا وحدها نحو ثلاثمائة قسيس كانوا ومازالوا يعتنقون الروحية، وبعض هؤلاء القساوسة يشغل مناصب رفيعة في الكنيسة، وقليل منهم كان له من الشجاعة والمقدرة أن يقف بِجِواري منذ بضع سنين في لندن كما يشهد علناً بصحة اعتقاده في الروحية، وكثيرون يخشون أن يعلنوا للجمهور صدق العقيدة التي يعتنقونها ويعتقدون صحتها... وأذهب أبعد من ذلك... أنهم روحيون في قلوبهم، لكنهم يخشون الإفصاح خوفاً من أساقفتهم»[٢].

ويقول الدكتور جورج سيرل رئيس الكنيسة الكاثوليكية في سانت بول بنيويورك عنه إن «حقيقة وجود أرواح كما تنادي به الروحية الحديثة لم يعد موضع سؤال اليوم، حتى بين رجال العلم، إذ إن هؤلاء قد أجروا فيها الأبحاث، فكل من يعتبر ظواهرها سفسطة، أو كذباً، أو خداعاً، ما هو إلا شخص متأخر ليس إلا»[٣].

هذا.. ولئن اعتقد بعض النصارى بتحضير الأرواح فإن كثيراً منهم يرفضه ولا يؤمن به، بل عده بعضهم من البدع المحدثة في دين النصارى.

ومما يدل على هذا الرفض تخفي كثير من القساوسة وتكتمهم على ما تُكِنُّ

---

(١) شو دزموند **Shaw Desmond** أديب إيرلندي، وهو أحد مؤسسة المعهد الدولي للبحث الروحي بلندن، من مصنفاته: كيف تحيا عندما تموت.
انظر: ((مطوّل الإنسان روح لا جسد)) (٢/ ٦٨، ٦٨٩).

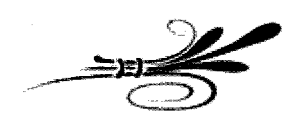
(٢) ((مطول الإنسان روح لا جسد)) (١/ ١٣٢).

(٣) انظر: ((مطول الإنسان روح لا جسد)) (١/ ١٣٥).

صدورهم من الاعتقاد به كما مر.

وقد تعجب رؤوف عبيد من معاداة هذا المعتقد عند كثير من رجال الكنيسة حيث يقول: «من يتابع موقف عدد كبير من رجال الكنائس من الحركة الروحية منذ ظهورها يأخذه العجب من الموقف العدائي الذي وقفه بعضهم، والموقف السلبي الذي وقفه ولايزال يقفه بعضهم الآخر، مما أثار مشاعر بعض الروحيين وأطلق ألسنتهم بالنقد لهذا الموقف»[١].

فالحاصل أن هذا المعتقد ليس محل اتفاق عند النصارى، بل هو موضع نقد ورفض عند طائفة من رجالاتهم، وسيأتي الكلام عن هذا المعتقد بتفريعات كثيرة في موضعه إن شاء الله.



---

(١) ((مطول الإنسان روح لا جسد)) (١/ ١٢٥).

الفصل الثالث

الروح عند المجوس

المجوس هم أتباع الديانة المجوسية، وهي من الديانات القديمة السابقة على الإسلام، وتعد من الديانات الحية اليوم، وقد أدرجتُ المجوسَ في هذا الفصل بصحبة أهل الكتب كونَ لهم شبهة كتاب[١] فناسب ذلك إيرادهم وذكر عقائدهم في الروح هنا.

وقد أطلقت لفظة المجوس على أتباع الدين الزرادشتي عامة[٢]، وعرفت الزرادشتية[٣] في المصادر العربية والإسلامية باسم الديانة المجوسية، وقد ورد ذكرها في القرآن باسم المجوس[٤].

وتقوم الزرادشتية اليوم في حدود ضيقة، وهي مقصورة على أتباعها[٥].

ويعد كتاب «الزندأفستا» مصدر التعاليم الزرادشتية، ويسمى: «الابستاق» في

---

(١) اختلف في المجوس من حيث هل هم أهل كتاب أو شبهة كتاب أو غيره، وقد عدهم طائفة من العلماء من أهل الذمة.
انظر حول هذه المسألة: ((الفكر الديني القديم)) (ص ١٩٣)، و((موسوعة الأديان الصابئة)) (ص٥٣، ٦٢)، و((زرادشت)) (٢٦ – ٣٠)، و((الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)) (ص ١١٦٤)، و((دراسات في الأديان القديمة)) (ص ١١٧)، و((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب)) (٢/ ١١٥٢).

(٢) انظر: ((الفكر الديني القديم)) (ص ١٨٤).

(٣) **الزرادشتية**: نسبة إلى زرادشت بن يورشب الذي ظهر في عهد الملك كشتاسب، وتسمى بالمجوسية؛ لأن قبيلة المجوس الفارسية هي أول من تبع الزرادشتية، وهم أهل شبهة كتاب يصالحون على ما هم عليه لكن لا تنكح نسائهم ولا تؤكل ذبائحهم، أتباعها قرابة ثلاثمائة ألف في إيران والهند وباكستان وأوربا وأمريكا وأفريقيا الجنوبية، وهي من الديانات المغلقة.
انظر: ((موسوعة الأديان الميسرة)) (ص ٢٧٩ – ٢٨١).

(٤) انظر: ((زرادشت والديانة الزرادشتية)) (ص ٥).

(٥) انظر: ((أصلح الأديان للإنسانية)) (ص ٥١).

العربية[١]، ولهم كتاب «الفسبرد» وهو خاص بالمراسم الدينية، وكتاب: «أليسنا» وهو خاص بالأدعية[٢].

والمرجع الديني الحالي للزرادشتيين يقطن إيران، ويسمى رستم شهزادي[٣].

عقائد المجوس في الروح:

وقد وقفتُ على جملة من العقائد المجوسية الزرادشتية المنسوبة لهذه الطائفة في مسألة الروح وما يتصل بها، ووجدتُ أن بعضها يوحي بأن له أصلاً سماوياً، فإلى هذه العقائد:

١ - اعتقادهم بوجود الروح:

يقول زين الدين المليباري[٤] من علماء القرن العاشر: «قد أشارت الزرادشتية إلى وجود الروح، إلا أنها لم تحدد ماهيتها ولا علاقتها بالجسد»[٥].

ويظهر إيمان الزرادشتية بالروح واعتقادهم بوجودها من خلال كلامهم عن حدوثها وقدمها وخلودها وما تلقاه بعد الموت من حساب وتنُّوعٍ في منازلها كما سيمر.

٢ - اعتقادهم بأن الروح مخلوقة وقديمة:

فالديانة الزرادشتية ترى أن النفس الإنسانية قد خلقها الإله بعد أن لم تكن[٦].

---

(١) انظر: ((المصادر الشرقية للفلسفة اليونانية)) (ص ١٠٩)، و((مروج الذهب)) (١/ ٢٧١).

(٢) انظر: ((العبادات في الديانات القديمة)) (ص ٤٢).

(٣) انظر: ((البيان في مقارنة الأديان)) (ص ١١٦).

(٤) **زين الدين بن عبدالعزيز بن زين الدين بن أحمد المعبري المليباري**، من أهل مليبار، وهي: إقليم كبير وسط الهند، من علماء القرن العاشر الهجري، شافعي، من أهل بيت علم ودين، من مصنفاته: ((فتح المعين بشرح قرة العين، ومختصر في أحاديث الموت))، توفي سنة: ٩٨٧هـ.
انظر: ((معجم المؤلفين)) (٤/ ١٩٣).

(٥) ((مختصر الموت)) وما بعده (ص ٢٣).

(٦) انظر: ((الفكر الديني القديم)) (ص ١٩).

ولهم في خلق الروح وأصلها فلسفة جاءت ضمن مقالات زرادشت وسؤالاته لأورمزد[١]، وقد ذكرها الشهرستاني في «الملل والنحل»، وفي السؤال الثالث منها قال زرادشت لأورمزد: «ممَّ خلق هذا العالم؟

قال أورمزد: خلقت جميع هذا العالم من نفسي، أما أنفس الأبرار فمن شعر رأسي، وأما السماء فمن أم رأسي...»[٢].

فهذا النص يفيد أن كل مخلوق يرجع في أصله إلى نفس أورمزد الإله بما في ذلك النفس البشرية على وجه العموم، إلا أن آخر النص أفاد أن أنفس الأبرار خُلِقَت من شعر رأسه، وهذا يعني تميز أنفس الأبرار في أصل مادة الخلق عن غيرها.

والاعتقاد بخلق الروح من شعر الإله أو من جزء من الإله اعتقاد فاسد، وبطلانه معلوم من دين المسلمين كما تقدم ضمن عقائدهم في الروح.

أما اعتقادهم بقدم الروح فلقولهم بتقدم خلقها على خلق الجسد، وقد ذكر العقاد خلاصة ما جاء به زرادشت حيث قال: «وخلاصة ما جاء به من جديدٍ في الديانة أنه أنكر الوثنية... وقال بأن خلق الروح سابق لخلق الجسد»[٣].

وجاء عن بعض الطوائف المجوسية ما يفيد ذلك، فالكيومرثية[٤] منهم تقول: «إن النور خير الناس وهم أرواح بلا أجساد، بَيْنَ أن يرفعهم عن مواضع «أهرمن»، وبَيْنَ أن يلبسهم الأجساد فيحاربون أهرمن، فاختاروا لبس الأجساد

---

(١) أورمزد: يسمي المجوس الله: «أورمزد، أو هرمز، أو هرمس» والإله «ايزد».
انظر: ((في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام)) (ص ١٥٩).

(٢) ((الملل والنحل)) (١/ ٢٨٥ - ٢٨٦).

(٣) ((كتاب الله)) (ص ٩٠).

(٤) الكيومرثية: أصحاب كيومرث وهو آدم عليه السلام، أثبتوا أصلين يزدان وأهرمن، وقالوا: يزدان أزلي قديم، وأهرمن محدث مخلوق.
انظر: ((الملل والنحل)) (١/ ٢٧٨).

ومحاربة «أهرمن»، على أن تكون لهم النصرة من عند النور، والظفر بجنود «أهرمن»، وحسن العاقبة، وعند الظفر به وإهلاك جنوده تكون القيامة»[١].

ويقول الحرنانيون منهم أن القدماء خمسة: «اثنان حيان فاعلان وهما الباري والنفس... وأما النفس - والمراد بها ما يكون مبدأ للحياة، وهي الأرواح البشرية والسماوية - فهي حية لذواتها وقديمة أيضاً، إذ لو كانت حادثة لكانت مادية وفاعلة في الأجسام التي تعلقت بها تعلق التدبير والتصرف»[٢].

وقد تقدم ضمن عقائد السلف تقرير أن الروح مخلوقة حادثة، وأن القول بقدمها كلياً أو نسبياً قول باطل لا يصح.

٣- اعتقادهم بقدم روح زرادشت وتميزها:

أما قدمها وتميزها عن سائر الأرواح؛ فلأنهم زعموا كما يذكر الشهرستاني أن الله خلق «الشمس والقمر والكواكب والأرض، وبني آدم غير متحركة ثلاثة آلاف سنة، ثم جعل روح زرادشت في شجرة أنشأها في أعلى عليين، وأحَفَّ بها سبعين من الملائكة المكرمين، وغرسها في قلة جبل من جبال أذربيجان يعرف باسم «ويذخر».

ثم مازج شبح زردشت بلبن بقرة فشربه أبو زردشت فصار نطفة ثم مضغة في رحم أمه...»[٣].

وهذا المعتقد -ولا شك- من الأساطير والخرافات التي نُسِجَت حول شخصية زرادشت ولا يصح منها شيء، ومعلوم من دين المسلمين أن خلق الأرواح متأخر عن خلق الأبدان.

---

(١) ((الملل والنحل)) (١/ ٢٧٩).

(٢) ((المواقف)) (١/ ٣٧٣).

(٣) ((الملل والنحل)) (١/ ٢٨٢).

٤- اعتقادهم بتجسد الروح الإلهية في زرادشت:

هذا يعني أن زرادشت كان شخصية مؤثرة حتى نُسِجَت حوله الأساطير والخرافات فتجد فيها «ما يدل على اعتقاد قدامى الإيرانيين بأن زرادشت هو روح إله، وأن هذه الروح التي تقمصت جسد هذا المخلوق البشري هبطت من السماء إلى الأرض وحلت برحم أمه فحملته ثم ولدته بشراً سوياً»[١].

ولو نقب الباحث عن كيفية هذا التجسد كيف حصل؟

لقالوا: إن الله قد نفخ في رحم أم زرادشت من روحه، فتقمصت روحُ الله جسدَ زرادشت، فنشأ جامعاً بين اللاهوت والناسوت على نحو ما يعتقده النصارى في المسيح[٢]، وقد ادعته قبل ذلك الهندوسية وبعض المذاهب البوذية[٣].

ويستقي الزرادشتية عقيدة التجسد من أساطير «الزند أفستا»[٤] ففيها تصوير لكيفية انتقال الروح الإلهية من السماء السابعة إلى الأرض وحلولها بالطفل زرادشت بعد تنقلها بين الكواكب بزعمهم، ومما جاء فيه: «إن الروح الإلهية التي سكنت في السماء السابعة، والتي تأخذ شكل هالة نورانية، وأحياناً شكل حمامة بيضاء، وهذه الروح التي خلقها الإله الكبير هو «رامزدا» تختار من البشر من تتوسم فيه العظمة والسمو، وعندما تجده تهبط عليه فتتجسد _ تدخل - فيه، وعند

---

(١) ((زرادشت الحكيم بين قدامى الإيرانيين)) (ص ٣٣).

(٢) انظر: ((الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)) (ص ١٥١)، و((الإنسان في ظل الأديان)) (ص ٢٤١).

(٣) انظر: ((البحث عن منقذ)) (ص ٧٢).

(٤) **الزندأفستا:** تعني العلم والمعرفة، وهي تفاسير لكتابهم الأفستا.
انظر: ((تيارات الفلسفة الشرقية)) (ص ٢٣).

ذلك يصبح صاحب الجسد ذا شأن عظيم بين قومه، هكذا يختار الإله نبيه الذي يكلفه بالتبشير بديانته»(١).

وفي فلسفة الهبوط يقولون: «هبطت بأمره من السماء السابعة بؤرةُ النور الإلهية إلى الشمس ثم إلى القمر ثم إلى النجوم ومنها إلى الموقد المشتعل في منزل «فراهيم»، ومن الحطب الملتهب في الموقد انتقل النور الإلهي إلى زوجته الحامل، التي وضعت بعد فترة وجيزة أنثى أسموها «دغوفا»(٢).

ثم يذكرون أن «بورشاسبا» والد زرادشت تزوج «بدغوفا» والدته، وأن الملائكة تراءت له وأمرته أن يقدم لها لبناً بعد أن يمزجه بغصن «الهاوما»، ولما فعل ذلك مر الجوهر الروحي من خلال اللبن إلى زوجته «بدغوفا»، ولما اقترن بها علقت منه، ثم يذكرون أحداثاً ومواقف صحبت ولادة زرادشت ولا فائدة كبرى من ذكرها(٣).

وهناك أساطير أُخَر من جنس هذه الأسطورة الخرافية التي تفيد اعتقاد المجوس بالتجسد(٤).

٥- اعتقادهم بخلود الروح:

يعتقد الزرادشتية بخلود الروح وبقائها بعد فراق البدن «وفي فارس كان الفرس القدامى يؤمنون بالخلود، ويستفاد من تعاليم زرادشت التي تقول بأن الروح ليست فانية»(٥).

---

(١) ((زرادشت والديانة الزرادشتية)) (٣٢ – ٣٣).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٣٣).

(٣) انظر: ((المصدر السابق)) (٣٤ – ٣٥).

(٤) انظر: ((زرادشت الحكيم)) (ص ٢٣)، و((فلاسفة الشرق)) (ص ١٤٦).

(٥) ((أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم)) (ص ١٤١)، وانظر: ((تاريخ أهل الذمة في العراق)) (ص ٢٢٥).

وهذا المعتقد يقول به الزرادشتية المعاصرون ويجعلونه أحد أصول الدين عندهم، يقول رستم شهزادي المرجع الديني الأعلى للزرادشتيين في إيران: «أما أصول ديننا فهي ستة» وَعَدَّ منها «بقاء الروح»[١].

وهذا المعتقد يتناسب مع اعتقادهم بنعيم الأرواح وعذابها والبعث بعد الموت كما سيمر.

٦- اعتقادهم بزيارة الأموات للأحياء:

يزعم الزرادشتية أن أرواح موتاهم تزورهم في بعض الأعياد، تاركةً منازلها الأخروية فيهيؤون منازلهم بالنظافة والأطعمة والأشربة والأطياب يستقبلون بها الأرواح الوافدة، يقول كتاب زرادشت: «كان الزرادشتيون يعتقدون أن أرواح موتاهم تزورهم في «الكهانبار» السادس عيد «همس بثما ئدية» والذي كانوا يحتفلون به في آخر السنة لمدة خمسة أيام متتالية، تسمى الأيام المسترقة، وكانت هذه الأيام في الأصل عيد للموتى، فكان الناس يضعون الأطعمة على الدكمات ليأكلها الموتى، أما الأشربة فكانوا يضعونها على سطوح المنازل والبيوت؛ لأنهم كانوا يعتقدون أن أرواح موتاهم تترك في هذه الأيام مواضع ثوابها أو عقابها وتأتي إلى أماكنها القديمة، فتشرب وتأكل من الأطعمة التي أعدها ذووها، وكان أهل الموتى يدخنون بيوتهم بالراسن ليستلذ الموتى برائحته»[٢].

وهذا المعتقد يرفضه الإسلام، فإن الأرواح لا تغادر بعد الموت موطن نعيمها أو عذابها إلى أهل الدنيا، فهي مشغولة بما أُعدَّ لها في دار معادها الأول.

ثم إن الزرادشتية كما يُفْهَم من النص الآنف الذكر يسوون بين الأرواح المنعمة

---

(١) من ((قاموس الأديان الصابئة الزرادشتية اليزيدية)) (ص ٥٥).

(٢) ((زرادشت والديانة الزرادشتية)) (ص ١١٥).

والمعذبة حيث يفد الجميع ويستلذ الكل بما يقدمه أهل الدنيا، وهذا من البدع التي لا أصل لها، وسيمر بنا -إن شاءالله- في الديانة اليونانية والرومانية ما يشبه هذا المعتقد.

٧- اعتقادهم بالنعيم والعذاب وتمايز الأرواح بعد الموت:

يعتقد الزرادشتية بحياة البرزخ، وأن الأرواح بعد الموت إما منعمة وإما معذبة بحسب ما قدمت من أعمال في دنياها.

وقد عد الزرادشتية الثواب والعقاب من أصول الدين الستة عندهم[١].

ولهم في أحوال الروح بعد الموت وما تلقاه من نعيم أو عذاب فلسفة تفيد تأثرهم بأصل سماوي فيما يعتقدون، ويذكر بعض الباحثين أن زرادشت كان «أول من أشار إلى فكرة وجود حياة ثانية بعد الموت في منطقة آسيا، إذ أشار إلى أن الإله «أهورامزدا» وإن كان يجزي الإنسان الصالح على أعماله في هذه الدنيا إلا أن العقاب والثواب الحقيقيين على أعمال الإنسان يكونان بعد الموت، فيحاكَم في محكمة الرب ويُجزَى وفق أعماله التي قام بها في هذه الدنيا»[٢].

وقد أشار غير واحد من الباحثين إلى قضية محاكمة الأرواح ومجازاتها بعد الموت[٣].

وكان من عادات الزرادشتيين أن يتركوا جثة الميت بين أهله وذويه عقب الموت لمدة ثلاثة أيام، تحلق فيها الروح فوق الجسد؛ ولذلك يقومون ببعض الشعائر في تلك الأيام من أجل إيناس الروح وطلب المغفرة لصاحبها من «أهورامزدا».

---

(١) انظر: ((من قاموس الأديان: الصابئة الزرادشتية اليزيدية)) (ص ٥٥).

(٢) ((زرادشت)) (ص ١١٠).

(٣) انظر: ((الديانات الوضعية المنقرضة)) (ص ٢٢٧)، و((الأديان في القرآن)) (ص ٨٨)، و((المعتقدات الدينية لدى الشعوب)) (ص ١٤٤)، و((تاريخ جهنم)) (ص ٢٦).

وفي اليوم الرابع -وبعد ابتهالات معينة- يُغْسَل الميت، ويُنْقَل في موكب مهيب إلى أبراج الصمت، وتسمى عندهم «الدخما»، ويصحب ذلك مراسيم معينة، وعند الوصول إلى البرج، يقرأ عليه الناسك ترانيم وابتهالات خاصة بالموتى، تسمى «كمتا مزدا» وبعدها تُلقَى الجثة على «الدكما» لتلتهمها الطيور الجارحة والكلاب والوحوش الكاسرة[١].

ما الذي يحدث للروح بعد إلقاء الجثة على «الدكما»؟

في هذا اليوم - وهو الرابع - تذهب الروح إلى المحكمة الإلهية «آكا داوكه» حيث تقوم الملائكة بوزن أعماله التي قام بها في الدنيا بملء اختياره، ومن ثم تُصْدِر حكمها العادل، وتغادر الروح المَحْكَمة حتى تصل إلى ما أسموه بجسر المفصل أو «جينفات» بمعنى جسر الامتحان، المختبر، المقرر، العارف مجدداً، والذي يربط بين السماء والأرض[٢].

وبعد مرور الأرواح على هذا الجسر تصفى لتأخذ مقرها المناسب لها، وقد وجدتُ أن الأرواح عندهم يمكن تقسيمها حسب المقر والدار التي تسكنها أو تمر بها إلى أربعة أقسام[٣]:

الأول: الأرواح الطيبة ومقرها الجنة:

وهي الأرواح المؤمنة والصالحة فهذه تمر على الجسر بسرعة فائقة وهي مطمئنة إلى المصير الذي ينتظرها عندما تصل إلى الجانب الثاني، وهو بيت الخلود أو الجنة،

---

(١) انظر: ((زرادشت)) (ص ١١١- ١١٣).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ١١٣).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص ١١٣ – ١١٧)، و((قصة الديانات)) (ص ٣١٢ – ٣١٣)، و((الفكر الديني القديم)) (ص ١٨٨)، و((الديانات الوضعية المنقرضة)) (ص ٢٢٦ – ٢٢٨).

حيث تستقبل الروحَ في نهاية الجسر فتاةٌ عذراء، حورية في الخامسة عشر من عمرها، وهي صبية متيقظة رائعة الحسن ذات ذراعين أبيضين، أنيقة المظهر، رشيقة، ناهدة الصدر، تستقبل الروح مرحبة بها، وتقودها إليها لتعيش مع «أهورامزدا» سعيدة منعمة إلى أبد الدهر[١]، يعني إلى يوم القيامة العامة[٢][٣].

الثاني: الأرواح الشريرة ومقرها الجحيم:

وهي أرواح الكفار، فهذه بعد المحاكمة تهب عليها الرياح والأعاصير الشديدة، وعندما تصل الجسر الذي يكون حاداً كالسيف تتلقاها فتاة قبيحة الشكل تخبرها بأقوالها وأعمالها السيئة في الدنيا، وتقودها إلى الجسر لتمر عليه فترتجف من الفزع والخوف، ولا تستطيع أن تجتاز الجسر بما تحمل من ذنوب فتهوي في غياهب الجحيم بما يتناسب عمقه مع عدد الخطايا التي تكون الروح قد اقترفتها[٤].

وهذا الجحيم: عبارة عن هاوية مظلمة تثير الرعب، وتُضْرَب فيه الأرواح المذنبة حتى الأبد[٥]، وتصير عبداً لأهرمن[٦].

الثالث: الأرواح متساوية الأعمال ومقرها بين الجنة والجحيم:

وهي أرواح تعادلت أعمالها الطيبة والرديئة وزناً ومقداراً، فتبقى في مكان خاص بين الجنة والجحيم يسمى «هميشتيكان» حيث لا عقاب ولا ثواب حتى

---

(١) انظر: ((زرادشت)) (ص ١١٤)، و((قصة الديانات)) (ص ٣١٢).

(٢) **القيامة عندهم نوعان**: قيامة فردية، وهي البعث الفردي الذي يتم بعد الموت وفيه يحاسب المرء على أعماله.

وقيامة عامة: وهي التي يقوم فيها الموتى وتعود الحياة إلى الأجساد.

انظر (ملخصاً): ((الديانات الوضعية المنقرضة)) (ص ٢٢٦ – ٢٢٨).

(٣) انظر: ((الديانات الوضعية المنقرضة)) (ص ٢٢٧).

(٤) انظر: ((زرادشت)) (ص ١١٤)، و((الديانات الوضعية المنقرضة)) (ص ٢٢٧ – ٢٢٨).

(٥) ((قصة الديانات)) (ص ٣١٣).

(٦) انظر: ((الفكر الديني القديم)) (ص ١٨٨).

يوم القيامة، حيث تعاد محاكمتها والحكم عليها نهائياً[١].

وهذا القسم يمكن تسميته بمقر الأرواح المعطلة؛ لأنه لا يشغلها فيه نعيم أو عذاب، بل هي في انتظار القيامة العامة ليُقْضَى لها أو عليها.

الرابع: الأرواح المخلطة ومقرها الجنة بعد تطهيرها في الجحيم:

وهي الأرواح التي جمع أصحابها بين الحسنات والسيئات «فإذا كانت حسنات الإنسان ترجح سيئاته قاسى عذاباً مؤقتاً يطهره من الذنوب فيغادر الجحيم إلى الفردوس.

وإذا كان قد ارتكب كثيراً من الخطايا وبعض الخير، فسيلبث في العذاب اثني عشر ألف عام ثم يذهب إلى الجنة»[٢].

هذا هو مقر الأرواح وما تلقاه بعد الموت، وتبقى فيه «حتى يوم القيامة حيث يرد أهورامزدا إلى الأرواح أجسادها على أن تحاكم ثانية في الآخرة»[٣].

فتحصَّلَ مما سبق:

أن الأرواح بعد الموت إما في نعيم دائم، وهي أرواح المؤمنين في الجنة، وإما في عذاب دائم، وهي أرواح الكافرين في النار، وإما معطلة عن هذا وهذا، وهي أرواحُ مَنْ تساوت حسناتهم وسيئاتهم في منزلة بين المنزلتين.

وإما في عذاب مؤقت، يطول إن كثرت الخطايا، ويقصر إن قلَّت، ثم إلى الجنة، وهي أرواح قوم جمعوا بين الحسنات والسيئات دون تساوٍ بينها.

---

(١) انظر: ((زرادشت)) (ص ١١٥)، و((الأديان في القرآن)) (ص ٨٩).

(٢) ((زرادشت)) (ص ١١٧)، وانظر: ((قصة الديانات)) (ص ٣١٣).

(٣) ((تاريخ أهل الذمة في العراق)) (ص ٢٢٥)، ((عن إيران في عهد الساسانيين)) (ص ١٣٧)، لمؤلفه: كرستين، آرثر، ترجمة: يحيى الخشاب، ط لجنة التأليف والترجمة (١٩٥٧م)، القاهرة.

فهذه أربعة أقسام يعتقدها الزرادشتيون في مقر الأرواح ومصيرها بعد الموت، وهي تُشْعِرُ بأن لها أصلاً سماوياً قد تأثرت به؛ لأن بعض ما يذكرونه في البرزخ يشبه بعض ما يعتقده المسلمون لمن تبصر.

٨- اعتقادهم بالبعث والحساب ومجازاة الأعمال:

الاعتقاد بيوم القيامة من العقائد الثابتة عند الزرادشتيين، بل هو أصل من أصول الدين الستة عندهم، يقول رستم شهزادي: «أصول ديننا ستة»، وعد منها «المعاد في يوم القيامة»[١].

ومما جاء في بعض كتبهم تقريراً لعقيدة البعث: «يُبْعَث الموتى وتعود الحياة إلى الأجسام، وتتردد فيها الأنفس، ويخلو العالم المادي كله إلى أبد الدهر من الشيخوخة والموت والفساد والانحلال»[٢].

وكان مما يترنم به زرادشت في صلاته، والصلاة عنده «دعاء إلى أهورا مزدا في كل مناسبة تتطلب ذلك...: أرجو منك أيها الرب الخالق المطلق القدير أن تغفر لي ما ارتكبت من سيئات، وما دار بخلدي من تفكير سيئ، وما صدر عني من قول أو عمل غير صالح.

إلهي إنني أرجو منك أن تباعد بيني وبين الخطايا حتى أُحْشَرَ يوم الدين مع الأطهار والأخيار»[٣].

فهذا الدعاء ظاهر الدلالة في الاعتقاد بيوم الدين.

وأما ساعة البعث وخراب العالم فتكون في نهاية الصراع بين قوى الخير التي

---

(١) من ((قاموس الأديان الصابئة)) (ص ٥٤ – ٥٥)، و((البيان في مقارنة الأديان)) (ص ١١٦).

(٢) ((قصة الديانات)) (ص ٣١٣).

(٣) ((زرادشت الحكيم)) (ص ٩١ – ٩٢).

يمثلها «أهورا مزدا» وقوى الشر التي يمثلها «اهريمان» حيث تنتصر قوى الخير وتكون لها الغلبة، وكان زرادشت يقرر هذا المعتقد فيقول في أحد حواراته مع الكهنة: «يوم الحساب قريب، وفي ذلك اليوم ينتصر الإله الواحد على الشر، وعندئذ يُبْعَث الموتى، ويقع النجم المُذَنَّب على الأرض فتشتعل وتذوب جميع المعادن، فتنتشر على الأرض كأنها السيل الملتهب.

وعلى كل الناس الأحياء والأموات المبعوثين أن يعبروا مجرى السيل الذي يبدو للأرواح الخيرة وكأنه لبن دافئ، فيطهرهم المرور به، ويمضون منه إلى الجنة... أما الأرواح الشريرة فتظل تحترق إلى الأبد خالدة في المعدن الملتهب، وعندئذ يطرد الإله الخيِّرُ روحَ الشر وكل من يتبعه من الأرواح الخبيثة إلى وسط الأرض ويدعها فيها إلى الأبد.

وفي ذلك اليوم يبدأ العالم السعيد الخالد الذي لا شر فيه ويدوم سرمدياً»[1].

ومن هذا النص يُعْلَم أن البعث عندهم للأرواح والأجساد معاً، وأن القيامة تقع على جميع الناس من الأحياء ساعتها ومن المبعوثين، وعلى الجميع أن يعبروا السيل الملتهب، فيجتازه الأخيار إلى دار السعادة ويبقى فيه الأشرار يحترقون.

وهذا الاعتقاد المشوه يُشْعِرُ بأنه يمتد إلى أصل سماوي استقاه الزرادشتيون محرفاً أو هم حرفوه وزادوا فيه أو أنقصوا منه وبنوا حوله الأساطير حتى أصبح بهذه الصورة التي تختلف في كثير من تفصيلاتها عما جاء به الإسلام.

٩- اعتقادهم بالرجعة بعد الموت:

يعتقد الزرادشتية بظهور أحد رجالات المذهب الذين نص عليهم زرادشت بالاسم، يعود بعد غيبة، وتكون مهمته إظهار العدل وإماتة الجور، ويظهر في

---

(١) ((قصة الديانات)) (ص ٣٠٠ – ٣٠١).

عهده الخير وتزول الشرور، وقد ذكر الشهرستاني خبر زرادشت ونبوته في ذلك حيث قال: «ومما أخبر به زرادشت في كتاب «زند أوستا» أنه قال: سيظهر في آخر الزمان رجل اسمه «أشيزريكا» ومعناه: الرجل العالم، يزين العالم بالدين والعدل، ثم يظهر في زمانه «بتياره» فيوقع الآفة في ملكه عشرين سنة، ثم يظهر بعد ذلك «أشيزريكا» على أهل العالم، ويحيي العدل، ويميت الجور، ويرد السنن المغيرة إلى أوضاعها الأول، وتنقاد له الملوك، وتتيسر له الأمور، وينصر الدين الحق، ويحصل في زمانه الأمن والدعة وسكون الفتن وزوال المحن»[١].

والاعتقاد بالرجعة بعد الغيبة أو الموت له نظير عند بعض الطوائف المنتسبة للإسلام كالشيعة، بل وجدتُ أن بعض الباحثين ينص على أن فكرة المهدي عند الشيعة ظهرت أولاً في المنطقة التي انتشرت فيها الزرادشتية[٢] فتكون هذه العقيدة هي بذرة العقائد المشابهة لها لدى كثير من الطوائف المنتسبة للإسلام.

١٠- اعتقاد بعض طوائفهم بالتناسخ:

ذهبت المانوية[٣] من طوائف المجوس إلى القول بالتناسخ، فهذا إمامهم الأول «ماني»[٤] قال فيما نقله البغدادي ما نصه: «إن الأرواح التي تفارق الأجسام نوعان: أرواح الصديقين وأرواح أهل الضلالة.

فأرواح الصديقين إذا فارقت أجسادها سرت في عمود الصبح إلى النور الذي

---

(١) ((الملل والنحل)) (١/ ٢٨٤ – ٢٨٥).

(٢) انظر: ((زرادشت والعقيدة الزرادشتية)) (ص ١٩١).

(٣) **المانوية**: أصحاب ماني بن فاتك الحكيم، أحدث ديناً بين المجوسية والنصرانية، وقال بنبوة المسيح عليه السلام دون نبوة موسى عليه السلام.
انظر: ((الملل والنحل)) (١/ ٢٩٠).

(٤) **ماني بن فاتك الحكيم** الذي ظهر في زمان سابور بن أردشير، كان مولده ٢١٦م في بلاد فارس، وقتله بهرام بن هرمز بن سابور، وذلك بعد عيسى عليه السلام، ادعى النبوة، ودعي أتباعه المانوية.
انظر: ((الملل والنحل)) (١/ ٢٩٠)، و((موسوعة الأديان الميسرة)) (ص ٤٣٥).

فوق الفَلَك، فبقيت في ذلك العالم على السرور الدائم.

وأرواح أهل الضلال إذا فارقت الأجساد وأرادت اللحوق بالنور الأعلى رُدَّت منعكسة إلى السفل، فتتناسخ في أجسام الحيوانات إلى أن تصفو من شوائب الظلمة، ثم تلتحق بالنور العالي»[1].

ولم يكن القول بالتناسخ قصراً على المانوية بل كانت «الخرمدينية» منهم وهو لقب للمزدكية[2] تميل إلى التناسخ كما يذكر الشهرستاني في الملل والنحل[3].

وعقيدة التناسخ عند المجوس من العقائد الوافدة من الديانات الهندية كما يذكر أصحاب الموسوعة الميسرة[4] ويذكرون أنه أصبح من لوازم هذا المعتقد عند المانوية الاعتقاد بعدم انقطاع النبوة والرسالة، فيعتقدون أنه إذا مات رسول حلت روحه في بدن آخر مختار لحمل الرسالة وتولى أداءها، الأمر الذي ترك آثاره السيئة على الأمة الإسلامية فظهرت دعاوى النبوة المزعومة في التاريخ الإسلامي وبخاصة عند غلاة الشيعة[5].

والقول بالتناسخ قول فاسد تقدم إبطاله والرد على القائلين به.



(١) ((الفرق بين الفرق)) (ص ٢٧١).

(٢) المزدكية: تنسب إلى مزدك الذي ظهر أيام قباذ، من مذهبهم: أن الناس شركاء في الأموال والنساء كشراكتهم في الماء والنار والكلأ، دامت فتنتهم إلى أن قتلهم أنو شروان.
انظر: ((الفرق بين الفرق)) (ص ٢٤٩)، و((الملل والنحل)) (١/ ٢٤٩).

(٣) انظر: (١/ ٢٨١).

(٤) انظر: ((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب)) (١/ ١٠٣٢).

(٥) انظر: ((المصدر السابق)) (١/ ١٠٥٠).



الفصل الرابع

الروح عند الصابئة

المقصود بالصابئة هنا: الصابئة المندائية، وقد يُسَمَّون «صابئة البطائح أو المغتسلة»[١] لا الصابئة الحرنانية الوثنية، فثمة فرقٌ بين الصابئة المندائية والحرنانية.

المندائية تُلْحَقُ بأهل الكتاب، ويُعَدُّون ممن له شبهة كتاب، جاء في الموسوعة الميسرة: «الصابئة المندائية: هي طائفة الصابئة الوحيدة الباقية إلى اليوم، والتي تعتبر يحيى -عليه السلام- نبياً لها، ويقدس أصحابُها الكواكبَ والنجوم ويعظمونها... يجيز أغلب فقهاء المسلمين أخذ الجزية من معتنقيها أسوة بالكتابيين من اليهود والنصارى»[٢].

أما الحرنانية فهم «عبدة الأوثان والنجوم من الذين كانوا يسكنون أرض العرب (صابئة)، وهم المعنيون (بالصابئة الحرانيين) الساكنين مدينة حران، والذين في حقيقتهم لا علاقة لهم بالصابئة الذين ذكرهم القرآن الكريم»[٣].

ويرى بعض المؤرخين أن الحرانيين أصلهم أهل أوثان، لكن تسموا بالصابئة للاستفادة من عدل الإسلام فهو يقول: «إن الصابئة الأصليين (المندائي) قد كانوا في حران في الوقت الذي كان يقطنها قوم وثنيون متفلسفون فارون من اضطهاد الكنيسة، وقد تسمى هؤلاء الوثنيون باسم الصابئة للاستفادة من التسامح الديني في العصر الإسلامي، الذي قدمه لأهل الكتاب»[٤].

وعلى كل حال فالحرانييون انقرضوا، وتختلف معتقداتهم في بعض الشيء

---

(١) انظر: ((الأحناف)) (ص ١١٤).

(٢) ((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب)) (٢/ ٧٢٤).

(٣) ((العبادات في الديانات القديمة)) (ص ٥٨).

(٤) ((الأحناف)) (ص ١١٤).

عن المندائيين الحاليين، وهم صابئة البطائح المنتشرون على ضفاف الأنهر الكبيرة جنوب العراق وإيران[١].

أما مصدرهم الذي يستقون منه عقائدهم فصحف آدم الذي يسمونه «كنزاربا» أي الكنز العظيم، فهو كتابهم المقدس، ولهم كتب أخرى[٢].

وبالنسبة للـ«كنزاربا» فقد تُرْجِمَ في أيام هارون الرشيد واختفى أثره، وصدرت له ترجمة مشوهة ببغداد عام ١٩٩٧م[٣].

هذا وقد صحب هذه الديانة شيء من السرية والغموض حول عاداتها وعباداتها وعقائدها، حتى عدها جمع من الباحثين من الديانات المغلقة الشائكة المجهولة.

يقول «بارندر»[٤] واصفاً لحالهم: «هم جماعة سرية خفية للغاية، والكهنة وحدهم مسموح لهم بقراءة أكثر النصوص الدينية أهمية»[٥]، بل لا يحق لغير الكهنة الاحتفاظ بالنصوص الدينية أو تلاوتها[٦]، والصابئة عموماً «لا يصرحون بحقيقة معتقدهم»[٧].

وجاء في كتاب «تاريخ أهل الذمة»: «أما عقائد الصابئة فمختلفة باختلاف مناطق سكناهم؛ ولذا فهي غير معروفة لدى أغلب المؤرخين، ولانعزالهم عن

---

(١) انظر: ((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب)) (٢/ ٧٣١).

(٢) انظر: ((العبادات في الديانات القديمة)) (ص ٥٩).

(٣) انظر: ((الأديان والمذاهب بالعراق)) (ص ٥٥).

(٤) **جفري بارندر** ولد عام ١٩١٠، أستاذ الأديان المقارنة بكلية اللاهوت بجامعة لبنان، من مؤلفاته: الديانة في أفريقيا، والدين المقارن، وأقوال بوذا، ألفه بعد أن تجاوز الثمانين من عمره.
انظر: ((مقدمة المعتقدات الدينية لدى الشعوب)) (ص ٧ – ٨).

(٥) ((المعتقدات الدينية لدى الشعوب)) (ص ١٤٢).

(٦) انظر: ((الديانات الوضعية المنقرضة)) (ص ٢٣٥).

(٧) من ((قاموس الأديان)) (ص ٢٣).

الديانات الأخرى مما أدى إلى تعدد الآراء حول عقائدهم»[١].

وهذا يعني صعوبة البحث في عقائد هذه الطائفة، وقد صوَّر هذه الصعوبة «رشيد الخيون» حيث قال: «أبدى أكثر من باحث في شأن المندائيين صعوبة البحث في كتبهم الدينية بسبب تاريخها المجهول وموضوعاتها الشائكة»[٢].

ومع هذا الانغلاق والسرية فلابد أن يظهر شيء من عقائدهم كسائر الحركات والمذاهب السرية في العالم.

عقائد الصابئة في الروح:

وقد وُفِّقْت - بحمد الله - للوقوف على شذرات متناثرة لأهم العقائد المتعلقة بالروح عند الصابئة المندائية والتي يمكن عرضها في النقاط الآتية:

١- اعتقادهم بوجود الروح وكونها سماوية المصدر وهي شعاع نوراني:

أما اعتقادهم بوجود الروح فظاهر من كلامهم عنها ضمن عدة موضوعات، حيث يذكرون لها أصلاً وبقاءً بعد الموت ونعيماً وعذاباً وغيره.

وأما كونها سماوية المصدر: فلأنهم يعتقدون «بوجود عالمين، عالم سماوي وعالم أرضي، واعتبروا كل ما هو موجود في العالم الأرضي المادي له ما يقابله في العالم السماوي.

أما الروح فهي من العالم السماوي، ووجودها في البدن بمثابة نفي لها، والروح شعاع نوراني جاء من عالم النور وحُبِسَ في البدن، والنجوم والكواكب هي التي تعيق تحرر الروح»[٣].

---

(١) ((تاريخ أهل الذمة)) (ص ٢٠٣).

(٢) ((الأديان والمذاهب بالعراق)) (ص ٥٣).

(٣) ((الديانات الوضعية المنقرضة)) (ص ٢٣٥)، وانظر: ((الأحناف)) (ص ٩١).

٢- اعتقادهم ببقاء الروح بعد الموت بين «المندليته» وجسد الميت لثلاثة أيام قبل السفر إلى موضع الحساب.

جاء في كتاب «الصابئة المندائيون» ما نصه: «يجب أن تبقى «المندليته»[1] في البيت بعد دفن الميت لمدة ثلاثة أيام، وفي اليوم الثالث تُلْقَى في النهر ويُزَال خاتم القبر الذي ختم من قبل «الريشا»[2]؛ لأن الصابئة يعتقدون أن روح الميت تبقى تحوم حتى ثلاثة أيام وفي حالة ذهاب وإياب ما بين «المندليته» وجسد الميت في قبره... في اليوم الثالث تبدأ روح الميت سفرها إلى السموات، وتصل في اليوم السابع إلى «آلما ادا ايتاهيل» إحدى طبقات السموات السبع، وفي اليوم الثلاثين تجتاز جميع السموات السبع، وفي اليوم الخامس والأربعين تصل إلى «اواتر مزينا» المكان الذي تحاسب فيه الأرواح وتوزن أعمالها»[3].

وبنظرة خاطفة إلى ما جاء به الإسلام نجد أن ما يصنعه الصابئة وما يعتقدونه من بقاء الروح في الأرض وصعودها إلى السماء لمقر الحساب يختلف عما جاء عند المسلمين، حيث إن الروح بعد قبضها يُصْعَد بها مباشرة إلى السماء فتفتح

---

(١) **المندليته**: عبارة عن مجموعة من أعواد القصب موضوعة في صندوق خشبي صغير، وقد ثبتت بواسطة الطين بطريقة عامودية داخل الصندوق، وتثبت عليها أعواد قصب أخرى بطريقة أفقية، وتقسم إلى قسمين ثم يقسم كل قسم إلى قسمين آخرين، بحيث تصبح مجموعها أربعة أقسام، ثم يقسمون تلك الأقسام الأربعة إلى ثلاثة أقسام أساسية، تربط هذه التقسيمات بتسعة أربطة، ثم يلف حول أعواد المندليته حبل طويل مصنوع من القصب الطري.

وفلسفة صنع المندليتا تعبر عن انتقال روح الإنسان أو ولادته في الدنيا الجديدة التي هي عالم الآخرة.

انظر: ((الصابئة المندائيون)) (٢٥٠ – ٢٥١).

(٢) **الريشا**: ويسمى الأب، وهو قائد المجموعة التي تهتم بتجهيز الميت ودفنه.

انظر: ((المصدر السابق)) (ص ٢٤٩).

(٣) ((المصدر السابق)) (٢٥٣ – ٢٤٥)، وانظر: ((الصابئة المندائية في إيران)) (ص ١٧٩ فما بعد)، و((الأديان والمذاهب بالعراق)) (ص ٤٦).

لها الأبواب إن كانت مؤمنة، أو توصد دونها إن كانت كافرة، ثم تعاد إلى القبر للسؤال بعد الدفن وقبل مغادرة المشيعين، وهي فترة كما ترى قصيرة جداً لتنتقل بعدها إلى مقرها المعد لها في برزخها كما سبق بيانه بالتفصيل.

٣ - اعتقادهم بخلود الروح ومحاسبتها بعد الموت:

الاعتقاد بخلود الروح من العقائد الراسخة عند الصابئة، «والصابئة المندائية كالحرانية... ترتكز اعتقاداتهم على ثلاثة أمور جوهرية:... (ثانيها) الروح خالدة، لها صلة بأرواح أسلافها، وتعيش على صدقات الأهل أو قرابين الموتى (اللوفاني) وهو عشاء الموتى بالآرامية»[١].

ومن الآيات المترجمة التي تقال في مراسم «اللوفاني»[٢]: «مباركة أيتها المائدة، باسم الله واسم ملكا منداد وهو الملك المقرب من عرشه.

إلهي لقد أقمنا هذه المائدة التي تحتوي طعام المغفرة من أجل طلب العفو له منك أيها الغفور الخالق القدير، فتقبل منا، واجبنا أن نقيم غذاء المغفرة ترحماً على أرواح موتانا لكي تغفر لهم، سبحانك أنت الواحد الأبدي، إلهي أنت مفتاح جميع الطيبات.

إلهي كل ما هو موجود وغير موجود منك، أيها الشافي الوهاب العطوف، نطلب منك العفو والصفح عن ذنوب هذه الروح، إلهي اغفر خطايا روح الشخص الذي في الماضي، وكذا أولئك الذين اجتمعوا باسمك حول هذه المائدة، وكذلك ذنوب المتصدقين والمحسنين... إلخ»[٣].

---

(١) ((صابئة حران والتوحيد الدرزي)) (ص ٢٥).

(٢) **اللوفاني**: غذاء الرحمة للميت.

انظر: ((الصابئة المندائيون)) (ص ٢٥٣).

(٣) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ٢٥٧).

فهذه الآيات التي تُقْرَأ في تلكم المراسم تفيد اعتقاد الصابئة بخلود الروح وبقائها بعد الموت؛ ولذا يصنعون تلك المأدبة، ويدعون للروح رجاء أن تنالها المغفرة والرحمة والنجاة من العذاب.

وجاء في كتاب «مندائي» عن مصير الأموات والعقوبات الأخروية ما نصه: «إذا مات الصابي مهما كان في حياته صالحاً أم طالحاً فلا بد أن تذهب روحه إلى «المتروثات»[١] فإما إلى النعيم وإما إلى الجحيم، وتمر بطريقين تجتازهما بخمسة وأربعين يوماً... فإن كانت من الصالحين فتذهب وتقطع هذه المسافة وحدها، وإلا فيقيدها اثنان من أصحاب الجحيم، فيجتازا بها «المتروثات»، وتقوم واقفة أمام «اواثرا»[٢].

وإن كانت صالحة أرسلها إلى نهر يسمى «دخشوشه»، فيعبر إلى «آلمي دنهوره» أي عالم الأنوار، وهو مقام السعداء، ويقيم هناك في نعيمه.

وإن كانت نفس رجل من أهل الشقاء فتُرْسَل إلى «ايتاهيل»، ويقيم هناك في «آلمي دهشوخه»[٣]، ويكون محله شمالًا عن «اواثرا»، ويرى عذابه مدة يعينها له «اواثرا»، وبعد إتمام المدة يذهب إلى محل النعيم والسعادة»[٤].

فهذا النص أفاد اعتقاد الصابئة بالنعيم والعذاب بعد الموت، وأن الجميع سواسية في دخول المطهِّر، لكنهم يتمايزون بالميزان، فإما إلى مقر نعيم، وإما إلى مقر

---

(١) المتروثات: المطهر، وهو مكان معاقبة الأرواح المذنبة، وهو مكان من المادهشوخا عالم السيئات أو جهنم.
انظر: ((مندائي)) (ص ١١١)، و((الصابئة المندائيون)) (ص ٢٦٠).

(٢) اواثرا: الملك الموكل بالميزان.
انظر: ((موسوعة الأديان (مهدي))) (ص ٨٢).

(٣) آلمي دهشوخه: جهنم.
انظر: ((مندائي)) (ص ١١٢)، و((الصابئة المندائيون)) (ص ٢٦٠).

(٤) انظر: ((مندائي)) (١١١ – ١١٢).

عذاب، لكن المحصلة في النهاية واحدة حيث يغادر المعذبون مطهِّرهم إلى مقام النعيم والسعادة في عالم الأنوار، وكأن نعيم الأرواح هو الأصل، وعذابها طارئ مؤقت لا يدوم.

وهل تسأل الروح في رحلتها بعد الموت عن شيء؟

والجواب: نعم، جاء في كتابهم «كنزاربا»: «حين وقفت النفس بين النور الإلهي وبين الملائكة الأثيرين سئلت، وقيل لها: تكلمي أيتها النفس مَنْ بناك وأتم بناءك؟ من هو المنشئ والباني والمكون؟ من أوجدك؟

قالت النفس لمن سألها: أبي، وهو واحد، وهو الذي خلقني، ثم أخذني أحد الطيبين المخلصين فلفني بردائه في نور وسلمني لآدم...»[١].

فهذا السؤال إنما هو عن الرب الخالق _ تعالى - لكن عند المسلمين يقع السؤال عن الرب والدين والنبي، يكون بعد ذلك النجاة أو الهلاك بناء على نوع الإجابة.

٤- اعتقادهم اتحاد الروح بالشبيه في عالم الأرواح:

وفلسفتهم هذه تحكيها المستشرقة «دراوور»[٢] الخبيرة بالشؤون المندائية، تقول: «أخبرني أحد الكهان: يوجد اثنان من كل شيء في الدنيا، الواقع ومقابله المثالي، وأوضح لي: أن لكل شخص على هذه الأرض شبيهاً «دموثه» في «مشوني كشطه»[٣]، ولدى الوفاة يفارق إنسان الأرض جسمه الترابي، ويلتحق بالجسم

---

(١) ((موسوعة الأديان (مهدي))) (ص ٨٣ – ٨٤).

(٢) دراوور: الليدي دراوور (١٨٧٩ – ١٩٧٥) مستشرقة، تناولت طقوس الصابئة في كتابها (**The mendeans of Iraq and Iran**) الذي ترجمه إلى العربية المندائيان غضبان رومي ونعيم بدوي، ولها قاموس «مندائي – انكليزي» وفي العام ١٩٥٣ أصدرت في الفاتيكان وثيقة عن الصابئة بعنوان «حوران الداخلية».

انظر: ((الأديان والمذاهب بالعراق)) (ص ٢٣).

(٣) مشوني كشطه: أرض العهد، زعموا أن بها أناس مثلنا لا يختلفون عنا كثيراً، وعندهم أن المرأة =

الأثيري لشبيهه، وفي هذا الجسم الأخير تعاني الروح آلام التطهير.

أما الشبيه في «مشوني كشطه»، فهو لدى وفاة صنوه الأرضي يغادر جسده الأثيري الذي استقر به، ويدخل في جسم نوراني، وحين تكون النفس البشرية قد أتمت دورتها التطهيرية، وأذنت لها موازين «أباثر» بالانعتاق من أعبائها، تدخل أيضاً في عالم الأنوار، ويتحد الاثنان»[١].

ومما جاء في النصوص المندائية على لسان المحتضر: «أذهب إلى شبيهي، وشبيهي يأتي إليَّ، يتذكرني ويحتضنني، كما لو أني خارج من السجن»[٢].

وملخص فلسفتهم هذه: أن الروح بعد الموت تنتقل إلى أرض العهد «مشوني كشطه»، وفيها تتحد أولاً بالجسم الأثيري للشبيه، الذي هو بدوره يخلي جسده الأثيري للروح ليحل في جسم نوراني، ثم تحل الروح ثانياً بعد التطهير في الجسد النوراني الذي سبقها إليه الشبيه، فيتحدان معاً فيه في عالم الأنوار.

وهذه الفلسفة لا أصل لها وهي باطلة في دين المسلمين، فليس هناك جسد مثالي ولا جسد نوراني تحله الروح بعد الموت، وبإرجاع الذاكرة إلى الوراء نجد أن بعض الطوائف التي تنتسب إلى الإسلام تقول بالجسد المثالي كالشيعة مثلاً، فلعل جذور معتقدهم هذا تمتد إلى الصابئة سيما وأنه كان لهم تواجد في إيران والعراق.

٥- اعتقادهم بالمعاد الأخروي:

يؤمن الصابئة بالبعث، لكنه إيمان يلفه الغموض إذا ما قورن بما جاء عنه في الإسلام.

= جيء بها من مشوني كشطه فهي من عالم غير عالمنا، فقد أتت من عالم الطهارة.
انظر: ((الأديان والمذاهب بالعراق)) (ص ٢٢).

(١) ((الصابئة المندائيون، للمستشرقة دراوور)) (ص ١١٠) ((عن الأديان والمذاهب بالعراق)) (ص ٢٣).

(٢) ((نفس المصدرين)) (٢٣ – ٢٤).

يقول محمد جواد مغنية عن الصابئة: «قوم يقرون بالله وبالمعاد وببعض الأنبياء...»[١].

ويقول الحسيني: «إن الصابئة في العراق ليسوا وثنيين، وإن دينهم يؤمن بالوحدانية وباليوم الآخر»[٢].

إذن فالصابئة على الاعتقاد بوجود عالم آخر غير عالمنا المادي هذا، وبأن هذه الدنيا فانية وفاقدة لأي قيمة معنوية، وأن الدنيا الأبدية والخالدة غير هذه الدنيا الترابية، حيث يذهب الناس الطيبون والسيئون[٣].

ومما يؤكد اعتقادهم بالآخرة ما جاء في مبحث الليدي دراوور، تقول: «قال لي أحد الكهان (كنزفره) وكان متزوجاً من اثنتين: ليس للرجلِ غيرِ المتزوجِ من جنة في الآخرة، ولا من جنة في الدنيا، ولو لم تُخْلَق المرأة لما كان هناك شمس ولا قمر ولا زراعة ولا ماء، فالأولاد يرفعون اسم الإنسان في الآخرة»[٤].

ولمتانة هذا المعتقد ورسوخه في نفوسهم يقولون: «إذا توفي شخص دون أن ينجب أولاداً فإنه يمر بالمطهِّر ليعود بعد إقامته في العالم الآخر إلى عالم الأنوار، ثم يعود إلى حالته البدنية مرة أخرى حيث تتلبس روحه في جسم روحاني فيتزوج وينجب أطفالاً»[٥].

وقد ظهر أثر اعتقادهم بالبعث في بعض شعائرهم، خاصة فيما يتعلق بدفن الأموات، حيث يُدْفنون بطريقة معينة وإلى جهة معينة ترتبط بتعظيمهم للكواكب،

(١) ((التفسير الكاشف)) (١/ ١١٧).

(٢) ((بحث في مجلة العربي العدد)) (١١٢) لسنة ١٩٦٨م عن ((تاريخ أهل الذمة في العراق)) (ص٢٠٥).

(٣) انظر: ((الصابئة المندائيون)) (ص ٢٦٠).

(٤) البيان في ((مقارنة الأديان)) (ص ١١٠).

(٥) ((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب)) (٢/ ٧٣٠).

وفي هذا تقول الموسوعة: «يُدْفَن الصابئ بحيث يكون مستلقياً على ظهره، ووجهه ورجلاه متجهة نحو الجدي حتى إذا بُعِثَ واجه الكوكب الثابت بالذات»[١].

إذن الصابئة تعتقد بالبعث، لكنه اعتقاد كما ترى مقتضب يشوبه الغموض وعدم الوضوح، وليس فيه من التفاصيل ما يُشْعِرُ بالاطمئنان، ولعلهم في هذا المعتقد قد تأثروا بأصل سماوي سابق.

٦- التناسخ عند الصابئة:

هل تعتقد الصابئة بالتناسخ؟

ذكر بعض الباحثين أن الصابئة تؤمن بالتناسخ[٢]، ويعتقدون بتطبيقاته في بعض جوانب عقيدتهم[٣].

وقد نص الشهرستاني على أن مذهب الصابئة الحرانية القول بالتناسخ، يقول: «إنما نشأ أصل القول بالتناسخ والحلول من هؤلاء القوم.

فإن التناسخ هو أن تتكرر الأكوار والأدوار إلى ما لا نهاية له، ويحدث في كل دور مثل ما حدث في الأول، والثواب والعقاب في هذه الدار لا في دار أخرى لا عمل فيها.

والأعمال التي نحن فيها إنما هي أجزية على أعمال سلفت منا في الأدوار الماضية، فالراحة والسرور، والفرح والدعة التي نجدها هي مُرتَّبة على أعمال البر التي سلفت منا في الأدوار الماضية، والغم والحزن والضنك والكلفة التي نجدها هي مُرَتَّبة على أعمال الفجور التي سبقت منا...»[٤].

---

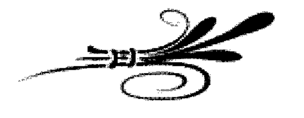
(١) ((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب)) (٢/ ٧٢٩).

(٢) انظر: ((أديان العرب قبل الإسلام)) (ص ٣٣٢)، و((العقائد والأديان)) (ص ١٩١).

(٣) انظر: ((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب)) (٢/ ٧٣٠).

(٤) ((الملل والنحل)) (٢/ ٣٦٦ – ٣٦٧).

وعندي أن نسبة التناسخ إلى الصابئة إنما يُقْصَد به بالدرجة الأولى الصابئة الحرانية، وإن نسبته إلى الصابئة المندائية أو إلى الصابئة على وجه الإطلاق دون تقييد غير دقيق؛ لأنه قد مر أن الصابئة المندائية تعتقد بالنعيم والعذاب بعد الموت، وتعتقد بدار السعادة والمطهِّر في السماء لا في الأجساد، وتعتقد أيضاً بالمعاد؛ ولذا يجعلون قبورهم تتجه نحو الجدي حتى إذا ما بُعِثُوا كان في وجوههم، وعليه فالقول بالتناسخ ينافي هذا المعتقد، فإن صحت نسبة القول بالتناسخ إلى المندائية فيكون قولاً لبعضهم لا لأجمعهم.



الباب الثاني

الروح في الديانات الوضعية

وفيه سبعة فصول:

الفصل الأول: الروح في الديانة الهندوسية.

الفصل الثاني: الروح في الديانة الجينية.

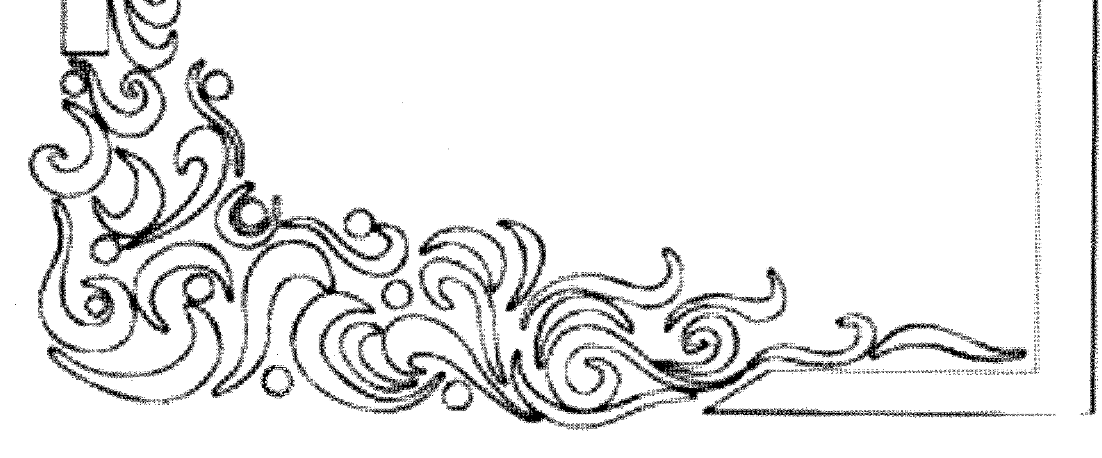
الفصل الثالث: الروح في الديانة البوذية.

الفصل الرابع: الروح في الديانة الكونفوشيوسية.

الفصل الخامس: الروح عند قدماء المصريين.

الفصل السادس: الروح في الفلسفات اليونانية والرومانية.

الفصل السابع: الروح عند مشركي العرب.





الفصل الأول

الروح في الديانة الهندوسية

الديانة الهندوسية من الديانات الوضعية الحية، وتسمى «البراهمية» أو «الهندوكية»[١].

وكانت تسمى قديماً: «درما» أو «دهارما» وهو الاسم الأصلي، وتسمى كذلك «سانتانا»: أي الديانة التي لا عمر لها.

وحديثاً اتخذت اسم الهندوسية، وباتت تشمل الحضارة والدين والعادات والتقاليد، وبالتالي لم تعد ديناً بحتاً، وإنما مجموعة ثقافية تشمل كل ما يخص شعب الهندوس[٢].

ولعل هذا ما حدا ببعض الباحثين إلى تصوير صعوبة البحث في الديانة الهندوسية بقوله: «الهندوسية موضوع واسع ومفهوم محير، ولكي نصف ديناً بلغ تاريخه ما يقرب من ثلاثة آلاف سنة وربما أكثر، وتعتنقه اليوم مئات الملايين، وهو فضلاً عن ذلك دين بلا عقيدة محددة، أو جماعة من الأتباع تختص به، أو هيئة مركزية ذات ترتيب هرمي، ولكي نصف ديناً على هذا النحو، فإننا نقوم بمحاولة لا تختلف عن محاولة الأعمى أن يصف فيلاً، بل إن محاولة تعريفه ذاتها مشكلة عسيرة»[٣].

ومع هذه الصعوبة التي صورها الباحث بصفة عامة إلا أن ما يتعلق بموضوع البحث وهو بيان عقيدة الهندوس في مسألة الروح، لم يكن من الأمور العسيرة

---

(١) انظر: ((بدايات الفلسفة الأخلاقية)) (ص ٨١).

(٢) انظر: ((قاموس الأديان الهندوسية)) (ص ١١)، و((الهندوسية تحضير لانعتاق الروح)) (ص ٦).

(٣) انظر: ((المعتقدات الدينية لدى الشعوب)) (ص ١٥٠).

جداً، ذلك أن قضية الروح وبعض ما يتعلق بها يُعدُّ من صلب الديانة الهندوسية على ما يأتي.

عقائد الهندوس في الروح:

وكان من أهم قضايا الروح التي وقفتُ عليها عند الهندوس ما يلي:

١- اعتقادهم أن النفس جوهر بسيط، يتصل بالبدن عن طريق الوسائط اللطيفة:

وذلك أنهم نظروا إلى طبيعة النفس وطبيعة البدن الذي تقوم به فوجدوا أن بينهما تبايناً كبيراً، فالبدن كثيف، والنفس لطيفة، وعليه فـ «هي عندهم ذات جوهر روحاني بسيط، يختلف كل الاختلاف عن طبيعة البدن المادي الكثيف»[(١)].

ويقول أبو زهرة: «النفس في نظر البراهمة جوهر خالد صاف عالمٌ مدرك تام العلم والإدراك مادام منفصلاً عن الجسد، فإذا فاض على الجسد واتصل به اعتكر صفاؤه، ونقص علمه»[(٢)]. ففي هذا النص زيادة مفردات في تعريف النفس، وهو مُسْتَلٌّ من كلام «باسديو»[(٣)] كما أورده البيروني[(٤)] في تحقيق ما للهند من مقولة، ونصه: «قال باسديو: إذا تجردت النفس عن المادة كانت عالمة، فإذا تلبست بها كانت بكدورتها جاهلة، وظنت أنها الفاعلة، وأن أعمال الدنيا مُعَدَّة لأجلها، فتمسكت بها، وانطبعت المحسوسات فيها، فإذا فارقت البدن كانت آثار المحسوسات فيها

---

(١) ((البيروني فيلسوفاً)) (ص ٥٩).

(٢) ((مقارنات الأديان: الديانات القديمة)) (ص ٣٨).

(٣) **باسديو نارذ**، وهو ابن براهم ماركنديو، أحد الهنود من نسل شودر.
انظر: ((تحقيق ما للهند من مقولة)) (ص ٤٥، ٥٩).

(٤) **محمد بن أحمد البيروني**، ولد سنة ٣٦٢هـ في بيرون من مدن خوارزم، وإليها ينسب، من مصنفاته: تحقيق ما للهند من مقولة، والمسامرة في أخبار خوارزم، توفي سنة (٤٤٠هـ).
انظر: ((الأعلام)) (٦/ ٢٠٦)، و((الموسوعة الفلسفية المختصرة)) (ص ١٠٦).

باقية، فلم تنفصل عنها بالتمام، وحنَّت إليها، وعادت نحوها»[١].

أما فلسفتهم في اتحاد النفس بالبدن عن طريق الوسائط، فترجع إلى أنهم يرون أن اختلاف الطبيعتين - أي اختلاف طبيعة النفس وطبيعة البدن - مانع من الاتحاد بينهما مباشرة، فلا بد من همزة وصل تربط بينهما، فاخترعوا ما أسموه بـ»الوسائط اللطيفة»، والتي يطلقون عليها الأبدان اللطيفة، وهي أرواح ناشئة مما أسموه بالأمهات البسيطة، وقد ذكر البيروني هذه الفلسفة وما يطرحه الهندوس من أمثلة لتقريب فكرتهم، حيث زعموا أن النفس «تواقة إلى الإحاطة بما لا تعرف، ظانة أن لا قوام لها إلا بالمادة، فتشتاق إلى الخير الذي هو البقاء، وتروم الاطلاع على ما هو منها مستور، فتنبعث للاتحاد بها، لكن الكثيف واللطيف إذا كانا على أقصى أفق صفتيهما امتنع تقاربهما وامتزاجهما إلا بالوسائط التي تناسبهما، كتوسط الهواء فيما بين النار والماء المتضادين بكلتي الكيفيتين، فإنه يناسب كل واحد منهما بإحدى الكيفيتين، فيمكنه بها من مخالطته، ولا تباين أشد بعداً مما بين الجسم واللاجسم، ولذلك لن تبلغ النفس مرامها كما هي إلا بأمثال تلك الوسائط، وهي أرواح ناشئة من الأمهات البسيطة في عوالم «بهور لوك» و»بهوبرلك» و»سفرلوك» سموها بإزاء الأبدان الكثيفة الكائنة من العناصر «أبداناً لطيفة» تشرق النفس عليها فتصير مراكب لها بذلك الاتحاد، كانطباع صورة الشمس وهي واحدة في عدة مرايا منصوبة على محاذاتها، أو مياهاً مصبوبة في أوان موضوعة على موازاتها تُرى في كل واحد منها بالسواء، ويجد فيه أثرها بالحد والضياء، فإذا حصلت الأبدان الإمشاجية المختلفة، وتركبت من الذكر والأنثى، أما من الذكر فما فيها من العظام والعروق والمني، وأما من الأنثى فما فيها من اللحم والدم والشعر، واستعدت لقبول الحياة اقترنت بها الأرواح، وكانت لها كالقصور المهيأة لصنوف

(١) ((تحقيق ما للهند من مقولة)) (ص ٢).

مصالح الملوك... إلخ»[١].

وهذا من جملة الخيالات والأساطير التي يتوهمونها، ومثل هذا الاعتقاد يحتاج إلى وحي من السماء، وليس في دين المسلمين - وهو الحجة في هذه القضايا - ما يدل على الوسائط اللطيفة، بل النصوص على أن الأرواح تقترن بالأبدان بعد النفخ الملكي دون واسطة، وفي زمن محدد معلوم في دين المسلمين.

٢- اعتقادهم أن الروح قائدة البدن، وأن على البدن استغلال وجودها:

يقولون في تقرير ذلك: «لقد أودع الإله في كل امرئ نفساً تسمى «آتما» (Atma) وهذه النفس في البدء بمنزلة السائق من العربة، فكل الحواس لا يمكن أن تؤدي وظائفها إذا لم تكن «آتما» وهي النفس صاحبة القيادة والإرادة.

وذلك لأن النفس «آتما» هذه أصلها من «براهما»... الذي يعتبر لها كقرص الشمس وهي شعاعه التي تدخل في كل مكان على امتداد العمران والكرة الأرضية... إن النفس كاملة ولكن البدن الذي يولد ليس كاملاً بل هو ناقص، واتصال النفس بالبدن علاقته غير معروف أولها، ولهذا فإن البدن عليه أن يستغل وجود الروح فيه ليعمل أعمالاً كثيرة على مظنة أنه لا حياة بعد ذلك أبداً؛ لأن الموت الذي سيأتي ولا يمكن دفعه أبداً سوف يقضي على الحياة نهائياً... ولهذا وجب أن يُحْرَق البدن»[٢].

وهذا المعتقد يعني إنكار بعث الأجساد وحياتها مرة أخرى واتحاد الأرواح بها للجزاء والحساب.

---

(١) ((تحقيق ما للهند من مقولة)) (ص ١٧).

(٢) ((الأديان القديمة في الشرق)) (ص ١٠٨ - ١٠٩).

٣- اعتقادهم بـ«الكارما»:

الكارما: عقيدة الجزاء والحساب عند الهندوس[١]، وقد يسميه البعض بالقانون الأخلاقي الخاص بالسبب والنتيجة، والعلة والمعلول[٢]، وقد يُسَمَّى قانون: الجزاء من جنس العمل[٣].

وكل تلكم المعاني الآنفة تفيد من وجهة النظر الهندوسية أن الإنسان يحصد في يومه أو غده نتائج أعماله الماضية، إنْ خيراً فخير، وإنْ شرًّا فشر.

وجاء في قصة الحضارة تسمية هذا القانون بـ «قانون الفعل، أو قانون السببية في دنيا الروح»[٤]، وهذا القانون يُعَدُّ من أسمى قوانين العالم وأبشعها، ووجه ذلك أن الإنسان إذا أقام العدل وكان رحيماً دون أن يقترف خطيئة، فيستحيل أن يجيء جزاؤه في مرحلة واحدة فانية من مراحل الحياة، بل يمتد نطاقه إلى حيوات أخرى يولد فيها ليكون ذا مكانة أعلى وحظ أوفر لو ظل على فضيلته الأولى.

أما إن عاش عيشة الرذيلة أعيدت ولادته في حياة تالية منبوذاً أو ابن عرس أو كلباً[٥].

ويرى الهندوس أن قانون «الكارما» أو الجزاء على الأعمال عام وشامل، بحيث لا يمكن لأحد أن يتخلص منه أبداً، وقد بين البرفسور «أتاريا»[٦] هذا المعتقد، وشرحه بوضوح تام حيث قال: «إن الشهوة أقوى عامل في حياتنا، ولكن

---

(١) انظر: ((تعريف عام بالديانة الهندوسية)) (ص ٤٦).

(٢) انظر: ((العودة للتجسد في المفهوم العلمي الحديث)) (ص ٦٣).

(٣) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ٣٠٢).

(٤) ((قصة الحضارة)) (ص ٨٦٩).

(٥) انظر: ((المصدر السابق)).

(٦) لم أقف له على ترجمة، وقد ذكره أحمد شلبي في ((أديان الهند الكبرى)) (ص ٦٥)، وكذا إسماعيل عبدالقادر في كتابه: ((تعريف عام بالديانة الهندوسية)) (ص ٤٦).

شهواتنا تؤثر على الآخرين، فنحن في أعمالنا التي تفرضها الشهوات نحسن إلى الآخرين، أو نسيء إليهم، فلا بد أن ينطبق علينا «قانون الجزاء» المسيطر على حياة سائر الأحياء الحرة في الكون، وقانون الجزاء ليس لأحد أن يتملص منه، وقد جاء في كتاب «يوغا» ما يلي: ليس في الكون مكان، لا الجبال، ولا السموات، ولا البحار، ولا الجنان يفر إليه المرء من جزاء أعماله، حسنةً كانت أو سيئةً.

وجميع أعمال الإنسان الاختيارية التي تؤثر في الآخرين خيراً كانت أو شرًّا لا بد أن يجازى عليها بالثواب أو العقاب طبقاً لناموس العدل المحض، وإن العدل الكوني قضى بالجزاء لكل عمل، وإن في الطبيعة نوعاً من النظام لا يترك صغيرة ولا كبيرة من أعمال الناس بدون إحصاء، وبعد إحصائها ينال كل شخص جزاءه على عمله، ويكون الجزاء في هذه الحياة»[١].

ويُلاحَظ في هذا النص أن الهندوس جعلوا الدنيا دار الجزاء، ففيها يكون الثواب والعقاب جزاءً وفاقاً، وهذا غير صحيح في دين المسلمين، فإن الدنيا ليست دار الجزاء والحساب، بل هي دار الابتلاء والاختبار، وجزاء الأعمال إنما يقع بعد الموت في البرزخ وبعد البعث حيث يفترق الناس إلى الجنة أو النار.

ويلاحظ في النص السابق أن الهندوس قد جعلوا الدنيا دار الجزاء والحساب، ولكن العقل والواقع فضلا عن الشرع يرفض هذه النظرية التي عدوها قانوناً عاماً لا يمكن الخلاص منه، وذلك أن الإنسان يشاهد في محيطه أناساً لهم أعمالٌ خيرة، وبالمقابل يشاهد آخرين لهم أعمالٌ سيئة، ولكنه لا يقف لهم على جزاء في هذه الدنيا، وهذا يعني بطلان قانون «الكارما» الذي يعتقده الملايين من الهندوس!!

---

(١) ((ثقافة الهند وحياتها الروحية والأخلاقية والاجتماعية)) لأتاريا (٤٢ – ٤٣) عن ((تعريف عام بالديانة الهندوسية)) (ص ٤٦)، وانظر: ((أديان الهند الكبرى)) (٦٥ – ٦٦).

والواقع أن علماء الهندوس قد تنبهوا إلى خطورة هذه القضية التي تورث الحيرة والشك في قانون «الكارما»، وللتخلص من هذا المأزق ابتدعوا ما أسموه بتناسخ الأرواح بعد الموت في ذوات الأرواح من الإنسان والحيوان، بل والحشرات، ففي هذه الأجساد يقع الجزاء الذي لم يُسْتكْمَل في الدنيا، وفي هذا الصدد جاء في «أديان الهند الكبرى» ما نصه «أن الهندوس لاحظوا من واقع الحياة أن الجزاء قد لا يقع، فالظالم قد ينتهي دون أن يُقتَصَّ منه، والمحسن قد ينتهي دون أن يُحسَنَ إليه، ولذلك لجؤوا إلى القول بتناسخ الأرواح»[١].

وعندي – والعلم عند الله – أن هؤلاء القوم لما كانوا لا يؤمنون بالآخرة على ضوء ما جاء به الإسلام، وكان لا بد لهم من قانون ينظم حياتهم، بحيث يحثهم على الفضيلة ويبعدهم عن الرذيلة، جاء قانون «الكارما» الذي استكملوه بنظرية التناسخ الذي هو شعار نحلتهم، ففيه تحريك لبواعث الخير عندهم، فلا أحد يحب أن تكون أعماله سبباً في عودته إلى الدنيا، بحيث تحل روحه في طبقة أدنى من طبقته، أو تحل في كلب أو خنزير أو ضفدع أو ذباب، وقد وقفتُ في «قصة الحضارة» على ما يشبه هذا المعنى الذي ذكرته آنفاً، ففيها: «كان «كارما» أسطورة بارعة في صرف الحيوان البشري عن القتل والسرقة والمماطلة والتقتير في العطايا، فضلاً عن أنها وسعت من نطاق الوحدة الخلقية، والشعور بالواجب حتى شمل ذلك النطاق مراحل الحياة كلها، ومهدت أمام التشريع الخلقي سبيل التطبيق على نطاق أوسع رقعةً وأكثر منطقاً مما وُجِدَ في أية حضارة»[٢]، وهذا يعني في وقتها ربما، وأما بعدها ففي الإسلام وفي حضارته من الحث على الفضائل واجتناب الرذائل ما لا يمكن أن يقارَنَ به دين على الإطلاق.

---

(١) ((أديان الهند الكبرى)) (ص ٦٦).

(٢) ((قصة الحضارة)) (ص ٨٦٩).

٤- اعتقادهم بتناسخ الأرواح بعد الموت:

تناسخ الأرواح أو ما يُعَبَّر عنه بتجول الروح أو تكرار المولد ركن عظيم من الأركان التي تقوم عليها الديانة الهندوسية، وهو العلامة التي تميز المنتسبين إليها عن غيرهم، يقول البيروني: «كما أن الشهادة بكلمة الإخلاص شعار إيمان المسلمين، والتثليث علامة النصرانية، والإسبات علامة اليهودية، كذلك التناسخ عَلَم النحلة الهندية فمن لم ينتحله لم يك منها، ولم يعد من جملتها»(١).

وقد ذكر البيروني وغيره جملة من النصوص المنسوبة لرجالات الهندوس، والتي تفيد رسوخ هذا المعتقد في نفوسهم وتمكُّنِه من قلوبهم.

وقبل الدخول في قضية التناسخ عند الهندوس أسوق إليك طرفاً من النصوص المترجمة من كتبهم ومن أقوال علمائهم، والتي تعطي صورة واضحة عن هذه العقيدة الوضعية البشعة.

قال البيروني بعد أن تكلم في جملة أسطر عن التناسخ عند الهندوس: «وحقيق علينا أن نورد من كتبهم شيئاً من صريح كلامهم في هذا الباب وما يشبهه من كلام غيرهم فيه، قال «باسديو» لـ«ارجن» يحرضه على القتال وهما بين الصفين: إن كنت بالقضاء السابق مؤمناً فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معاً بموتى ولا ذاهبين ذهاباً لا رجوع معه، فإن الأرواح غير مائتة ولا متغيرة، وإنما تتردد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة ثم الشيخوخة التي عقباها موت البدن ثم العود.

وقال له: كيف يذكر الموت والقتل من عرف أن النفس أبدية الوجود لا عن ولادة ولا إلى تلف وعدم، بل هي ثابتة قائمة لا سيف يقطعها، ولا نار تحرقها،

---

(١) ((تحقيق ما للهند من مقولة)) (ص ٣٩).

ولا ماء يُغِصُّها، ولا ريح تيبسها، لكنها تنتقل عن بدنها إذا عُتِقَ نحو آخر ليس كذلك كما يستبدل البدن اللباس إذا خَلِق، فما غمك لنفس لا تبيد ولو كانت بائدة فأحرى أن لا تغتم لمفقود لا يوجد ولا يعود، فإن كنت تلمح البدن دونها وتجزع لفساده فكل مولود ميت، وكل ميت عائد، وليس لك من كلا الأمرين شيء، إنما هما إلى الله الذي منه جميع الأمور وإليه تصير»[١].

وجاء في «كتاب الفكر الفلسفي الهندي» لرئيس جمهورية الهند الدكتور/ «سرفبالي رادا كرشنا» وآخر نصٌّ يبين أن مصير الإنسان مرتبط بسلوكه فهو الذي يحدده، يقول: «الذين يتمتعون بسلوك جيد هنا سيدخلون رحماً جديداً، إما رحم «براهمين» أو رحم «كشاتريا» أو رحم «فايسيا».

لكن من يتمتعون بسلوك شائن هنا سيدخلون رحماً منحطاً، إما رحم كلب، أو رحم خنزير، أو رحم أحد المنبوذين (كاندالا)»[٢].

ومما جاء في كتبهم: «اصنع لنفسك جزيرة، أسرع إن استطعت وبدل نفسك إلى رجل صالح، عندما تتنظف ذنوبك وتنحل أربطة نفسك للحياة سوف تعاني من ولادة جديدة وعمر عجوز»[٣].

ومن نصوصهم المترجمة: «عندما يتحول الإنسان إلى كسول أو طماع ويحب دائماً النوم في أي مكان، هذا شخص مثله مثل الخنزير الشره... وكذلك الإنسان المغفل الغبي فإنه يتكرر في هذه الحالات»[٤].

---

(١) ((تحقيق ما للهند من مقولة)) (ص ٢٢).
(٢) ((الفكر الفلسفي الهندي)) (ص ١١٤).
(٣) ((الأديان القديمة في الشرق)) (ص ١٩٢).
(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٢٠٦).

وفي بعض وصاياهم جاء النص المترجم الآتي: «لا تفكر في أمر مضى ولا في الذي سيأتي، بل ولا في الحاضر، اعبر إلى شاطئ السلامة، عندما يكون فكرك حرًّا وطليقاً فإنك لن تعاني من ولادة جديدة ولا من أرذل العمر»(١).

والنصوص غير ما ذُكِرَ كثيرة، وإنما أسهبتُ قليلاً في ذكر تلكم النماذج لما رأيت أن كثيراً من الباحثين لما تكلموا عن عقيدة التناسخ عند الهندوس لم يذكروا نصوصاً من كلامهم، فأحببتُ أن أسد هذه الثغرة بالوقوف على بعض عبارات أصحاب المذهب.

معنى التناسخ عندهم:

يعنون بالتناسخ: «عودة الروح بعد خروجها من الجسد لتحل في جسد آخر في هذا العالم»(٢)، وعرَّفه «الفيلسوف الفرنسي «غينون» (١٨٨٦ - ١٩٥١) بعد دراسة مستفيضة للديانة الهندية -بأنه-: سلسلة لا إلى انتهاء من تغيرات الحالات لدى الكائن، على أن لكل حالة ظروفاً خاصة بها، مما يخلق للكائن دائرة وجولات لا يجوبها إلا مرة واحدة، وعلى أن الوجود الأرضي أو عامة الجسدي ليس إلا حالة خاصة بين حالات أخرى لا عَدَّ لها»(٣).

فهذا التعريف المفصل ينص على أن كل مرحلة وجودية من مراحل الكائن تعد حلقة مستقلة، وحالة فريدة عن سابقتها ولاحقتها، فلا تتكرر ظروفها وإن طالت السلسلة وتعددت حلقاتها.

وأما الوجود في كائن بشري فيقع في هذا النوع أو هذا الصنف مرة واحدة،

---

(١) ((الأديان القديمة في الشرق)) (ص ٢١١).

(٢) ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ٥١).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص ٦٢).

وقد يكون في طبقة عليا أو سفلى حسب تقسيم الطبقات الهندوسي، لكنه لا يتكرر وقوعه في طبقةٍ مرتين.

وهل الولادة تقع في جسد أرضي بعد الموت مباشرة؟ أم هناك فاصل بين لحظة مغادرة الروح الجسد وعودتها إلى الأرض مرة أخرى؟

الواقع أن هناك مرحلة فاصلة بين الموت الذي تفارق به الروح جسدها الذي كانت تشغله وبين عودتها إلى جسد آخر، وهذه المرحلة الفاصلة ذكرها البروفسير «أثريا» حيث قرر أن الروح بعد مغادرتها الجسد وقبل حلولها في جسد أرضي تنتقل إلى جو لطيف يشبه عالم الأحلام، وهناك تتطلع إلى الجنة والنار، ثم تعود لتحل في جسد مادي وُلِدَ لتوِّه من جديد، وتبدأ دورة حياتية جديدة، تكون نتيجة للحياة السابقة، لكن الروح في ولادتها الجديدة لا تتذكر شيئاً عن حياتها في دوراتها السابقة، أي أنها تُعاقَب وتُجزَى على فعل لا تعرفه ولا تتذكره أبداً[1].

ويستخلص من كلام البروفسير «أثريا» الأمور الآتية:

١ – أن الروح لا تفنى بالموت كالجسد.

٢ – أن الروح تتطلع إلى الجنة والنار _ من منظورهم _ ولا تستقر فيهما.

٣ – أن الروح تولد في جسد حي، أما الجماد فلا تولَدُ فيه.

٤ – أن الروح لا تذكر شيئاً عن حياتها السابقة ألبتة.

وقد وجدتُ غير واحد من أهل العلم ينص على أن «من الشروط اللازمة لتجول الروح وخلاصها...: أنها في عالمها الجديد لا تذكر شيئاً من عالمها السابق، فكل دورة منقطعة تماماً عن سواها من الدورات»[2].

---

(١) انظر: ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ٥٢).

(٢) ((الإنسان في ظل الأديان)) (ص ١٩٥)، وانظر: ((أديان الهند الكبرى)) (ص ٦٨)، و((تعريف عام بالديانة الهندوسية)) (ص ٤٨).

علة التناسخ:

ولو سألت عن علة التناسخ وسببه؟

لقالوا: إن الروح خرجت من الجسد ولازال لها شهوات لم تُحَقَّق وديون لم تؤَدَّ، فهنا أمران، وقد أوضحهما البروفسور أثريا حيث قال عن سبب تجوال الروح وتكرار مولدها: «**أولاً**: إن الروح عندما تخرج من الجسم تبقى على شهوات وأهواء مرتبطة بالعالم الأرضي ولم تتحقق، ولا بد لها من العودة إلى هذا العالم لتحققها.

وثانياً: إن الروح عندما تخرج من الجسم يبقى عليها ديون من جراء علاقتها بالآخرين، ولا مناص لها من وفاء هذه الديون.

وهكذا فإن الروح تستوفي شهواتها في حيوات أخرى، ولا بد لها من تذوق ثمار أعمالها التي قامت بها في حياتها ولم تنل عليها الجزاء الذي تستحقه»[١].

متى ينتهي التناسخ؟

ولو سألت متى ينتهي التناسخ أو متى تتخلص الروح من تكرار المولد؟

لقالوا بعبارة موجزة: متى ما عُدِمَ سبب التناسخ انقطع تكرار المولد، جاء في «أديان الهند الكبرى»: «إذا اكتملت الميول ولم يبق للإنسان شهوة ما، وأزيلت الديون فلم يرتكب الإنسان إثماً، ولم يقم بحسنة تستوجب الثواب، نجت روحه وتخلصت من تكرار المولد، وامتزجت بـ»البراهما»، سواء كان الاكتمال في جسد واحد أو أجساد متعددة»[٢].

---

(١) ((ثقافة الهند وحياتها الروحية)) (ص ٤٢) عن ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ٥١).

(٢) ((أديان الهند الكبرى)) (ص ٦٧) نقله شلبي عن ((فلسفة الهند القديمة)) لمحمد عبد السلام (ص ٣٠)، طبعة (١٩٥٣م). وانظر: ((الفلسفة في الهند)) (ص ١٤٠).

عقيدة التناسخ وطمأنينة القلب:

وبعد هذا العرض لسائل أن يسأل: هل عقيدة التناسخ تُشْعِر معتنقيها بالطمأنينة والسكينة؟ أم أنها تشعرهم بالخوف والرهبة؟

الواقع أن الجواب الثاني هو الصحيح، فإن عقيدة تكرار المولد تورث أصحابها الاضطراب والقلق، وكيف ينعم إنسان بالأمن النفسي وهو يعتقد أن روحه قد تكون في غدها مولودة في حيوان أهلي أو وحشي، وقد يؤكل أو يُفْتَرَس أو تُحْمَل عليه الأثقال، كيف يطمئن من يعتقد أن روحه قد تحل حشرة منحطة أو نبتة هزيلة تجتثها الرياح والأمطار؟

وكيف ينعم ويطمئن من يعتقد أن روحه قد تتكرر ولادتها مئات بل آلاف بل ملايين المرات؟

هذا لا يكون أبداً، يقول بعض الباحثين في تصويره لمعاناة التناسخية: «الإيمان بالتناسخ (سَمْسارا Samsara) متسلط على الهندي، وكأنه ينغِّصُ عليه حياته، والخوف من العودة للحياة أشبه ما يكون خوفاً مرضياً، خوفاً متمكناً من النفوس، وبالتالي يعني ذلك أن الغاية المثلى هي القضاء على تكرار الولادة، ومنع التناسخ بالتخلص من ربقته التي لا ترحم، لا قيمة للوجود فهو زائل، لا داعي للأنس بالحياة فهي ألم وتعاسة»[1].

ومثل هذا الشعور مع هذا المعتقد الوضعي طبيعي جداً، لكن لو كان الإنسان يعلم أن وجوده في هذه الدار هو لمرة واحدة، وأنه لا يعود إليها أبداً، وأن روحه بعد الموت لا تحل الخنافس والبراغيث، بل تنتقل إلى مقر تُكرَم فيه أو تُهان بحسب إيمانها وعملها، ومن ثم تعود إلى جسدها يوم البعث لتزداد الكرامة أو الإهانة،

(١) ((الفلسفة في الهند)) (ص ٩١).

لو كان يعلم ذلك كما يعلمه أهل الإسلام لاطمأنت نفسه وسكنت روحه، وأدى رسالته التي خُلِق من أجلها فعمر الكون وعبد الله دون خوف من المستقبل المشؤوم الذي يتصوره الهندوسي كل لحظة بتكرار المولد مادام أن هناك حسنات وسيئات.

٥ - اعتقادهم بـ «النيرفانا»:

والنيرفانا التي يُعَبَّر عنها بالتحرر أو الانطلاق أو الانعتاق أو الخلاص أو الاتحاد أو الامتزاج تعني «رجوع الأرواح إلى مصدرها الأول وهو الله»[١] أي امتزاجها واتحادها بـ «براهما».

فالهندوس يرون أن أصل أرواح الكائنات ومصدرها «براهما» روح العالم، يقولون: فعندما تنتهي الروح من دورة الحياة تعود إلى روح العالم وتتحد مع «براهما»[٢].

فـ«النيرفانا» إذاً تعني الحلول الكامل للروح في الروح العليا، كمثل حفنة ملح تُرمَى في البحر فتذوب في المياه التي جاءت منها، ولا يمكن أن تنفصل عنها، كذلك تذوب الروح في الروح العليا[٣].

ولا يحدث الامتزاج بـ «براهما» إلا إذا توقف التناسخ، ولا يتوقف التناسخ إلا إذا عُدِمَت الشهوات والديون؛ لأن وجود أي منها يعني تكرار المولد واستمرار تجول الروح.

وقد يُعبَّر عن هذه الفكرة باكتمال الميول والشهوات، يقول شلبي في بيان معناها

---

(١) ((الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)) (ص ١٨٥)، و((الإنسان في ظل الأديان)) (ص ١٩٦).

(٢) انظر: ((قصة الديانات)) (ص ٨٦).

(٣) ((الباجافاد جيتا الكتاب الهندي المقدس)) (ص ٤٨).

وكونها طريق الاتحاد بـ«براهما»: «اكتمال الميول والشهوات هو توقفها وتغلب الإنسان على نفسه بحيث لا يبقى له شهوة ولا ميل، بل يقنع بما حصل عليه ولا يتطلب مزيداً، فإذا تم ذلك مع انقطاع عن الأعمال وعن علائق الدنيا وما فيها من ملاذ وعصيان تلك التي تستلزم تكرار المولد، إذا تم له ذلك نجا من تكرار المولد، وامتزج بـ«براهما»، وهذه الحالة هي التي يعبرون عنها بالانطلاق»[١].

ولتصور هذه الفلسفة وكيف يحدث الانطلاق والامتزاج بـ«براهما» بعد الخلاص من تكرار المولد يمثلون له بـ «القطرة من الماء العذب تصعد بخاراً، وترقى في السماء، وتنتقل من جهة إلى جهة، وقد تتحول إلى قطع من الثلج أو البرد أو غير ذلك، ثم تسقط على قمم الجبال، وتجري في الأنهار، ثم ترجع في نهاية مطافها إلى البحر الذي انفصلت عنه أول الأمر»[٢].

إن النيرفانا أو الاتحاد بـ«براهما» أمل كل هندوسي، فالجميع أرواحهم تواقة إلى تلكم اللحظة التي تخلصهم من رهبة تكرار المولد، وتفك أسرهم من قيود التناسخ، ولذا سلكوا لتحقيق هذه الغاية العظمى طريق «الزهد والصوم والأرق وتعذيب النفس والحرمان... ومن أجل ذلك حفلت حياة كثير من الهنود بالبؤس، ومحاربة الشهوات والتسول وتحمل الآلام، والامتناع عن أكل اللحم، وتجنب الحلوى والطيبات من الرزق والنساء، كما أوجبوا السير على الأرض بحذر شديد، وتخفيف الوطء حتى لا يدوس الإنسان برجليه كائناً حياً، وإذا شرب الماء فليحذر أن يبتلع نسمة»[٣].

ولا شك أن عقيدة «النيرفانا» وإن كان لها جانب أخلاقي حسن في الكف عن

---

(١) ((أديان الهند الكبرى)) (ص ٧٠).

(٢) ((الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام)) (ص ١٨٥).

(٣) ((بدايات الفلسفة الأخلاقية)) (ص ٨٣).

الشرور والآثام، إلا أن لها جانباً سيئاً للغاية، حيث حملت الهندوسي على التوقف عن فعل الخير والاستمتاع بالطيبات، بل وحملته على تعذيب نفسه وتحميلها المشاق والمصاعب، وهذه سلبية إذا قام بها الفرد الواحد عُدَّ مخالفاً للفطرة مصادماً للعقل، فكيف إذا قامت بها أمة تُعَدُّ بالملايين؟!

لا شك أنه سيكتنف حياتهم الخلل والاضطراب، ولن تكون «النيرفانا» بل ولا الهندوسية الديَّانة التي تبحث عنها البشرية الغارقة في التيه والضياع.

بالمقابل لو نظرنا إلى الإسلام لوجدناه على الضد مما عليه الهندوس، فهو يدعو إلى فعل الخيرات كما قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرْكَعُواْ وَٱسْجُدُواْ وَٱعْبُدُواْ رَبَّكُمْ وَٱفْعَلُواْ ٱلْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الحج: ٧٧]. وهذا أمر يشمل كل خير.

ويقول سبحانه: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُۥ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُۥ﴾ [الزلزلة: ٧، ٨]. ويدعو إلى أكل الطيبات، كما قال الحق تعالى: ﴿فَكُلُواْ مِمَّا رَزَقَكُمُ ٱللَّهُ حَلَـٰلًا طَيِّبًا﴾ [النحل: ١١٤] وينهى عن تحريمها: ﴿لَا تُحَرِّمُواْ طَيِّبَـٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ﴾ [المائدة: ٨٧]، ويجمع بين الحث على أكل الطيبات والعمل الصالح في سياق واحد: ﴿كُلُواْ مِنَ ٱلطَّيِّبَـٰتِ وَٱعْمَلُواْ صَـٰلِحًا﴾ [المؤمنون: ٥١].

ويأمر بإعطاء البدن حقه كغيره من أصحاب الحقوق، قال النبي ﷺ لعثمان بن مظعون: ((**إني أنام، وأصلي، وأصوم، وأفطر، وأنكح النساء، فاتق الله يا عثمان، فإن لأهلك عليك حقاً، وإن لضيفك عليك حقاً، وإن لنفسك عليك حقاً، فصم وأفطر، وصلِّ ونم**))[1].

---

(١) صحيح. =

هذا هو الإسلام دين الشمول والاتزان والوسطية التي تخاطب العقل وتنسجم مع الفطرة، وهو ما تفتقده الديانات الوضعية التي جلبت الشقاء والتعاسة لمعتنقيها.

٦- اعتقادهم بوحدة الوجود:

أي أن الله والنفس الإنسانية وجميع الكائنات شيء واحد[١].

وقد شاع هذا المبدأ في جميع الديانات الهندية تقريباً، فاعتقدوا بوحدة الوجود، أو الوحدة المثالية، أو الحقيقة الفردية، أو المبدأ الواحد الأحد الذي يُعَدُّ كل فرد من بني الإنسان جزءاً منه غير منفصل عنه، وهو وإن انفصل عنه في الظاهر فلا بد أن يرجع إليه، ويندمج فيه في النهاية[٢].

وهذا المبدأ يُشْعِرُ بقوة الترابط بينه وبين المبادئ الآنفة، أي عقيدة الجزاء، وتكرار المولد، والانعتاق، وقل - إن شئت _ «الكارما» والتناسخ و»النرفانا» كما مر.

وقد تبلورت فكرة وحدة الوجود التي يقوم عليها الدين البراهمي في كتابهم «الفيدانتا»[٣]، ومن نصوصه الصريحة في ذلك: «هذا الكون كله ليس إلا ظهوراً للوجود الحقيقي الأساسي، وإن الشمس والقمر وجميع جهات العالم وجميع أرواح الموجودات أجزاء ومظاهر لذلك الوجود المحيط المطلق، وإن الحياة كلها أشكال لتلك القوة الوحيدة الأصيلة، وإن الجبال والبحار والأنهار... تُفَجَّر من ذلك الروح المحيي الذي يستقر في سائر الأشياء»[٤].

= أخرجه أبو داود في كتاب الصلاة والأذان والمساجد.

* درجته:

أورده الألباني في « صحيح سنن أبي داود » وصححه (٢٥٦ برقم ١٢٢٠).

(١) انظر: ((الأسفار المقدسة)) (ص ١٨٣).

(٢) انظر: ((بوذى الأكبر)) (ص ٢٥).

(٣) انظر: ((الأسفار المقدسة)) (١٨٣).

(٤) ((الفيدانتا)) (ص ٤١، ٤٤) عن ((أديان الهند الكبرى)) (ص ٧٢).

وفي نصوص «اليوبانيشاد» أحد كتب البراهمة جاء التنصيص على أن «براهما» هو «المبدأ الأول، منه تولد المخلوقات، وبفضله تعيش إذ تُولَد، وإليه تؤول إذ تموت، عليك أن تدركه، إنه «براهما»... إن روح المخلوقات واحدة، لكنها ماثلة في كل مخلوق، إنها في الوقت نفسه وحدة ومجموعة، كما القمر الذي يتلألأ على صفحات المياه»[(١)].

وحول وحدة الوجود كان النص الآتي من كلام «براهما» - كما يزعمون - يقول «براهما»: «تتعلق بي كما تتعلق مجموعة من الخرزات بخيط، أنا من الماء العذب طعمه، وأنا من القمر فضته، ومن الشمس ذهبها، أنا موضع العبادة في «الفيدا»، والهزة التي تشق أجواز الأثير، والقوة التي تكمن في نطفة الرجل، أنا الرائحة الطيبة الحلوة التي تعبق في الأرض المبتلة، وأنا من النار وهجها الأحمر، وأنا الهواء باعث الحياة، أنا القدسية فيما هو مقدس من الأرواح، أنا حكمة الحكيم، وذكاء العليم، وعظمة العظيم، وفخامة الفخيم، إن من يرى الأشياء رؤية الحكيم، يرى أن براهما المقدس، والبقرة، والفيل، والكلب النجس، والمنبوذ وهو يلتهم لحم الكلب... كلها كائن واحد»[(٢)].

فإذا كان هذا من النصوص التي يدين بها الهندوس ويقرؤونها صباحاً مساءً في كتبهم، ويعلمونها في مدارسهم، فلا بد أن تتمكن عقيدة وحدة الوجود في نفوسهم، وأن يظهر أثرها في تصرفاتهم وسلوكهم وعباداتهم، ولذا كان من الأدعية التي يدندنون بها في مناجاتهم لـ«براهما»: «أخرجني من عالم الخيال إلى عالم الحقيقة، ومن الظلمات إلى النور، ومن الفناء إلى الخلود»[(٣)].

---

(١) ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ٦٠).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٦١).

(٣) ((بوذا الأكبر)) (ص ٢٦).

وجاء في كتابهم «الأوبانيشادات» الوعيد بتكرار الموت لمن لا يعتقد بوحدة الوجود كما في النص الآتي: «إن ما ههنا هو عينه الذي هنالك، وإن ما هنالك هو عينه الذي ههنا، ومن يرى فرقاً بين هذا وذاك ينتقل من موت إلى موت»[1].

ومنشأ معتقدهم بوحدة الوجود يرجع إلى تصورهم الفاسد عن مبدأ الخلق ووجود المخلوقات، فإنه بذرة القول بوحدة الوجود، حيث اعتقدوا أن الخالق واحد ومنه نشأت المخلوقات ابتداء من الإنسان إلى الحيوان إلى الحشرات، وإليك تفصيل هذه القضية كما في «قصة الحضارة»: «في أحد أسفار «يوبانشاد» يعزو خلق العالم إلى خالق أول قهار:

«حقاً إنه لم يشعر بالسرور، فواحد وحده لا يشعر بالسرور، فتطلَّب ثانياً؛ كان في الحق كبير الحجم حتى ليعدل جسمه رجلاً وامرأة تعانقا، ثم شاء لهذه الذات الواحدة أن تنشق نصفين، فنشأ من ثَمَّ زوج تملؤه الزوجة، وعلى ذلك تكون النفس الواحدة كقطعة مبتورة... وهذا الفراغ تملؤه الزوجة، وضاجع زوجته وبهذا أنسل البشر؛ وسألت نفسها الزوجة قائلة: «كيف استطاع مضاجعتي بعد أن أخرجني من نفسه، فلأختف» واختفت في صورة البقرة، وانقلب هو ثوراً، فزاوجها، وكان بازدواجهما أن تولدت الماشية، فاتخذت لنفسها هيئة الفرس، واتخذ لنفسه الجواد، ثم أصبحت هي حمارة فأصبح هو حماراً، وزاوجها حقاً، وولدت لهما ذوات الحافر، وانقلبت عنزة فانقلب لها تيساً، وانقلبت نعجة فانقلب لها كبشاً، وزاوجها حقاً، وولدت لهما الماعز والخراف، وهكذا حقاً كان خالق كل شيء، مهما تنوعت الذكور والإناث، حتى تبلغ في التدرج أسفله إلى حيث النِّمال، وقد أدرك هو حقيقة الأمر قائلاً: «حقاً إني أنا هذا الخلق نفسه؛ لأني أخرجته من

(١) ((بوذا الأكبر)) (٢٥ – ٢٦).

نفسي، من هنا نشأ الخلق»[١].

فإذا كانت المخلوقات في ذهن الهندوسي قد انبعثت من خالق واحد هو أصلها ومنشؤها فلن يجد بعد ذلك صعوبة في الاقتناع بوحدة الوجود، حيث إن هذه المخلوقات ليست إلا مظاهر للواحد.

يقول «ديورنت» في تعليقه على قصة الخلق الآنفة الذكر: «في هذه الفقرة الفريدة بذرة مذهب وحدة الوجود وتناسخ الأرواح، فالخالق وخلقه شيء واحد، وكل الأشياء وكل الأحياء كائن واحد، فكل صورة من الكائنات كانت ذات يوم صورة أخرى، ولا يميز هذه الصورة من تلك ويجعلهما حقيقتين إلا الحس المخدوع وإلا تفريق الزمن بينهما»[٢].

الخطوات التي قادت إلى قولهم بوحدة الوجود:

كانت تلكم البذرة، وأما الخطوات التي قادتهم إلى التفكير بوحدة الوجود فيمكن تلخيصها في النقاط الآتية:

١ - اعتقدوا أولاً أن في العالم قوةً عظيمةً يجب التقرب إليها بالعبادة والقرابين، وكانت هذه القوة تسمى: «براهما».

٢ - في مرحلة تالية: لم تعد القوانين المادية ضرورية، بل حل محلها مراقبة الظواهر الكونية، والتقرب إليها بأنواع القرابين كالشمس والنار والهواء.

٣ - وفي مرحلة ثالثة: راقب الإنسان نفسه، وتصورها قرباناً يوصل إلى «براهما».

٤ - وفي مرحلة رابعة: تجرد الناس عن تصور القرابين، وأخذوا يراقبون

---

(١) ((قصة الحضارة)) (٣/ ٢٤).

(٢) ((المصدر السابق)).

أنفسهم على أنهم القوة الكامنة الكلية المؤثرة.

ثم وصلوا من التمثل إلى العينية، وأقروا أن النفس الشخصية هي عين القوة الحيوية الكلية أو «البراهما»، فصارت الذات المفكرة وموضوع تفكيرها شيئاً واحداً[١].

كانت تلكم فلسفة البراهمية في عقيدة وحدة الوجود، وهي كما ترى فلسفة خاطئة لا تَمُتُّ إلى وحي السماء بصلة، وإنما أملتها عليهم أنفسهم وشياطينهم، وتدرجوا فيها حتى أصبحت حقيقة ماثلة في قلوبهم.

ولا صلة بين الخالق والمخلوق على نحو ما يعتقده الهندوس، فكل ما تبصره العين وما لا تبصره مخلوق مربوب، ليس هو الله ولا صفة من صفاته ولا مظهر من مظاهره، تعالى الله عما يقول المبطلون.

٧- اعتقادهم بقدَم الروح:

يعتقد البراهمية قِدَم الروح البشرية، وأنها غير مخلوقة، وسموا بها حتى جعلوها إلهية المصدر والمنشأ.

يقول أحد الهنود المختصين: «الروح... غير مخلوقة، وذكرت شروح «الويدا» أن الإنسان من حيث روحه جاءت على فطرة الله (Brahaman) وكما أن شرارة النار نار فإن الإنسان من نوع الإله، وروحه لا يختلف عن الروح الأكبر إلا كما تختلف البذرة عن الشجرة، وعندما تُجَرَّد الروح من الظواهر المادية تبدأ رحلتها للعودة إلى الروح الأكبر»[٢].

أي أنها تعود إلى الأصل الذي بدأت منه.

---

(١) انظر: ((أديان الهند الكبرى)) (ص ٧١)، و((بدايات الفلسفة الأخلاقية)) (ص ٨٤).

(٢) ((أديان الهند الكبرى)) (ص ٧١).

وفي بعض الكتب المترجمة: «النفس (آتما) هذه أصلها من «براهما» الذي يُعتَبرُ لها كقرص الشمس وهي شعاعة تلك الأشعة»[١].

وفي فلسفة بداية الروح وعودتها، وكونها شعلة من النور البراهمي المقدس يقولون مع التمثيل: «روح الإنسان ومضة من نور الله، بزغت عنه إلى أجل محدود ثم تعود إليه متى جاء الأجل، كالقطرة من الماء تصعد من البحر وترقى في السماء، وتنتقل من جهة إلى جهة، ثم تسقط على قمم الجبال وتجري في الأنهار، ثم ترجع إلى أصلها الذي عنه نشأت ومنه نبعت وهو المحيط»[٢].

فهذه النقولات المتظافرة تفيد اعتقاد الهندوس بقِدَم الروح، وهو اعتقاد وضعي فاسد لا أصل له، بل الروح مخلوقة كسائر المخلوقات، فليست هي الله ولا بعض صفاته _ سبحانه - كما هو معلوم في دين المسلمين.

وهذا المعتقد الهندوسي كما ترى يتفق وينسجم تماماً مع المعتقدات الهندوسية التي تعد من ركائز دينهم، وأعني بذلك عقيدة التناسخ و»النيرفانا» ووحدة الوجود... فتأمل.

٨- اعتقادهم بخلود الروح وكمال صفاتها:

يعتقد الهندوس ببقاء الروح بعد الموت وعدم فنائها بخلاف الجسد الذي يفنى ويتلاشى، وهذا المعتقد ينسجم مع اعتقادهم بتناسخ الأرواح و»النيرفانا» ووحدة الوجود كما تقدم.

يقول أحد الهنود المختصين: «الروح سرمدية أزلية أبدية مستمرة»[٣].

ولا شك أن أصل هذا القول ومبناه النصوص الواردة في كتبهم المقدسة، ففي

---

(١) ((الأديان القديمة في الشرق)) (ص ١٠٨).

(٢) ((الدين المقارن)) (ص ٤٠).

(٣) ((أديان الهند الكبرى)) (ص ٧١).

ملحمة الهند الكبرى المسماة «المهابهاراتا»[1] كان الحوار الدائر بين البطل أرجنا والقديس باسديو، وفي ثنايا الكلام جاءت العبارات المصرِّحة بخلود الروح، وكان مما أورده البيروني في ذلك النص ما يلي: «قال باسديو لأرجنا يحرضه على القتال وهما بين الصفين: إن كنت بالقضاء السابق مؤمناً فاعلم أنهم ليسوا ولا نحن معاً بموتى، ولا ذاهبين ذهاباً لا رجوع معه، فإن الأرواح غير مائتة ولا متغيرة، وإنما تتردد في الأبدان على تغاير الإنسان من الطفولة إلى الشباب والكهولة، ثم الشيخوخة التي عقباها موت البدن ثم العود.

وقال له: كيف يذكر الموتَ والقتلَ من عرف أن النفس أبدية الوجود لا عن ولادة ولا إلى تلف وعدم، بل هي ثابتة قائمة، لا سيف يقطعها، ولا نار تحرقها، ولا ماءُ يغِصُّها، ولا ريح تيبسها، لكنها تنتقل عن بدنها إذا عُتِقَ نحو آخر، كما يستبدل البدن اللباس إذا خلق فما غمك لنفس لا تبيد؟ ولو كانت بائدة فأحرى أن لا تغتم لمفقود لا يوجَد ولا يعود، فإن كنت تلمح البدن دونها وتجزع لفساده فكل مولود ميت وكل ميت عائد، وليس ذلك من كلا الأمرين شيء، إنما هما إلى الله الذي منه جميع الأمور وإليه تصير»[2].

وأيضاً: «يا أرجنا: يفنى الجسم ولا فناء للروح، فالروح ليس له بداية ولا نهاية، فعليك يا أشجع الشجعان أن تُبْعِدَ الأفكار الباطلة عن نفسك، وأن تتأهب للقتال... عليك أن تعلم أن الروح لا يَقتل ولا يُقتل، إنه ليس بأمر حادث، بل

---

(١) **المهابهاراتا:** أنشودة النصر، وهي ملحمة الهند الكبرى، قصيدة بطولية تتألف من مائة ألف زوج من الأبيات الشعرية، يأخذها الصغير عن الكبير، ويرويها الداني عن القاصي، ومازال هذا العهد بهم منذ ثلاثين قرناً أو تزيد، حتى غدت تصور روحهم، وفكرهم، وترسم لهم عالم القيم والمثل. انظر: ((المهابهاراتا)) (ص ٩)، و((أشهر الديانات القديمة)) (ص ٩٤).

(٢) ((تحقيق ما للهند من مقولة)) (ص ٢٠).

قديم، أزلي، أبدي، لا يتغير ولا يتبدل، ولا يموت بموت الجسد، فالذي يرى الروح خالداً يعلم كذلك أنه لا يقتل أحداً ولا يقتله أحد، وكما يبدل الإنسان لباسه كذلك الروح يغيِّر قشرته، فينتقل من جسد إلى جسد»[١].

وكان من تعاليم «كرشنا»[٢]: «أن الجسد الهابطة إليه النفس من السماء شيء زائل، إنما النفس الخفية عن النظر سرمدية»[٣].

وفي مقارنة بين روح «براهما» وروح الكائن الحي يقول الكهنة: «لكل كائن حي روح، وهذه الروح تأتي من «براهما» روح العالم، و«براهما» لا يموت قط، وهكذا فإن روح الكائنات الحية التي تأتي من روح العالم لا تموت قط»[٤].

وإذا كانت الروح (أتمن) خالدة عندهم، فقد أضفوا عليها صفات الكمال الأخرى، فهي عندهم: «لا تؤثر فيها الأسلحة، لا تؤثر فيها الرياح، لا يبليها الماء، لا تحرقها النيران، خالدة أبدية، موجودة في كل مكان... لم تولد، لا تتبدل ولا تتغير، لا يحيط بها فكر، كاملة سواء كانت للرجال أو للنساء»[٥].

هذا النص المترجم يبرز العديد من صفات الروح وهي صفات كمال، وجاء في «تعليم براجاباتي إلى أندرا فيما يتعلق بالروح الحقة: الروح المتحررة من الشر، التي لا عمر لها، التي لا تموت، ولا تحزن، ولا تجوع، ولا تعطش، التي ترغب في

---

(١) ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ٢٦).

(٢) كرشنا: أحد القديسين الهنود، ويعتقد أنه مؤلف غيتا (Gita) الرواية التي تناولت جانباً من الجوانب التي اهتمت بها ملحمة مهابهارتا.
انظر: ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ٢٤).

(٣) ((الدين المقارن)) (ص ٤٢).

(٤) ((قصة الديانات)) (ص ٨٢).

(٥) ((الديانات القديمة في الشرق)) (١٠٨ – ١٠٩).

الحقيقة وتدركها، هذه الروح يجب أن يبحث عنها من يريد أن يفهمها، إن من يكتشف الروح ويفهمها يحصل على كل العوالم والرغبات»[١].

وأيضاً «ليست الروح عمياء ولو كان هذا الجسد أعمى، وليست عرجاء ولو كان أعرجَ، الروح لا تعاني من النقص الذي يعانيه الجسد، إنها لا تموت معه»[٢].

فاتضح اعتقاد الهندوس بكمال الروح وكمال صفاتها، ومنها اعتقادهم بخلودها وبقاءها بعد الموت، بينما الجسد ناقص يفنى ويبلى.

٩- اعتقادهم أن إحراق جثة الميت يجلب الفائدة للروح:

من غرائب الهندوس دفنهم الأبقار من باب التكريم لها، وفق مراسيم معينة، بينما تُحرَق جثة الإنسان[٣] الميت في كومة من خشب الصندل، تحت إشراف الكهنة وفق طقوس تعبدية غريبة[٤]، ثم يجُمَع رمادها ويُلقى في نهر الغانج المقدس عندهم، الذي يحجون إليه للاغتسال بمائه أو لإلقاء رماد جثث الموتى فيه حيث يعتقدون أنه يطهرهم من الذنوب والآثام[٥]، ولهم في عملية الإحراق من مبتداها إلى منتهاها فلسفة كبيرة أتجاوزُها لبيان الفائدة التي تجنيها الروح من إحراق الجسد، فهم يعتقدون كما يذكر البروفيسور «أليف»:

أ- أن حرق الجسد يسمح للروح بالاتجاه لأعلى وبشكل عمودي، لتصل إلى الملكوت الأعلى في أقرب زمن.

---

(١) ((الفكر الفلسفي الهندي)) (ص ١٢١).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ١٢٤).

(٣) انظر: ((من قاموس الأديان)) (ص ٤٤).

(٤) انظر: ((الأسفار المقدسة)) (ص ١٩٢).

(٥) انظر: ((البيان في مقارنة الأديان)) (ص ١٢٤).

ب- أن حرق الجسد يخلص الروح من غلاف الجسم تخليصاً تاماً[١].

وطريقة الهندوس في إحراق الأموات طريقة شاذة لا تجيزها الشرائع السماوية، ولا تقبلها النفوس السوية، ولا صحة لما يُعتَقَد من نتائجها كما يُعلَم من دين المسلمين، حيث تغادر الروح إلى مقرها من الآخرة، كما أن إحراق الأموات ينافي تكريم الإنسان الذي جعل الإسلام تكريمه في الدفن، وجعل حرمته ميتاً كحرمته حياً.

هذا... ومن أبشع ما أملته خرافاتهم إحراق «المرأة مع جثمان زوجها المتوفى وهي حية؛ وذلك لأن الهندوس يعتقدون بأن المرأة التي يموت عنها زوجها لا تتزوج بعده، وتعيش في شقاء دائم، وتكون موضعاً للإهانات والتجريح، وتُعتَبَر في مرتبة أقل من مرتبة الخادم، ولا تستطيع أن تنال السعادة إلا إذا أُحرِقَت حية مع جثمان زوجها المتوفى»[٢].

وظل هذا الحال حتى أواسط القرن التاسع عشر للميلاد، حيث سنت الحكومة البريطانية التي كانت تستعمر الهند يومها قانوناً يمنع ذلك[٣].

لكن المشهور أن الذي سن ذلك أحد ملوك المسلمين في مقابل امتناع المسلمين من ذبح البقر!، كما أفاد ذلك د/ عبدالله الدميجي مناقش الرسالة.

فكان في ذلك رحمتها وعتقها ويوم ميلادها، ولا شك أن في صنيع الهندوس تعدِّياً على النفس التي حرم الله قتلها إلا بالحق، ولكن هكذا هي البشرية عندما

---

(١) انظر: ((الديانات الهندوسية ونظراتها تجاه البشرية)) (ص ١٦).

(٢) ((الديانة الهندوسية ونظرتها تجاه البشرية)) (ص ١٦).

(٣) ((من قاموس الأديان)) (ص ٤٥).

تبعد عن وحي السماء، وتنقطع عن مصدر الهداية الإلهية تتخبط وتضل، ويشقي بعضها بعضاً.

١٠- اعتقادهم أن الروح بعد خلاصها من الجسد بالإحراق تذهب إلى أحد عوالم ثلاثة، حيث مقرها المناسب لها:

يقول الهندوس: «بعد تخلص الروح تصير إلى ثلاثة عوالم:

إما العالم الأعلى وهو عالم الملائكة.

وإما عالم الناس وهو مقر الآدميين بالحلول والتناسخ.

وإما عالم جهنم وهو لمرتكبي الخطايا والذنوب»[1].

وفي بيان هذا المعتقد بتفصيلات أكثر وضوحاً أسوق كلام البيروني بتمامه لما فيه من مزيد بيان وإيضاح لمعتقد الهندوس في تقسيمهم للعوالم التي تغادر إليها الروح بعد خلاصها من البدن، يقول حكاية لمذهبهم: «العالم ينقسم قسمة أولية إلى علو وسفل وواسطة.

فيسمى العالم الأعلى «سفر لوك» وهو الجنة.

والعالم الأسفل «تشاكلوك» أي مجمع الحيات، وهو جهنم، ويسمى أيضاً «نزلوك» وربما سموه «باتال» أي أسفل الأرضين.

وأما الأوسط الذي نحن فيه فيسمى «مات لوك» و»مانش لوك» أي مجمع الناس، وهو للاكتساب.

والأعلى للثواب، والأسفل للعقاب، فيهما يستوفي جزاءَ العمل مَن استحقهما مدةً مضروبةً بحسب مدة العمل، والكون في كل واحد منهما للروح وحده مجردة عن البدن.

---

(١) ((الديانة الهندوسية ونظرتها تجاه البشرية)) (ص ١٦).

وللقاصر عن السمو إلى الجنة أو الرسوب إلى جهنم «لوك» آخر يسمى «ترجك لوك» وهو النبات والحيوان غير الناطق، يتردد الروح في أشخاصها بالتناسخ، إلى أن ينتقل إلى الإنس على تدريج من أدون مراتب النامية إلى عليا مراتب الحساسة، وكونها فيه على أحد وجهين:

إما لقصور مقدار المكافأة عن محل الثواب والعقاب.

وإما لرجوعها من جهنم، فعندهم أن العائد إلى الدنيا متأنس في أول حالته، والعائد إليها من جهنم متردد في النبات والحيوان إلى أن يبلغ مرتبة الإنسان؛ وهم من جهة الأخبار يكثرون عدد جهنمات وصفاتها وأساميها ويفردون لكل ذنب منها محلاً، وقيل في «بشن بران» أنها ثمانية وثمانون ألفاً»[1] وحكى طرفاً مما ذُكر فيه.

فتحصَّل مما سبق أن الدور أو العوالم التي يعتقدون مرور الروح بها ثلاثة، فالجنة التي يزعمون هي دار الثواب، ومقر أرواح الأخيار، والنار هي دار العقاب، ومقر أرواح الأشرار، وفي الدارين يكون الثواب والعقاب للأرواح فقط، ويكون مؤقتاً بحسب ما يستحقه صاحب الدار من جزاء، ثم تعود بعده الروح إلى دار الدنيا حيث تتناسخ في الآدميين إن كان هبوطها من الجنة، وفيما دونهم من الحيوانات والنبات إن كان مجيئها من النار، أو كانت ممن قصر عن الصعود إلى الجنة أو الهبوط إلى النار، وتستمر في التناسخ ثم ترتقي شيئاً فشيئاً... وهكذا.

وهذه عقائد لا أصل لها ولا تصح، وتصورهم فيها مخالف لما هو معروف من دين المسلمين كما تقدم في موضعه، وهي لا تفيد الاعتقاد بالآخرة كما يعتقد المسلمون.

---

(١) ((تحقيق ما للهند من مقولة)) (ص ٤٦ – ٤٧).

١١- اعتقادهم ضرورة الاهتمام بأرواح الأسلاف لترتقي إلى عالم الآباء، وإلا حلَّ بهم الشر والبلاء:

يهتم الهندوس بأرواح أسلافهم غاية الاهتمام، من خلال طقوس واحتفالات يقومون بها بغرض جلب النفع والتبريكات منهم، أو دفع النقم والشرور التي قد تحل بهم جراء عدم الاهتمام والعناية بها.

ويرون أن الاحتفال بالأسلاف يكسبهم أبداناً رفيعةً، يرتقون بها إلى ما أسموه بعالم الآباء المقدس، أو العودة إلى الأرض والميلاد من جديد.

جاء في كتاب «الديانات الوضعية الحية»: «يشغل احترام الآباء والأسلاف حيزاً مهماً من عقيدة الهندوس الأوائل، إذ إن أرواحهم مساوية للآلهة في قدسيتها، وقيمتها فائقة، وتسكن في عالم قدسي خاص يدعونه «عالم الآباء»، وصلة الوصل بين الأبناء والآباء هي «الشراذا» أو الاحتفال الذي يقام لتكريم الآباء، حيث تقدم الأطعمة المحضرة من الأرز.

وتعبر «الشراذا» عن صلة التعاون والرضا بين الأبناء والأسلاف، وإذا تقاعس الأبناء عن توثيق هذا التعاون - من خلال احترام طقوس «الشراذا» ومستلزماتها لتستقر نفوس الأسلاف في عالم الآباء - تنقلب العلاقة إلى سخط وبلاء من الأسلاف على نسلهم وذريتهم؛ لذلك كانت تقام مراسيم تقديم القرابين ومراسيم حرق جثث الآباء على نحو صارم دقيق»[١].

وفي الأيام العشرة التي بعد الثلاثة الأولى من الوفاة «يثابر أهل الميت على صب المياه وتحضير كرات الأرز (البندا) وأكواب اللبن للبراهمانيين عن روح الميت، وعند مرور عام على الوفاة يقام احتفال «السبندكرانا» (Spindikaran) الذي

---

(١) ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ٤٠).

يجعل الميت يتناول أقراص الأرز مع أسلافه، وهذه العملية الاحتفالية تتكرر كل شهر عند ظهور القمر الجديد»[١].

أما طريقتهم في الاحتفال فكالآتي: «يجلس فقهاء البراهمة -الذين هم على خُلُق لا يرقى إليه الشك- في مكان مكشوف على مقاعد منسوجة من العشب المقدس، ويفتح رب الأسرة الاحتفال وينهيه بحرق قرابين للآلهة في النار المقدسة... والتقرب للآباء حيث يضع ثلاث كرات أرز فوق سجادة بالعشب المقدس بعد رش المكان بالماء، وتذهب هذه إلى الموتى الثلاثة من أسلافه: الأب، والجد، وأب الجد، ثم يمسح الأرز العالق بيده في العشب، وهذا هو تقديم القرابين للأسلاف الثلاثة...، ثم يسكب ماءً مباركاً على الأرض بالقرب من «البندا Pinda» ومن شأن ذلك أن يرضي الأسلاف الأكثر بعداً.

ثم يقسم «البندا» أو كرات الأرز على ضيوفه من البراهمة الذين يأكلونها، وما تبقى من «شراذا Shradha» يصبح الوجبة الأساسية للضيوف»[٢].

أما كيفية حضور أرواح الأسلاف تلكم الاحتفالات، وكيفية إبعادها فتقول «شاكوانتالا»[٣] في تعليقها على الكتاب الهندي المقدس: «الباجافاد جيتا»: «توضح تعاليم «مانو» كيفية حضور الأسلاف لتلك الطقوس، حيث يحومون حول مقدمي القربان وحول الكهنة، ويُفْتَرَض أن يغذي القربان المقدم تلك الأرواح التي تبعد في نهاية الطقوس من خلال الصلوات، قائلين: آباءنا يا من

---

(١) ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ٤٠).

(٢) ((المعتقدات الدينية لدى الشعوب)) (ص ١٦٤).

(٣) **شاكوانتالا راوا شاستري**، حجة الدراسات الفيدية، عملت باحثة في جامعة أكسفورد في قسم الدراسات السنسكريتية حيث عملت على تحقيق الباجافاد جيتا، من مصنفاتها: النساء في العصر الفيدي، والنساء والقوانين المقدسة، توفيت سنة ١٩٦١م.

انظر: ((مقدمة تحقيقها للباجافاد جيتا)) (ص ٥).

يُقدَّم إليهم هذا الغذاء احرسوا غذاءكم والأشياء الأخرى المقدمة من قِبَلِنا، كما أنتم مبجلون وخالدون ومطلعون على الحقائق المقدسة، كونوا سعداء، وغادروا على نفس الطريق الذي ترحل فيه الآلهة»[١].

تقول «شاكوانتا»: «هذا الطريق يفترض أن يكون مجرة درب التبانة، ولم يتم تفصيل لماذا تنزل تلك الأرواح من الجنة التي ارتفعت إليها إذا ما تم كبح تلك الطقوس»[٢].

لكن قد ورد أن تلكم الطقوس والاحتفالات من الأهمية بمكان، وفيها مصالح مشتركة بين الأحياء والأموات، وإهمالها يلحق الضرر بالطرفين كما تقدمت الإشارة إليه، إضافة إلى اعتقادهم أن تلكم الاحتفالات والموائد المقدمة «تكسب روح الميت بدناً لطيفاً يمكنها من القيام برحلتها إلى عالم الآباء بسلام للانضمام إلى أرواح الآباء، أو لعودتها إلى حياة ثانية بحسب عقيدتهم في التقمص (التناسخ)»[٣].

١٢ – اعتقادهم أن بعض الأرواح البشرية أصبحت آلهة تحاسب الموتى، وتقدم لهم النفع:

وهذا المعتقد شبيه بالمعتقدات اليونانية والرومانية - كما سيمر إن شاءالله - والهندوس يعتقدون أن «ياما (Yama) إله الموت أو الديان الذي يحاكم الموتى على أفعالهم في حياتهم... أول إنسان مات وارتفعت روحه إلى رحاب السماء وصار إلهاً.

وفي الفيدا أغنية تخبر عن نشأة «ياما» وتوضح دوره، وتدعو إلى احترام «ياما»

---

(١) ((الباجا فادجيتا)) (ص ٣٢ – ٣٣).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٣٣).

(٣) ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ٤١).

الملك الذي يجمع الناس معاً، وقد ارتحل إلى السماء العليا ليشق الطريق للكثيرين، فهو أول من وجد مكاناً نستقر فيه، ولا نحسده أبداً، وتدعو الأغنية الناس إلى ملاقاة «ياما» الذي يجمع الموتى بآبائهم وأسلافهم ويساعدهم في قطف ثمار الأعمال الحسنة في أعلى السماء... إلخ»[١].

وهذا دون ريب معتقد فاسد لا أصل له.

١٣- اعتقادهم أن كل ذي روح مقدس:

الهندوس يقدسون الحيوانات والحشرات كالإنسان، حيث أن لكل منها روح، والأرواح في الأصل تنتقل بين الإنسان والحيوان - كما يزعمون - بالتناسخ، جاء في «قصة الديانات» أن «الهندوسي لا يرى فارقاً بين الحيوان والإنسان؛ لأن لكل منهما روحاً، والأرواح تمضي متنقلةً دائماً بين الحيوان والإنسان؛ ولهذا فهي صنوف إلهية نسجت خيوطها في شبكة واحدة لا نهاية لها»[٢].

ومن الحيوانات التي يقدسونها: الفيل، حيث يعدونه الإله «الذي تتجسد فيه الطبيعة الحيوانية للإنسان، وتتخذ صورته في الوقت نفسه طلسماً يقي حامله من الحظ السيئ»[٣].

كذا هم يقدسون القردة والأفاعي والتماسيح والنمور والطواويس والببغاوات بل والفئران، وتعد البقرة أكثر الحيوانات قدسية عند الهندوس للعلة الآنفة الذكر، ولها تماثيل في كل معبد ومنزل وميدان، ولها حرية ارتياد الطرقات، ولا يؤكل لحمها، وإذا ماتت وجب دفنها بجلال مع أعظم طقوس الدين![٤].

---

(١) ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ١٢).

(٢) ((قصة الديانات)) (ص ٩٧ – ٩٨).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص ٩٧).

(٤) ((المصدر السابق)) (٩٧ – ٩٨).

الفصل الثاني

الروح في الديانة الجينية

الديانة الجينية[١]، أو الجيناوية، أو الجينوية، أو الجينزية، أو الجئينوية كماوردت في المؤلفات العربية[٢]، هي الديانة التي جاء بها «الماهافيرا» أي البطل الكبير[٣]، وهو أمير هندوكي من طبقة المحاربين (كشاتريا) كان يتبع طريق البراهمية أو الهندوسية[٤]، لكنه جاء بمبادئ أخرى اعترض بها عليها كاعتراضه على نظام الطبقات[٥].

ورغم أن الديانة الجينية ثورة على البراهمية، إلا أنها لاتزال تحتفظ بالكثير من عقائدها، فهي ثورة سياسية أكثر منها عقائدية[٦]، وهذا يعني بقاء العقائد الهندوسية ضمن عقائد الجينيين، والذي يعنيني في هذا الموضع بيان ما يتعلق بعقائدهم وتصوراتهم حول الروح.

---

(١) **الجينية**: ديانة منشقة عن الهندوسية، ظهرت في القرن السادس قبل الميلاد على يد مؤسسها مهافيرا، وهي مبنية على أساس الخوف من تكرار المولد، داعية إلى التحرر من قيود الحياة والعيش بعيداً عن الشعور بالقيم كالعيب والإثم والخير والشر، وتقوم على رياضيات وتأملات نفسية بغية إخماد شعلة الحياة في نفوس معتنقيها.

انظر: ((الموسوعة الميسرة)) (١/ ٧٥١).

(٢) انظر: ((الفلسفة في الهند)) (ص ٣١٩) هامش ١.

(٣) **ماهافيرا، فَرْدهمَانا** المؤسس الحقيقي للجينية، ينحدر من أسرة من طبقة الكاشتر، أبوه سدهارتها أمير مدينة في ولاية بيهار، ترهبن في سنة الثلاثين، وعلى يديه تبلورت معتقدات الجينية وحتى اليوم، توفي سنة (٥٢٧ ق.م).

انظر: ((الموسوعة الميسرة)) (١/ ٧٥١).

(٤) انظر: ((قصة الديانات)) (ص ١٥٥)، و((تيارات الفلسفة الشرقية)) (ص ١٦١).

(٥) انظر: ((بوذى الأكبرى)) (ص ٣٣).

(٦) انظر: ((بدايات الفلسفة الأخلاقية)) (ص ٨٦).

عقائد الجينية في الروح:

وقفت من ذلك على جملة من العقائد لعل أبرزها ما يأتي:

١ – اعتقادهم بثنائية التركيب لكل شيء:

فعندهم أن «كل موجود إنساناً كان أو حيواناً أو نباتاً أو جماداً يتركب من جسم وروح، وأن كل روح من هذه الأرواح خالدة مستقلة، يجري عليها التناسخ الذي اتفقت فيه الجينية مع الهندوسية»[1].

وهذا يعني أن الجينية لا تقر بمبدأ اتحاد الروح الجزئية كروح الإنسان بالروح الكلية وهي روح «براهما» أو الخالق لهذا الوجود كما يعتقد الهندوس، وهذا المعتقد يُعَدُّ من أهم الفروق بين الجينيين والهندوس.

ووجود الروح وخلودها حق عند المسلمين، لكنه لا على ما يتصوره الجينيون، فللمسلمين تصورهم المبني على وحي السماء، وللجينيين تصورهم الذي وضعه لهم الرجال لا في الطريق الموصل لخلود الروح، ولا فيما تحصله الروح من جزاء كما سيمر في الصفحات القادمة بإذن الله.

٢- اعتقادهم بـ«الكارما» والتناسخ:

الاعتقاد بـ«الكارما» والتناسخ من العقائد الغالبة على سائر الفرق الهندوسية[2] بما فيها الجينية، إلا أن هذه الفرقة الملحدة لها فهم آخر لـ«الكارما» تخالف به الهندوسية.

فالهندوسية ترى أن «الكارما» «أمر اعتباري يحقق قانون الجزاء الذي يحاسب الإنسان على أعماله السابقة عن طريق التناسخ، إذ الحياة حلقة في سلسلة يحياها

(١) ((أديان الهند الكبرى)) (ص ١١٨).

(٢) انظر: ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ١٦٥)، و((أديان الهند الكبرى)) (ص ١٢٠).

المرء تحدد فعله في الحياة السابقة»[1]، وقد تقدم استيفاء الكلام عن هذه القضية في موضعه، لكن الجينية لها تصور آخر لـ«الكارما» فهي لا تعتقده أمراً اعتبارياً كما تقدم آنفاً، بل «الكارما» عندها «كائن مادي يغلف الروح ويحيط بها كما تحيط الشرنقة بالفراشة، ولا مجال للروح كي تتخلص من «الكارما» وتتحرر منها كلياً إلا إذا سلكت طريق التقشف والنسك، وتشبه النصوص – الجينية – المقدسة الاتحاد بين الروح و«الكارما» فتقول: كما تتحد الحرارة بالحديد، وكما يمتزج الماء باللبن، كذلك يتحد «الكارما» بالروح، وبذلك تصير الروح أسيرة في يد «الكارما»[2].

وإذا كانت «الكارما» تسيطر على الروح وتحبسها فهل من سبيل إلى التحرر والخلاص من أسرها؟

والجواب: نعم، ويكون ذلك «بالابتعاد الكلي عن الملذات والعيش عيشة تقشف وحرمان في كل مرحلة من مراحل الحياة»[3].

ويقول شلبي: «للوصول إلى تخليص الروح من «الكارما» يظل الإنسان يولد ويموت حتى تطهر نفسه وتنتهي رغباته، وإذ ذاك تقف دائرة عمله ومعها حياته المادية، فيبقى روحاً خالداً في نعيم خالد»[4].

وفي مسألة التناسخ التي يؤمن بها الجينيون كسائر الفرق الهندوسية يحسن التنبيه إلى اعتقادهم بالعابرين، وهم القديسون الذين تجاوزوا التناسخ فلم يعد يشملهم، ومنهم المؤسس «ماهافيرا»، تقول الفلسفة الهندية: «تقول هذه العقيدة

---

(١) ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ١٦٥).

(٢) ((المصدر السابق)).

(٣) ((المصدر السابق)).

(٤) ((أديان الهند الكبرى)) (ص ١٢٠).

إنه كان لـ«ماهافيرا» أربعة وعشرون سلفاً من العابرين (تِرْتْهانكار Tirthanka-ra) أي الذين عبروا ممرات التناسخ، أو اجتازوا محيط التقميص وهجرة النفوس وانتقالاتها، بذلك تبدو الجئيونية رفضاً للتناسخ وما ينتج عنه من التفرقة الطبقية أو بين الأعراق المتعددة داخل الهند»[١].

ويُفهم مما تقدم أن التناسخ في الجينية عام، لكن يستثنى منه القديسون، ومادام «ماهافيرا» أحد القديسين وخاتمهم، فجميع الجينيين من بعده يعيشون حياة التناسخ وتكرار المولد.

٣- اعتقادهم بالنجاة:

النجاة عند الجينيين تشبه «النرفانا» في الديانة البوذية، والانطلاق أو الانعتاق والاتحاد بـ«براهما» في الهندوسية[٢]، وهي تعني خلود الروح في النعيم بعد تخلصها من المادة[٣].

وبعبارة أوضح وأبين: النجاة هي غاية الكون، هي التطهر من أوساخ العواطف والشهوات الحيوانية، والتخلص من تكرار المولد والموت، وهي التمسك بالخير والتخلي عن الشر.

والنجاة طور من الوجود يختلف عن أطوار الحياة الدنيا الفانية، إنه الفوز بالسرور للخالد الذي لا يشوبه ألم ولا حزن ولا همّ[٤]، وهذا الروح المنعتق الذي جاء وصفه في أحد النصوص الجينية بأنه «ليس بالطويل، ولا بالقصير، وليس بالثقيل ولا بالخفيف، إنه بلا جسم؛ لأنه لن يُبْعَث بعد ذلك أو يتناسخ، ولا

---

(١) ((الفلسفة في الهند)) (ص ٣٢٠).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ١٦٦).

(٣) انظر: ((أديان الهند الكبرى)) (ص ١٢١).

(٤) انظر: ((المصدر السابق)) (١٢١ – ١٢٢).

شيء يصله من قريب أو بعيد بعالم المادة، إنه ليس بأنثى وليس بذكر، كما أنه ليس حيادي الجنس أيضاً، إنه يدرك، وإنه يعرف ولكننا لا نستطيع أن نعرف كيف»[١].

والحاصل أن النجاة بعبارة مختصرة: هي خلاص للروح من عذاب تكرار المولد في الدنيا لتفوز بعده بالخلود والسعادة الأبدية.

وقد رسم «الماهافيرا» لأتباعه الطريق إلى النجاة وخلاص الروح من تكرار المولد فقال: «الطريق إلى «النيرفانا» هو طريق جواهر النفس الثلاثة، وهي الاعتقاد الصحيح، والمعرفة الحقيقية، والسلوك السليم،... والسلوك السليم يأتي أولاً، وهو باتباع الوصايا الخمس للنفس:

١ – لا تقتل أي كائن حي أو تؤذه بالكلام، أو التفكير، أو العمل.

٢ – لا تسرق.

٣ – لا تكذب.

٤ – لا تحيا حياة الفجور أو تخدِّر نفسك.

٥ – لا ترغب في شيء على الإطلاق»[٢].

ولما سأل الناس «ماهافيرا»: «إذا لم تكن تؤمن بقدسية الطوائف، وإذا لم تؤمن بأن «براهما» خلق العالم، وبأن عبادة الأصنام أو تقديم القرابين للآلهة والصلاة لها يمكن أن تفيد الإنسان... فأين إذن يمكن للمرء أن ينشد الغفران عن آثامه حتى يمكن أن يدخل «النيرفانا»؟»[٣].

أجاب «ماهافيرا»: «لا بالصلاة ولا بالقرابين ولا بعبادة الأصنام يمكن أن

---

(١) ((الروح بين الدين والفلسفة)) (ص ٣٥).

(٢) ((قصة الديانات)) (١٥٤ – ١٥٥).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص ١٥٥).

تجدوا الغفران والطريق إلى الحياة الصالحة... ولكن بالعمل الطيب يمكن أن تبلغوا «النيرفانا»... في داخل نفوسكم الخلاص»[1].

وهذا المعتقد الذي قرره «الماهافيرا» ينسجم مع إنكاره لـ«براهما» الخالق الذي تتحد به الروح عند الهندوس، فالروح تبلغ سعادتها عندهم بهذا الاتحاد، وخلودها وسعادتها يكون بهذا الاتحاد، وكأنه يقول لها: إن الروح لا حاجة لها إلى شيء آخر تحصل معه السعادة، أي أن خلودها وبقاءها مستقل، فهي لا تتطلب شيئاً آخر لتخلد وتسعد معه أو به.

وإذا كان الاعتقاد بالنجاة ماثلاً في قلوب الجينيين، فلا بد أن يبحثوا عن الطرق الموصلة إليه، ومن ثم يجدُّوا في طلبها، ولما سأل الناس: «ما هي الطرق المؤدية إلى الخلاصة والنجاة؟

أجاب الرهبان: «طريق الخلاص توبة تقشفية، وامتناع عن إيذاء أي كائن مهما كانت ضآلته... ونبذ الاستمتاع بكل لذة خارجية؛ لأن اللذة الحسية خطيئة دائماً...»[2].

وإذا كان الجيني يعد إيذاء الحيوانات والحشرات عن قصد أو غيره مصيبة، بل وكبيرة تحول بينه وبين الخلاص الذي ينشده ويأمله ويسعى في تحصيله، فإنك تجده قد جدَّ في أخذ الحيطة بترك كثير من الأمور التي قد تؤدي إلى تكرار المولد وعدم النجاة، بناء على تعليمات الرهبان، فهم يقولون مثلاً: «لا تزرع؛ لأنك عندما تزرع تمزق التربة وتسحق الديدان، لا تأكل العسل لأنه حياة النحل، عليك بتصفية الماء قبل شربه حتى لا تقتل ما عسى أن يكون كامناً فيه من الكائنات، محرم عليك

---

(١) ((قصة الديانات)) (ص ١٥٥).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ١٦٠).

أن تغلي الماء مخافة قتل الحشرات التي لا تقع عليها العين... عليك أن تغطي فمك بشبه كمامة حتى لا تستنشق مع الهواء أحياء عالقة فيه فتقتلها بتنفسك، عليك أن تكنس الأرض من أمامك وأنت تمشي خوفاً من أن تدوس بقدمك الحافية كائناً حياً فترديه، لا يجوز لك أن تأكل لحم الحيوان أو تذبحه أو تضحي به... إلخ»[1].

إلى غير ذلك من النواهي والتحذيرات التي يعتقدون أنها تقربهم من النجاة والخلاص.

وهي كما ترى أمور شاقة على النفس، والعمل بها تعطيل للحياة، فكيف لعاقل أن يتصور هذه الأرض التي أمر الله - تعالى - عباده بالمشي فيها والأكل من خيراتها كما قال سبحانه: ﴿هُوَ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ ذَلُولًا فَٱمْشُوا۟ فِى مَنَاكِبِهَا وَكُلُوا۟ مِن رِّزْقِهِۦ ۖ وَإِلَيْهِ ٱلنُّشُورُ﴾ [الملك: ١٥]. كيف يتصورها بلا عمارة ولا إفادة؟

إن هذا يعني الخراب والدمار للإنسان والحيوان والنبات، فالإنسان يبقى بحاجة إلى شق الأرض وحرثها وغرسها والأكل من خيراتها، والتمتع بما فيها من نعيم، فهل يترك ذلك لأجل حشرة؟!

هذا ما فعله «ماهافيرا» في الماضي، وهو ما يفعله الجينيون اليوم، وهو كما ترى أمر ترفضه الفطر والعقول والشرائع.

ومن العجيب أن الجينيين يتألمون لقتل حشرة ويعدون ذلك جريمة كبيرة، لكنهم لا يتألمون لقتل أنفسهم، بل يعدون ذلك غاية السعادة المقرِّبة للنجاة، فهم يرون أن الانتحار وقتل النفس جوعاً «نعمة أو غاية سامية يستحقها الخاصة من الرهبان، والانتحار المقدس عند الجينيين يكون عن طريق الجوع»[2].

---

(١) ((قصة الديانات)) (ص ١٦٠ - ١٦١).

(٢) ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ١٦٩).

وهذا التعذيب المفضي إلى القتل يدل «على أن الراهب أو الراهبة لم يبق له اهتمام بهذا الجسد الفاني، فهو يجيعه، وينتف شعره، ويعرضه لظواهر الطبيعة القاسية حتى الموت، وقد انتشر الانتحار بالجوع بين رهبان الجينيين قديماً»[١].

وكانوا يعدون بلوغه منزلة سامية تدل على أن الجانائي وصل إلى أسمى درجات الزهد والتقشف، ويؤدي إلى تحرير روحه تحريراً تاماً، وإنقاذه من هذه الحياة، وعدم اضطراره إلى أن يحيا فيها في المستقبل مرة أخرى[٢]، بل ينطلق بعدها إلى السعادة والخلود، فهذه هي النجاة التي يأملها.

ومن العجيب أيضاً أن يرى الجينيون أن كشف العورة وإظهارها لكل أحد دون حياء من الأمور الأساسية للظفر بالنجاة، «يقول أحد علماء الجينية في محاضرة له: مادام المرء يرى في العري ما نراه نحن لا ينال النجاة، فليس لأحد أن ينال نجاته مادام يتذكر أنه عارٍ»[٣].

وقد يهدفون من ترك اللباس إضافة إلى عدم الحرج من إظهار العورة عدم التأثر بتقلبات الطقس، فعندهم أن «الناسك الحق هو الذي لا يشعر بالحر ولا البرد، فلا يحتاج إلى لباس يقيه تقلبات المواسم»[٤].

والإيمان بعقيدة النجاة راسخ في قلوب الجينيين، وهم يتذكرونه دائماً في صلاتهم ودعائهم فـ «عندما يذهب الجيني إلى المعابد، حيث يصلي أمام تماثيل سادته الأربعة والعشرين، فإنه يدعو بالسلام والابتهاج لجميع المخلوقات قبل أن يطلب أي فضل لنفسه... وليس ما يطلبه لنفسه الثراء أو المجد، بل هبة «النيرفانا»،

---

(١) ((أديان الهند الكبرى)) (ص ١٢٤).

(٢) انظر: ((بوذا الأكبر)) (ص ٣٦)، و((الديانات الوضعية الحية)) (ص ١٦٩).

(٣) ((المبحث عن منقذ)) (ص ٦٨).

(٤) مهاويرا مؤسس مجلة ثقافة الهند، مجلد ٢، عدد ٣، ص ١٣ عن ((المصدر السابق)) (ص٦٧).

وغالباً ما يبدؤون صلاتهم قائلين: إلى السيد «جيتاندا شري شاني» المعبود من جميع العالم، واهب السلام والبهجة، أحني رأسي المتواضع الحقير لكي يمنح السلام الدائم لجميع كائنات الأرض، وكل ما أتمناه أن أحصل بفضله على أسمى هبة في الوجود وهي «النيرفانا»... آمين»[١].

هذا.. ويحسن الإشارة إلى أن الجينيين في الجملة لا يرون أن للنساء حظاً في النجاة ما دمن في قوالب النساء، أي إلا إذا دخلت أرواحهن في قوالب أخرى في حياة من الحيوات المتكررة، وخالفهم فرقة «سويتا مبرا» وهي إحدى فرقهم المعتدلة، فقالوا بإمكان نجاة النساء[٢].

٤- اعتقادهم بالجنة والنار التي تسكنها الأرواح:

يعتقد الجينيون – من منظورهم – بوجود جنة تسكنها الأرواح الصالحة، ونار تسكنها الأرواح الشريرة، وقد ورد أصل هذا المعتقد في كلام «الماهافيرا» حيث قال: «إن هناك في الأعماق تحت سطح الأرض جحيماً من سبع طباق، كل طابق منها دون الآخر وأشد هولاً، وكلما كانت الروح أشد شراً وجدت نفسها ملقاة في أسفل درك في الجحيم... أما الروح الصالحة النقية، فترتفع وترتفع إلى أحد الجنات الست والعشرين التي ترتفع كل منها فوق الأخرى، وعندما تصبح الروح غاية في الصلاح وغاية في النقاء، تظل تزداد خفة حتى تصل الجنة السادسة والعشرين، وعندئذ تدخل «النيرفانا»[٣].

هذا النص يقرر وجود النار كمقر للأرواح الشريرة، لكن لا ينبغي أن يُفْهَم منه أنه مقر دائم، بل لا بد من الربط بين عقيدة الجينيين هذه وعقيدة الهندوس

---

(١) ((قصة الديانات)) (ص ١٦٨).

(٢) ((أديان الهند الكبرى)) (ص ١٣٠ – ١٣١).

(٣) ((قصة الديانات)) (ص ١٥٦ – ١٥٧).

الأم في هذه القضية، حيث يعتقد الهندوس أن النار مقر مؤقت تعود بعده الروح إلى الأرض للتناسخ مرة أخرى، وهكذا يمكن القول في مقر الأرواح المعذبة عند الجينيين، إذ إنه لا بد لها من العودة للتناسخ مرات ومرات حتى تصل بعدُ إلى النجاة والخلاص من تكرار المولد، وتفوز بالسعادة والخلود الأبدي.

وتتمة لهذا الموضوع وجدت أن الجينيين يقسمون العالم إلى ثلاثة أقسام أو ثلاث طبقات: طبقة عليا، وطبقة وسطى، وطبقة سفلى.

فالطبقة العليا جعلوها للأرواح الفاضلة، وهي الجنة فيما يظهر.

والطبقة الوسطى جعلوها لأهل الدنيا.

والطبقة السفلى جعلوها للأرواح المعذبة، وهي الجحيم.

وإليك خلاصة موجزة عن تصورهم لهذه الطبقات الثلاث(١):

أ- الطبقة العليا:

هذه الطبقة من العالم تنقسم إلى قسمين: «الكالبا» و«الكباشينا»، وكل منهما ينقسم إلى ستة عشر قسماً أو سماء، وهي تقع فوق الطبقة الوسطى، وتعيش فيها الآلهة بحسب درجاتها ومراتبها، وتعيش فيها الأرواح الخيرة، وعلى رأسها أرواح مبشري الجينية الأربعة والعشرون.

ب- الطبقة الوسطى:

هذه الطبقة هي الأرض التي نعيش عليها، وتنقسم إلى ثماني قارات يفصل بين كل منها محيط هائل من الماء، وفي وسط هذه الأرض يقع جبل «ميرو» المقدس، حيث يمكن عن طريق صعوده وحده الوصول إلى الخلاص النهائي.

---

(١) انظر: ((قصة الديانات)) (١٦٤ – ١٦٥)، و((الديانات الوضعية)) (١٦٢ – ١٦٥).

ج- الطبقة السفلى:

وهذه الطبقة هي الجحيم، وتنقسم إلى سبعة أقسام، لكل منها اسم يميزونه به، ولا حاجة لذكر هذه الأسماء، والمهم هنا اعتقادهم أن الجحيم مكونة من غرف أسموها غرف الرعب، قالوا: وأدنى الآلهة هم الذين ينشغلون دائماً في تعذيب الأرواح الشريرة في هذه الحجرات.

وآلهة الرعب عندهم خمسة عشر نوعاً معروفة بأسمائها، يقوم كل نوع منهم بنوع من التعذيب للروح، وأتجاوزهم إلى «الكاراسفارا» فهذه مهمتها إرغام الأرواح على الجلوس فوق الخوازيق، و»الماهاجوث» لحبسهم في الجحور المظلمة الرهيبة.

هذا ما يتصوره الجينيون بالنسبة للعوالم الثلاثة، وهي تعني إنكارهم للآخرة والبعث والجزاء الذين يدين به المسلمون؛ لأن الروح عندهم إما مشغولة بتكرار المولد، وإما متخلصة منه إلى الخلود.

وهم لا يتطرقون لذكر الجسد في حياة أخرى، ولعلهم يتفقون مع الهندوس في كون مصيره إلى الفناء والتلاشي والعدم.

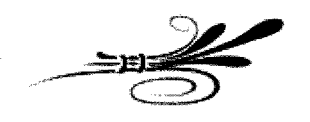
٥- اعتقادهم بقداسة ذوات الأرواح:

يقول «ماهافيرا»: «لا تقتل الحيوان لتتخذ منه طعاماً، ولا تَصِدْ براً أو بحراً، ولا تقتل أدنى المخلوقات في أي وقت، لا تقتل البعوضة التي تعضك، ولا النملة التي تلسعك، لا تذهب إلى الحرب، ولا تقاتل من يهاجمك، ولا تدس دودة على الطريق، فحتى الدودة لها روح»[١].

---

(١) ((قصة الديانات)) (ص ١٤٢).

ولعل هذا المعتقد الجيني امتدادا للمعتقد الهندوسي الذي يقضي بأن لا فرق بين الإنسان والحيوان والنبات؛ لأن لكل منها روحاً، والأرواح تتناسخ في هذه الأصناف، لكن لا يغيب أن الجينيين يفعلون هذا طلباً للنجاة والخلاص من تكرار المولد.



الفصل الثالث

الروح في الديانة البوذية

البوذية[١] كالجينية جاءت كردة فعل لعسف البراهمية واستبدادها، فثارت عليها، وأصبحت عَلَماً لديانة أو نِحلة مستقلة[٢].

والبوذية تنتسب إلى «بوذا»[٣] المؤسس، ورغم انشقاقها عن الهندوسية إلا أن تعاليمها تبقى في صلب الإطار العام للديانات والفلسفات الهندوسية، فهي تلتقي معها في كثير من المواضيع والعقائد والآراء[٤].

وقد صورت «آني بيزنت»[٥] هذا الالتقاء والتقارب فقالت: «الديانة البوذية هي ابنة الهندوسية، والمخطوطات البوذية إذا ما قُرِئَت بشكل صحيح هي صدى المخطوطات الهندوسية، وتعاليمها... تتخللها الروح الهندوسية... إن البوذية الشمالية في التبت والصين قريبة جداً من الهندوسية في تعاليمها عن الآلهة،

---

(١) **البوذية**: هي فلسفة وضعية انتحلت الصبغة الدينية، ظهرت في الهند بعد البرهمية الهندوسية في القرن الخامس قبل الميلاد، كانت في البداية تناهض الهندوسية وتتجه إلى العناية بالإنسان، وبعد موت مؤسسها تحولت إلى معتقدات باطلة ذات طابع وثني، وقد غالى أتباعها في بوذا حتى ألهوه.
انظر: ((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة)) (٢/ ٧٦٨).

(٢) انظر: ((بدايات الفلسفة الأخلاقية)) (ص ٨٩).

(٣) **بوذا، هو سد هارتا جوتاما** الملقب ببوذا، أي العالم، شب مترفاً، وتزوج في التاسعة عشرة، وفي السادسة والعشرين هجر زوجته وانصرف إلى الزهد والتقشف والتأمل، وعزم على تخليص الإنسان من آلامه التي منبعها الشهوات، ثم دعا إلى تبني وجهة نظره حيث تبعه أناس كثيرون، كانت وفاته سنة ٤٨٠ق.م، وقصة حياته لا تختلف كثيراً عن قصة حياة ماهافيرا، وتكاد تعاليمها تتشابه حتى لكأنها للوهلة الأولى تعاليم رجل واحد.
انظر: ((الموسوعة الميسرة)) (١/ ٦٨)، و((قصة الديانات)) (ص ١٥٥).

(٤) انظر: ((الموت في الديانات الشرقية)) (ص ٨٢ – ٨٣).

(٥) **آني بيزنت** هي صاحبة كتاب: سبع ديانات عظيمة، الصادر عن المنشورات الثيوصوفية في الهند عام ١٩٦٦م.
انظر: ((الهندوسية)) (ص ١٥).

واستمرارية الأنا، والحياة بعد الموت، والطقوس والاحتفالات... أما البوذية الجنوبية فقد اختفى الجانب الصوفي في تعاليمها وبقي منها نظامها الأخلاقي»[١].

وهذا يعني أن عقائد البوذية في الروح قد تلتقي مع عقائد الهندوسية فيها بشكل أو بآخر، وإن كانت تختلف عنها في تصورها لبعض المسائل كـ«النرفانا» مثلاً، والحلول، والرجعة وغيرها كما سيمر.

عقائد البوذية في الروح:

وإليك أبرز قضايا الروح في الديانة أو الفلسفة البوذية:

١- اعتقادهم بوجود الروح، وأنها الرغبة أو غيرها على خلافٍ بينهم:

الاعتقاد بالروح عند البوذية يكتنفه الغموض، فلو أن سائلاً سأل: هل البوذية تقر بوجود الروح أو لا؟ لكان سؤاله وجيهاً، ذلك أن بعض الباحثين ذهب إلى أن البوذية لا تقر بالروح، وهذا يتناقض مع اعتقادهم بالتناسخ الذي يقضي بوجود الروح.

وينسبون إلى «بوذا» إنكاره النفس الفردية، يقول «ألبير شويتزر»: إن بوذا «لم ينكر وجود النفس الكلية فقط، وإنما أنكر وجود النفس الفردية أيضاً»[٢].

ويقول غيره: «استبعد بوذا فكرة الأنا أو النفس المتميزة، واعتبر أن من يعتقد أن الأنا كائنٌ مميزٌ ليس عنده إدراك صحيح للأشياء»[٣].

هذا تصور «بوذا»، فهو يرى أنه لا يوجد ذات مستقلة متميزة يُطلَق عليها النفس أو الروح، ولو أنه سئل: كيف تنكر وجود النفس كذات مستقلة خالدة ثم

---

(١) ((الهندوسية)) (ص ١٥).

(٢) ((فكر الهند)) (ص ٨٦).

(٣) ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ٨٥ – ٨٦).

تقول بالتناسخ؟ كيف يتفق هذا مع هذا؟

لما كان هذا السؤال وارداً ومشكلاً، فقد وجد له البوذيون جواباً فقالوا: إن هذا المتنقل بالتناسخ هو الرغبة لا غير، قال بعض البوذيين: «إن النفس غير موجودة، ولكن هناك رغبة هي التي تنتقل من جسم إلى جسم، ومن حي إلى حي تبعاً لقانون التناسخ»[١].

وهذه الرغبة ليست إلا ميل نحو سلوك معين، أو هوى لاتجاه بذاته، كونته الوراثة والخبرة العابرة خلال تجارب الحياة.

إن للإنسان -فضلاً عن كيانه الجسماني- خواصاً عدة، هي المشاعر والأحاسيس بالكيان الجسماني تكون ما نسميه: النفس أو الذات، هكذا يرى «بوذا»، لكنه لا يسلم بوجود الذات كشخصية موحدة، ويرى أن تلك الخواص أو الصفات تُوزَّع من جديد عند الموت في وجود جديد، ومجموعة جديدة[٢].

وكان من منهج «بوذا» الذي سار عليه في هذه المسألة رفض «الدخول في نقاش حول الأبدية والخلود والله... رفض أن يبدي رأياً عما إذا كان للعالم بداية أو نهاية، أو إذا كانت النفس شيئاً متميزاً عن البدن... إلخ»[٣].

ولعل هذا من الأسباب التي قادت أتباعه بعده إلى الفرقة والاختلاف في مسألة الروح، فإن البوذية اليوم بشقيها الجنوبية والشمالية ليست على رأي واحد في مسألة الروح، فتجد أن الجنوبيين ينكرون النفس كذات مستقلة عن البدن، وقد يفسرونها بالرغبة، يقول أحد الباحثين: «البوذية الجنوبية التي يعتنقها سكان تايلاند وبرما وسيرلنكا وكمبوديا وفيتنام لا تؤمن بوجود النفس مستقلة عن

---

(١) ((مقارنة الأديان)) لأبي زهرة (ص ٥٩).

(٢) ((الموت في الديانات الشرقية)) (ص ٨٣ – ٨٤).

(٣) ((المصدر السابق)) (٨٥ – ٨٦).

البدن، وهي تذهب إلى القول بأن الإنسان وجود وهمي يتكون من خمسة عناصر: الجسد والحواس والمشاعر والطاقة والفكر، وعند الموت تتلاشى هذه العناصر، وتندمج في الطبيعة، مخلِّفةً فيها ما يشبه الجرثومة أو البزرة التي تحمل خصائص هذه العناصر مجتمعة... هذه الجرثومة أو البزرة تدخل في رحم الأم، وتتكون فيه وليداً جديداً.

كيف يتم هذا الأمر؟ هل الشيء الذي يدخل رحم الأم مادي أم روحي؟ لا جواب واضح عن هذين السؤالين»[١].

ولما كان هذا المعتقد يكتنفه الغموض ويتعسر فهمه أو تصوره بوضوح فإنه قوبل بالرفض من «الطوائف البوذية الشمالية المنتشرة في الصين واليابان وكوريا والتيبت، ولا توافق عليه، وهي أيضاً لا تؤيد القول بمبدأ «لا للنفس» الذي تنادي به الفئات البوذية الجنوبية... البوذيون الشماليون يرون أن مبدأ «لا للنفس» دخيل على الفلسفة البوذية، تسلل إليها في عهودها الأولى، وقد رفضه الحكيم «بوذا» رفضاً قاطعاً حين سمع به وهو على قيد الحياة!!»[٢].

وهذا القول الأخير يفيد التناقض، فتارة يُنسَب إلى بوذا إنكار النفس، وتارة يقال إنه لم يفعل، وهذا يعني أن النصوص التي بين يدي البوذيين لا يمكن الوثوق بها فيما يُنقل عن «بوذا»، فإذا كانت الكتب السماوية التي لم يتكفل الله بحفظها قد طالتها يد التحريف والتغيير، فما دونها من باب أولى، وأياً ما كان الأمر فإن إنكار النفس البشرية لا يتفق مع اعتقاد البوذية بالتناسخ وتكرار المولد عبر الأزمان، بل

---

(١) ((صوت داهش)) (ص ٢٠).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٢٠-٢١)، وتعرف البوذية الشمالية بالبوذية الجديدة، وقد تأثرت بمجتمعات وحضارات أخرى.

انظر: ((المسلمون في اليابان)) (ص ٣١).

يلزمهم الإقرار بوجود الروح كذات مستقلة عن البدن، سواء أسمَّوها الرغبة أم لا، حتى يمكن فهم عقائدهم في التناسخ وما يتصل به على وجه معقول.

٢- اعتقادهم بـ«الكارما» والتناسخ:

وهما من العقائد التي ورثوها عن الديانة الأم، أعني الهندوسية، والتناسخ أحد الدعائم التي تقوم عليها الفلسفة البوذية، وحقيقته إنكار البعث والجزاء الذي يدين به أهل الإسلام.

تعتقد البوذية كغيرها من الديانات الهندية بـ«الكارما»، أي بالثواب والعقاب على الأعمال التي تصدر عن الفرد «فالإنسان المنتقل يولد من جديد بحالة أفضل أو أسوأ وفقاً للأعمال التي قام بها في حياته السابقة، إنما الواضح أنه لا علاقة بين المولود الجديد وحياته السابقة؛ وذلك لأنه لا مكان لاستمرارية الفردية»[١].

وكان «بوذا» يعتقد كالهندوس كلهم بالتقمص وانتقال الأرواح من بدن إلى آخر طلباً للخلاص الذي يتحقق بـ«النرفانا»[٢].

وكان من خطبه التي ألقاها على تلاميذه قوله: «ركزتُ عقلي في حالة من نقاء وصفاء... ركزته في فناء الكائنات وعودتها إلى الحياة في ولادة جديدة، وبنظرة قدسية مطهَّرة إلهية رأيت الكائنات الحية تمضي ثم تعود فتولد دنية أو سنية، خيرة أو شريرة، سعيدة أو شقية، حسب ما يكون لها من «كارما» وفق ذلك القانون الشامل الذي بمقتضاه سيتلقى كل فعل خير ثوابه، وكل فعل شر عقابه في هذه الحياة، أو في حياة تالية تتقمص فيها الروح جسداً آخر»[٣].

---

(١) ((أضواء علمية على العالم الأخير)) (ص ٩٧).

(٢) انظر: ((من قاموس الأديان)) (ص ٧٨).

(٣) ((قصة الحضارة)) (٣/ ٧٨).

وقد تلقف البوذيون هذا المعتقد دون صعوبة؛ لأن وجوده كان سابقاً لوجود بوذا، فلم يكن من العسير عليهم قبوله والاقتناع به.

وكان البوذيون يزعمون أن «بوذا» قبل أن يصبح الرجل المستنير تقمصت روحه ٥٣٠ جسداً، منها ٤٢ حالة تقمص في أجساد آلهة، و٨٠ حالة في أجساد ملوك[١].

وهذه الدعوة فيها إضفاء طابع التعظيم لـ«بوذا»، وهذه الدعوى يُعرَف مغزاها إذا ما علمتَ أن بعض البوذيين يعد «بوذا» الروح الكلية التي تتحد بها الأرواح في النهاية.

والحاصل هنا: أن البوذيين لا يختلفون عن طوائف الهند السابق ذكرها في الاعتقاد بالتناسخ الذي يعدونه قصاصاً وجزاء وفاقاً على ما اجترحه الإنسان من أعمال سيئة، توجب عقوبته في حيوات متكررة بشرية أو حيوانية، أو نباتية أو غيرها، وفق ما يستحق، حتى إذا ما طهر صعد إلى «النرفانا»، لكن ينبغي التنبه إلى مسألتين:

الأولى: أن بعض الفرق البوذية حاولت تضييق دائرة التناسخ، بحيث يتناسخ الواحد من النوع في نفس نوعه أو صنفه دون أن يهبط إلى أسفل منه أو يرتقي إلى أعلى منه.

يقول شلبي: «تتكلم كل الفرق عن التناسخ وارتباطه بـ«الكارما»، ولكن بعض الفرق ترى تناسخ النوع الإنساني مقصوراً عليه، وتناسخ الحيوان مقصوراً عليه، فلا تنتقل روح من إنسان إلى حيوان ولا العكس، وتزيد فرقة أخرى في تضييق دائرة التناسخ، فترى أن روح العالِم تنتقل إلى صانع وهكذا»[٢].

---

(١) انظر: ((من قاموس الأديان)) (ص ٧٨).

(٢) ((أديان الهند الكبرى)) (ص ١٨٢).

الثانية: أن البوذية في قضية التناسخ ترفض «نظام الطبقات الأربع الهندوسي الذي يميز بين الناس بالولادة، وفيه احتقار للمنبوذين[١]»

فالهندوسية تعتقد أن انتقال الروح إلى طبقة أعلى أو أدنى يكون بحسب إيمان الإنسان في حياته السابقة[٢]، والبوذية لا تعتد بذلك بل ترفضه، وكان «بوذا» يقول: «كما أن لا فرق بين جسم الأمير وجسم المتسول الفقير كذلك لا فرق بين روحيهما، فكل منهما أهل لإدراك الحقيقة والانتفاع بها وتخليص نفسه»[٣].

فإن كان حاضر كل من الأمير والفقير هو حصاد ماضيه بالضبط، فإن مستقبل كل منهما هو ثمرة حاضره بالضبط، فلا مجال للطبقية المقيتة التي أسس بنيانها الهندوس وهدمه البوذيون وغيرهم كالجينيين.

٣- اعتقادهم بالخلاص والنرفانا:

تقدم الكلام عن الانطلاق في الهندوسية، والنجاة في الجينية؟ والآن الكلام عن «النرفانا» في البوذية، وعن مدلول هذه المصطلحات الهندية يقول أحمد شلبي: «الطريق واحد تقريباً في هذه الأديان للتخلص من تكرار المولد، وهذا التخلص هو أسمى ما يتطلع إليه الهنود، وذلك الطريق يتمثل في قتل الشهوات والرغبات والتوقف عن عمل الخير والشر، وإذا استطاع الإنسان أن يجتاز هذا الطريق، وصل إلى الانطلاق أو «النرفانا» التي لا تختلف مدلولاتها اختلافاً ذا بال، فالمدلول في الجميع هو التخلص من تكرار المولد، والحصول على اللذة الصادقة والسعادة الدائمة»[٤].

---

(١) ((من قاموس الأديان)) (ص ٩٦).

(٢) انظر: ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ٨٦).

(٣) ((الدين المقارن)) (ص ٥٠).

(٤) ((أديان الهند الكبرى)) (١٦٢ – ١٦٣).

وإذا كان التناسخ نتيجة استحقاق العقاب في البوذية، فإن «النرفانا» نتيجة استحقاق الثواب فيها، حيث «ترى أن الجزاء عقاباً أو ثواباً حتم لضمان العدل، فلا يصح أن يتساوى المذنب والصالح، فلا بد أن ينال الشرير أو الخيِّر الجزاء، ولهذا اخترعوا التناسخ لمن استحق العقاب، و»النرفانا» لمن استحق الثواب»[١].

لكن ما تعريف «النرفانا» عند البوذية؟ وهل عرَّفها «بوذا»؟ وما الطريق لبلوغها؟ وما المعوقات عن ذلك؟

كل هذه التساؤلات ستكون مدار الحديث في الأسطر الآتية:

لم يكن تعريف «النرفانا» من السهولة بمكان، فقد «اتفق الباحثون على صعوبة تفسير «النرفانا»؛ لأن «بوذا» نفسه رفض شرحها بطريقة مفهومة كما يقول «ردها كرشن» ويقرر أنه لا يجدي نفعاً أن نحاول فهمها، بل ربما كانت اللغات البشرية لا تستطيع شرح «النرفانا»[٢].

ويقول بعض الغربيين: «هي لفظة تحتمل بعض اللبس، ولعل معناها الدقيق يبقى عصياً على كل تحديد وتحليل»[٣].

ولا غرابة في هذا إذا كان صاحب المذهب نفسه لم يجلِّ مفهومها لأتباعه، بل لم يَعُدَّ معرفتها ذا أهمية بالغة، فإنه لما سئل عن «النرفانا» ما هي؟ قال: «لا يهم معرفة ما هي، إن مهمة الإنسان هي بلوغ الكمال حتى تتخلص روحه من حياة الأرض، وتكون قادرة على اجتياز عتبة «النرفانا»[٤].

---

(١) ((أصلح الأديان للإنسانية)) (ص ٣٩).

(٢) ((الإسلام والأديان)) (ص ٧٨) هامش ٣.

(٣) ((البوذية)) (ص ٥٨).

(٤) ((تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي)) (ص ٥٣).

هذا ما حُكِيَ عنه، لكن بما أن الديانة البوذية وضعية فهي عرضة للعب وتعدد الأقوال وتضاربها، ومن ذلك أنه جاء في إنجيل «بوذا» تعريفه «النرفانا» بأنها «حالة السعادة الخالدة»[1].

وعليه فقد تعددت عبارات الباحثين في تعريف النرفانا وتوضيحها، فقرر أحمد شلبي أن «النرفانا» ليست وليدة مرحلة زمنية معينة حيث يرى أنها مرت بمراحل تاريخية، فكان مفهومها عند «بوذا» أول الأمر أنها الاندماج في الله والفناء فيه، لكن لما أنكر وجود الإله أصبح لـ«النرفانا» أحد معنيين:

الأول: وصول الفرد إلى أعلى درجات الصفاء الروحاني بتطهير نفسه، والقضاء على جميع رغباته المادية.

الثاني: إنقاذ الإنسان نفسَه من ربقة «الكارما»، ومن تكرار المولد بالقضاء على الرغبات والتوقف عن عمل الخير والشر.

وبناء على المعنى الأول يصل الإنسان إلى «النرفانا» وهو حي، وبناء على المعنى الثاني ترتبط «النرفانا» بالموت والتخلص من هذه الحياة على ألا يعود إليها[2].

هذا ما قرره أحمد شلبي برجوعه إلى عدة مراجع بلغات أجنبية.

ويرى بعض الباحثين أن «النرفانا» في أصح معانيه هو الحال الذي ينعدم فيه التناسخ الذي هو من ضرورات النفس الشقية، إنها تولد فتموت ثم تولد في حياة جديدة لتنتهي إلى الموت من جديد، وهكذا حتى تتخلص من الألم والشقاء فتصعد إلى «النرفانا»[3].

---

(١) ((إنجيل بوذا)) (ص ١٨٢).

(٢) انظر: ((أديان الهند الكبرى)) (ص ١٦٥).

(٣) ((الديانات والعقائد في مختلف العصور)) (١/ ١٢٨).

ويقول: (و«النرفانا» عدم؛ لأنه عدم تجدد الولادة وعدم تجدد الموت، وعدم الشهوة والرغبة والإرادة، وعدم الحياة في العالم الأرضي، وهو وجود؛ لأن النفس عندما تصل إلى «النرفانا» تنتهي صلتها بالوجود الأرضي، فهو وجود يفنى في وجود أشبه ما يكون بالعدم أو الوهم؛ لأنه لا حس فيه ولا شهود)[1].

وذهب البعض إلى أن النرفانا «تعني الإخماد أو الانطفاء تمهيداً لاتحاد الأنفس بالروح الكلية، وهي عند البوذيين الاتحاد بـ«بوذا» المخلص»[2].

ولما كانت «النرفانا» مطلب لجميع البوذيين، والوصول إليها أمل وغاية كل بوذي، فقد جعلوا لبلوغها مبادئ ثمانية، من طبَّقها وتمثَّلها في حياته ظفر بـ«النرفانا»، ومن فرط فيها ولم يعرها اهتماماً أو أخذ بالخطايا بقي في دوامة التناسخ وتكرار المولد، وهذه المبادئ كما في كتاب الديانات والعقائد هي:

«١- الفهم القويم.

٢- السلوك الذي يحدد الاتجاه الحق إلى الخير، دون أن يكون فيه إيلام الجسد وتعذيبه، والابتعاد عن الشر.

٣- القول الطيب، فلا يكذب ولا ينمُّ ولا يسب ولا يهزأ ولا يؤذي مخلوقاً بلسانه.

٤- العمل الصالح، عمل كل ما فيه نفع الناس، والكف عن الأذى والعدوان.

٥ - العيش الحلال، الذي يتم بتخيُّر الرزق الحلال والزهد عما في أيدي الآخرين، والامتناع عن الغش والكسب الحرام بأي وسيلة.

---

(١) ((الديانات والعقائد في مختلف العصور)) (١/ ١٢٩).

(٢) ((من قاموس الأديان)) (ص ٧٨).

٦ – الجهد الصادق المثمر الذي يتجلى في إرادة الحكمة بفهمها فهماً صحيحاً.

٧ – التأمل بالانقطاع إلى الخير، وترويض النفس على العمل الصالح رغبة في الوصول إلى «النرفانا».

٨ – الفرح بتحقق الأمل في الحياة الذي هو المعراج إلى «النرفانا»[١].

وأما الخطايا التي حذروا من الوقوع فيها كونها سبب تكرار المولد، وكونها تحول بينهم وبين وصولهم إلى «النرفانا» فهي عشرة منها: الشهوة، والجهل، وسوء النية، والغرور، والشك، والوهم[٢].

ومن كل ما تقدم يمكن القول:

أن «النرفانا» هي الوضع أو الحالة التي يسعى البوذي لبلوغها حتى يتخلص من ربقة التناسخ، وتكرار المولد، ومن ثم الاتحاد والاندماج في «بوذا»، وهذه هي «النرفانا» وهي قمة السعادة التي يتصورها العقل البوذي، ولكي يصل إليها البوذي يتحتم عليه الأخذ بمبادئ الوصول الثمانية، كما يتحتم عليه البعد عن معوقات الوصول العشرة.

والمهم في قضية «النرفانا» أن يُعلَم أن «بوذا» قد حجرها وضيق دائرة الوصول إليها حيث قال: «إن قليلين جداً هم الذين يبلغون «النرفانا»[٣].

فهذا يعني أن الكثير سيظل في ظلام وتخبط وحرمان[٤]، حيث ستكون فرص النجاة والخلاص من ربقة التناسخ محدودة وضيقة جداً، مما يعني أن يعيش

---

(١) ((الديانات والعقائد)) (١/ ١١٨ – ١١٩)، وانظر: ((فلاسفة إنسانيون)) (ص ٦٩)، و((الحكماء الثلاثة)) (ص ١٠٧).

(٢) انظر: ((الديانات والعقائد)) (١/ ١٣٣).

(٣) ((أديان الهند الكبرى)) (ص ٢٠١).

(٤) ((المصدر السابق)).

البوذي حياة القلق والاضطراب والشعور بالكآبة والحزن، والخوف من المستقبل المجهول.

٤- اعتقاد بعض طوائفهم بالجنة والنار:

عند الكلام عن الجنة والنار عند البوذيين لا ينبغي أن يقع في النفس أنها تشبه ما عند المسلمين، إذ إن البوذية ديانة وضعية لها تصوراتها الخاصة البعيدة عن وحي السماء.

والاعتقاد بالجنة والنار ليس محل اتفاق في البوذية، وإنما قال به طوائف من البوذية الشمالية (ماهايانا) حيث يعتقدون «بوجود الجنة والجحيم، وأنه لا بد من مرور الروح بهما قبل أن تصل مرتبة «النرفانا»»[١].

ويقولون: «إذا كان الإنسان صالح الأعمال عند وفاته، يرتقي إلى تلك الآلهة والأبرار، ويسعد وينعم إلى أجل ما.

أما إذا كان طالح الأعمال فإنه يتقمص كائناً من مخلوقات الأرض الدنيا: حشرة أو زحافة أو حشاً أو نبتة... ويظل في هذه الحالة التعيسة على قدر ما اقترف من شرور.

وأما إذا كان الإنسان في منزلة وسطى، أي لا بارًّا ولا شريراً فسرعان ما يتقمص إنساناً»[٢].

ويُذكر أن بوذا كان يرى أن الروح بعد موت جسدها يجوز أن تُرسَل إلى الجحيم لتلقى عذابها على جرم بعينه، أو أن تُرسَل إلى الجنة لتنعم بجزاء سريع على فضيلة بذاتها.

---

(١) ((عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة)) (ص ٢٠١).

(٢) ((صوت داهش)) (ص ٢٢).

لكن يستحيل على روح أن تقيم في الجحيم إلى الأبد، وقليلة هي الأرواح التي تقيم في الجنة إلى الأبد؛ لأن الروح بعد فترة تقضيها في الجنة أو الجحيم، لا بد لها أن تعود إلى الأرض من جديد، لتنفذ بحياة جديدة ما يقضي به عليها «كارما»[١].

وهذا يعني أن هناك فاصلا زمنيا تنعم فيه الروح أو تُعذَّب، وهذا الفاصل يكون من الموت وحتى العودة إلى الأرض، وهو شبيه بمعتقد الهندوس كما تقدم.

والأرواح المعذبة عندهم تقضي وقتها «فوق نصل سكاكين غاية في الإرهاف، وبعضهم يُحكَم عليهم بالمرور خلال سَمِّ الخياط، وبعضهم يوضعون بين صخرتين مستويتين تضمانهما ضماً فتسحقانهم دون أن تقتلاهم، وبعضهم تُطلَق عليهم طيور العقاب الجائعة فتظل تنقر عيونهم بغير انقطاع، وملايين منهم يُقضَى عليهم بالسباحة الدائمة في بركة مليئة ببول الكلاب أو مخاط الآدميين»[٢].

هذه تصورات بعض طوائفهم عن الجنة والنار، وهي تفيد في النهاية عدم أبديتهما؛ لأن الأرواح تعود إلى الأرض مرة أخرى في دورات تعقبها دورات قبل أن تصل «النرفانا» حيث لا عودة.

٥- اعتقادهم أن «بوذا» هو من يحاسب الأموات:

جاء في الموسوعة الميسرة ضمن عقائد البوذيين أنهم «يعتقدون أن «بوذا» هو الكائن العظيم الواحد الأزلي، وهو عندهم ذات من نور طبيعية، وأنه سيحاسب الأموات على أعمالهم»[٣].

---

(١) انظر: ((قصة الحضارة)) (٣/ ٢١٥)، و((الموت في الديانات الشرقية)) (ص ٨٦).

(٢) ((قصة الحضارة)) (٣/ ٢١٦).

(٣) ((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة)) (٢/ ٧٦٩).

ولا يخفى بطلان هذا المعتقد، وهو من الغلو الذي يعتقدونه في شخص «بوذا» المقدس عندهم، وكيف لا وقد ألَّهوه؟!

٦- اعتقادهم برجعة «بوذا»:

كما أضفى البوذيون الأساطير على مولد «بوذا» ونشأته، أضفوها أيضاً على موته ونهايته، فهم يزعمون أن «بوذا» لما مات «ودُفِنَ انحلت الأكفان وفُتِح غطاء التابوت بقوة غير طبيعية (بقوة إلهية) وصعد بوذا إلى السماء بجسده لما أكمل عمله على الأرض، ولسوف يأتي «بوذا» مرة ثانية إلى الأرض ويعيد السلام والبركة فيها»[١].

وهذه خرافات وأباطيل لا تصح، لكنها ليست بالهيِّنة، حيث انتقلت عدوى الاعتقاد بالرجعة عن قصد أو غيره إلى بعض طوائف الشيعة المنتسبين للإسلام!

٧- اعتقادهم بالحلول:

لم يكن الحديث عن الإله يشغل حيزاً من فكر «بوذا» والبوذية، حتى قال بعض الباحثين «الله موضوع متروك جانباً في البوذية... بيد أننا نلاحظ أن أتباع «بوذا» بعده قد تحدثوا عن الله، وذهب بعضهم إلى الاعتقاد بأن روح الله قد حلت في «بوذا»، فأصبح هذا في جانب منه إنساناً من حيث تكوينه المادي، وفي جانب آخر إلهاً، وهكذا رفعوه إلى مصاف الآلهة، وقبلوا كلماته على أنها حقائق لا يتطرق إليها الشك»[٢]، وهذا المعتقد يشبه عقيدة النصارى في المسيح - عليه السلام -.

ومادام باب الحلول قد فتح فلا عجب أن يتطور الأمر فتظهر تصورات

---

(١) ((مقارنة الأديان)) لأبو زهرة (ص ٥٢)، وانظر: ((الموسوعة الميسرة)) (٢/ ٧٦٩).

(٢) ((بدايات التفلسف الإنساني)) (ص ١٣١).

أخرى للحلول، وهذا ما حصل حيث بالغت بعض فرقهم فقالت: «إن الله يحل في أية صورة يختارها من صور أفراد الإنسان حلول تطهير وتكميل لا حلول استقرار»[1].

والقول بالحلول قول باطل، ومعتقد فاسد لا يصح تصوره فضلاً عن اعتقاده.



(١) ((أديان الهند الكبرى)) (ص ١٨٢).



الفصل الرابع

الروح في الديانة الكونفوشيوسية

الفلسفة الكنفوشيوسية إحدى الفلسفات الصينية القديمة[١]، بالإضافة إلى الطاوية[٢]، والبوذية[٣]، ويعد كنفوشيوس[٤] المؤسس الحقيقي لهذه الفلسفة أو الديانة، وقد أُثِرَ عنهم بعض العقائد المتعلقة بالروح، والتي ترجع في أصولها - فيما يظهر لي - إلى عقائد الصينيين قبل كفنوشيوس.

عقائد الكنفوشيوسية في الروح:

١- اعتقادهم أن الإنسان نتيجة لاتحاد الأرواح السماوية بالعناصر الأرضية:

لا يعتقد الكونفوشيوسيون أن أصل الإنسان مخلوق من تراب، وأنه عبارة عن مجموع الروح والجسد، جاء في الموسوعة الميسرة ضمن عقائدهم، قولهم:

---

(١) **الكنفوشيوسية**: ديانة أهل الصين وترجع إلى الفيلسوف كنفوشيوس الذي ظهر في القرن السادس قبل الميلاد، ودعا إلى إحياء الطقوس والعادات والتقاليد التي كان عليها الصينيون الأجداد، مضيفاً إليها آرائه الفلسفية في الأخلاق والمعاملات والسلوك، تقوم على عبادة إله السماء، والملائكة، وأرواح الآباء والأجداد.
انظر: ((الموسوعة الميسرة في الأديان)) (٢/ ٧٥٨).

(٢) **الطاوية**: أحد أكبر الديانات الصينية القديمة الحية، تقوم في جوهر فكرتها على العودة إلى الحياة الطبيعية، والوقوف موقفاً سلبياً من الحضارة والمدنية.
انظر: ((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب)) (٢/ ٧٤٥).

(٣) انظر: ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ٢٢٥).

(٤) **كنفوشيوس**، مؤسس الديانة الكنفوشيوسية، ولد سنة ٥٥١ق.م، اسمه كنج، ينتسب إلى أسرة عريقة، لكنه عاش يتيماً، وعمل بالرعي، وتلقى علومه عن الفيلسوف لوتس صاحب النحلة الطاوية، ثم أنشأ مدرسة لدراسة أصول الفلسفة، ورحل وتنقل بين البلدان إلى أن توفي سنة ٤٧٩ق.م، بعد أن ترك مذهباً رسمياً وشعبياً استمر حتى الآن.
انظر: ((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب)) (٢/ ٧٥٨).

«ليس الإنسان إلا نتيجة لتزاوج القوى السماوية مع القوى الأرضية، أي لتقمص الأرواح السماوية في جواهر العناصر الأرضية الخمسة»(١).

وهي العناصر التي يرجع إليها أصل كل الموجودات وهي: المعدن، والخشب، والماء، والنار، والتراب(٢).

وإذا كان الإنسان عبارة عن التقاء القوى العليا (السماوية) بالقوى الدنيا (الأرضية) فهذا يعني من وجهة نظرهم أن الإنسان هو «مركز الكون؛ لأنه نقطة تلاقي القوى الأرضية والسماوية»(٣).

وللكنفوشيوسية فلسفة في علة تقمص الأرواح السماوية للعناصر الأرضية، فهم يقولون: إن علة هذا التقمص «حتى تستطيع هذه العناصر أن تتمتع بالغذاء واللون والموسيقى، ومن هنا يجب على الإنسان أن يتمتع بكل ما في هذه الكلمة مِن معانٍ، ولكن في حدود الأخلاق السليمة»(٤).

هذه فلسفة الكونفوشيوسيين في أصل الإنسان، وهي فلسفة مَنْ لا علم له بالوحي، إذ مبناها على الوهم والخيال والأساطير.

٢- اعتقادهم بوجود الروح وخلودها:

تعتقد الكنفوشيوسية بوجود الأرواح وبقائها(٥)، وهو من العقائد المكينة عندهم، ويدل عليه تقديسهم لأرواح أسلافهم من الآباء والأجداد الذين مضوا - كما سيأتي -.

---

(١) ((الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة)) (٢/ ٧٦٤).

(٢) انظر: ((كونفوشيوس النبي الصيني)) (ص ٦٣).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص ٦٤).

(٤) ((المصدر السابق)).

(٥) انظر: ((الموسوعة الميسيرة)) (٢/ ٧٦٣)، و((مطول الإنسان روح لا جسد)) (١/ ١١٦).

ومما يدل على اعتقادهم بالروح وتفريقهم بينها وبين الحياة وغيرها، قول «هون تسو»[١]: «للماء والنار «جيهيان (chihi)» أي روحان رقيقان، ولكن ليس لهما «شينج (cheng)» أي حياة، وللنبات والأشجار «شينج»، ولكن ليس لهما «جيه (chih)» أي إدراك، وللطيور والحيوانات «جيه» لكن ليس لها «آي (i)»، أي إدراك للعدل، أما الإنسان فله «جيهي» و«شينج» و«جيه» بالإضافة إلى «آي»، لذا فالإنسان أنبل الكائنات الحية»[٢].

٣- اعتقادهم بقداسة أرواح الأسلاف، وعبادتها:

يعتقد الصينيون من الطائفة الكنفوشيوسية بقداسة أرواح آبائهم وأجدادهم؛ ولذا جعلوها ضمن معبوداتهم الأساسية التي كان عليها الصينيون القدماء فهم لم يشذوا عنهم في هذه القضية، يقول أبو زهرة: «أساس هذه العقيدة أنهم يعبدون ثلاثة أشياء: السماء، والأرواح المسيطرة على ظواهر الأشياء (الملائكة)، وأرواح الآباء»[٣].

وهم يعتقدون «أن أرواح الأموات تنفصل عنهم بعد موتهم، وتبقى في الدنيا مع أسرتهم؛ ولذلك يعبدون أرواح الآباء تقديساً لهم، ووفاءً لعهدهم، وشكراً لهم على ما أسدوا من نِعَمٍ لأبنائهم، ويقدمون لهم القرابين»[٤].

وهذا يعني أن مقر الأرواح عندهم هو عالم الأحياء في الدنيا، وأن ليس هناك مكان آخر تذهب إليه الأرواح في منظورهم.

---

(١) هون تسو (٣١٢ق.م – ٢٣٨ق.م).
انظر: ((البيان في مقارنة الأديان)) (ص ١٦١).
(٢) ((المصدر السابق)).
(٣) ((مقارنات الأديان)) (ص ٧٢).
(٤) ((المصدر السابق)).

وإذا كان الأموات يعبدهم الأبناء والأحفاد وأحفاد الأحفاد فإن هذا يوحي بأن عبادة الميت بعينه تكون من قرابته لا غير، وهذا ما يحصل بالفعل، فالكنفوشيوسية جعلت عبادة الأسلاف «خصوصية عائلية... لكل عائلة معبدها العائلي الخاص أو مُصلَّاها، حيث تقام فيه طقوس العبادة العائلية في وقت محدد، ولكل سلالة («شي») معبدها العشائري للأسلاف... ولكل مجموعة عشائرية أكثر كبراً «سين» (عائلة) كان لها معبد بدورها مكرس لأول رئيس عام للعائلة، أما القرابين والصلوات في هذه المعابد فكان يقيمها إما رأس العائلة أو الأكبر سنًّا في العشيرة»[1].

ففي هذه المعابد العامة (العشائرية) والخاصة (السلالة) والأخص (العائلية) يُقدَّس الأسلاف وتُعبَد أرواحهم وتُقدَّم لهم القرابين.

ولعبادة الأسلاف مواسم معينة وطقوس خاصة يلتزمون بها، ففي أواسط كل شهر من أربعة شهور من السنة مثلاً ينبغي تقديم قربان عائلي، حيث يتقدم رب العائلة من معبد الأسلاف، ويجثو على ركبتيه أمام لوحات يخرجونها من خزائن تكون محفوظة في داخلها، ويتلو النص الآتي: «أنا العابد الحفيد، فلان الفلاني، اليوم وبمناسبة حلول أواسط الفصل كذا، أود تقديم قربان لكم أيها المرحومون، إلى القريب والجد، وجد الجد، وجد جد الجد، وإلى القريبة الجدة، وجدة الجدة، وجدة جدة الجدة، وأملك الجرأة لنقل لوحكم الخشبي إلى قاعة المنزل؛ لأدعو أرواحكم لتنعم هناك بقبول القرابين التي ستُقدَّم مع فائق التبجيل»[2].

وفي النص زيادة فائدة وهي أن الأرواح التي يخاطبونها تعي وتفهم، وإلا لم

---

(١) ((البيان في مقارنة الأديان)) (ص ١٦٢).

(٢) ((المصدر السابق)) (١٦٢ – ١٦٣).

يكن لمخاطبتهم إياها معنى وفائدة، وكان من عادتهم أن «البنات عندما يكبرن يتزوجن ويعبدن أسلاف أزواجهن كما تقضي التقاليد»[١].

وإذا كان الكنفوشيوسيون يقدسون الآباء والأجداد لما أولوهم من رعاية واهتمام ولما لهم عليهم من أفضال، إذا كان الأمر كذلك أليس من حق حكمائهم وأبطالهم أن ينالوا نصيباً من التقديس والعبادة؟ سيما أن لهم أفضالاً عليهم في إصلاح أحوالهم والاهتمام بأمورهم؟

بلى.. لقد كان الأمر كذلك، فإنهم لم يقتصروا على عبادة «أرواح أجدادهم وأرواح آباء أجدادهم وأرواح أجداد أجدادهم فحسب.. بل عبدوا كذلك أرواح كبار الحكماء والأبطال الوطنيين.. وعبدوا بصفة خاصة أباطرتهم الذين كانوا يُعتبَرون دائماً مقدسين»[٢].

ولذا فإن كونفوشيوس عُبِدَ بعد وفاته، بل أصبحت عبادته الآن ديانة أهل الصين الرسمية[٣]، وأقاموا له المعابد والهياكل، وصنعوا له تماثيل ونُصُباً قدسوها وعبدوها[٤]، لقد أصبح كونفوشيوس اليوم إلهاً تُقدَّم له القرابين في مواسم عُدَّت – فيما بعد – حجًّا غير ملزم لهم، وكان يرافق احتفالاتهم بهذه الفريضة الغناء والرقص على أنغام الموسيقى، كما أنهم كانوا يحجون إلى هيكل «تيان» الذي يمثل رفات أحد قديسيهم[٥].

إذاً فالأصل في عبادة الأرواح أن تكون للأسلاف، لكنهم عدُّوا عظماءهم

---

(١) ((قصة الديانات)) (ص ١٩١).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ١٨٩).

(٣) انظر: ((الدين المقارن)) (ص ٨٧).

(٤) انظر: ((الديانات والعقائد في مختلف العصور)) (ص ١٥٤).

(٥) انظر: ((العبادات في الديانات القديمة)) (ص ٥١).

كالأسلاف فعبدوا أرواحهم، وكأن عبادة الأسلاف تكون حقاً على الأبناء والأحفاد، وعبادة العظماء تكون على القاصي والداني أي على الجميع، فيكون حظهم منها أكبر وأعظم.

ولا شك أن هذا من الضلال الذي أوحى به الشيطان إليهم، إذ كيف يعبد الإنسان روح إنسان مثله؟ كيف يعبد من لا يملك لنفسه نفعاً ولا ضرًّا؟

كيف يصنع ذلك ويترك عبادة من بيده الأمر كله، وهو الله الذي لا إله إلا هو؟

ولا شك أن هذا ومثله وأكثر منه يقع من البشرية عندما لا يكون لها صلة بالسماء، أعني عندما لا يكون لها وحي من الله تعالى يهديها وينير لها الطريق.

٤- اعتقادهم أن لا بعث ولا جنة ولا نار:

أغفل «كنفوشيوس» في حديثه ومواعظه الكلام عن الآخرة، كما أغفل الكلام عن الثواب والعقاب الأخروي، ولم تكن تدخل هذه المسائل وأمثالها في قضية الإيمان عنده، إن «كنفوشيوس» لم يكن «يهتم بالعالم الأخروي، ولا بالأرواح، ولا بالأفكار الغيبية، والمؤمن الحق في نظره هو المنهوم بالعلم والبحث والمعرفة، إنه الأمين الصادق الشجاع البعيد عن الترف والجشع والطمع وسائر الدنايا.

إن «كنفوشيوس» يذكر كل هذه الصفات على أنها من صفات الرجل المؤمن، دون أن يذكر إلى جانبها شيئاً من الطقوس والعبادات والقرابين الدينية، أو أن يحث عليها ملوِّحاً بالثواب في حياة أخرى غير الحياة الدنيا، أو مخوِّفاً من عذاب النار، بل السبيل إلى التدين أو الإيمان عنده إنما هو: سبيل المعرفة والدرس وتأمل التاريخ والموسيقى»[1].

---

(١) ((بدايات الفلسفة الأخلاقية)) (ص ١١٦).

و«كنفوشيوس» - وهو ابن البيئة الصينية - لم يكن ليخرج في عقائده عما كان عليه أسلافه الذين لا يؤمنون بالأخرويات، يقول أبو زهرة: «لم يكن الصينيون القدماء يؤمنون بجنة ولا نار، ولا عقاب ولا ثواب، ولقد أخذ «كنفوشيوس» بكل هذه العقائد ولم يزد عليها، فلم يؤمن بالآخرة، ولم يفكر في الحياة بعد الموت، بل كان كل همه في إصلاح الحياة الدنيا»[1].

ولما كانت الأمور الأخروية - أو على الأصح لما كان ما بعد الموت - من الأمور التي يكتنفها الغموض بالنسبة للرجل الصيني، وكانت تَرِدُ على نفسه الخواطر والتساؤلات بشأنها، وكان لا بد لها من إجابة شافية تكشف المجهول وتبدد حيرة النفس وقلقها، لما كان الأمر كذلك وكان «كنفوشيوس» قد تصدَّر قومه وكان حكيمهم ومرجعهم فيما يُشكِل عليهم، فقد انبرى بعض أتباعه من أصحاب التساؤلات عما بعد الموت، فسألوه وسألوه، ولكنهم لم يجدوا جواباً!

لقد أسقط «كنفوشيوس» من قاموسه الكلام في ما بعد الموت، كان يرفض الحديث عن الأخرويات، بل كان يتملص من الإجابة عندما يُسأَل عن أمر من أمورها، حتى أصبح هذا السلوك منهجاً عُرِف به بين الأتباع، فهو عندما «سُئِل: هل يظن أن هناك حياة أخرى بعد الموت؟ أجاب: إذا كنا لا نعرف شيئاً عن الحياة، فكيف نعرف شيئاً عن الموت وما بعد الموت؟»[2].

فهو بهذه الإجابة قد قفل الباب على كل سائل وسؤال يتعلق في ما بعد الموت، وبيَّن جهله به.

---

(١) ((مقارنات الأديان)) (ص ٧٣).

(٢) ((قصة الديانات)) (ص ٢٠٩).

ولما سُئِل: «هل لدى الأموات علم بشيء أم هم بغير علم؟ لم يجب بأي جواب»[١].

ولما سُئِل: «عن خدمة أرواح الموتى؟ أجاب: إذا كنت عاجزاً عن خدمة الناس فكيف تستطيع أن تخدم أرواحهم؟»[٢].

وهذا الهروب إنما هو نتيجة الجهل بأمور الآخرة، وإلا لو كان عنده علم من وحي السماء - ولو مشوَّهاً - لربما أجابهم عن هذه الأمور، ولم يكن «كنفوشيوس» ليكذب على أتباعه، ومنهجه يقوم على الصدق والبعد عن الدنايا حيث عَدَّ ذلك من صفات الرجل المؤمن.



(١) ((الديانات الوضعية الحية)) (ص ٢٣١).

(٢) ((المصدر السابق)).

الفصل الخامس

الروح عند قدماء المصريين

يتألف شعب مصر القديمة من سكان البلاد الأصليين من الجنس الحامي، والنوبيين القادمين من أواسط إفريقية، والليبيين، والآسيويين الذين وفدوا إلى مصر من الشمال الشرقي، وقد انصهرت هذه الشعوب مع سكان مصر الأصليين وأخذت لغتهم وعاداتهم.

وقد تركزت الحضارة المصرية القديمة في الشمال الشرقي من إفريقيا على ضفاف نهر النيل العظيم، وعلى الهضاب الممتدة إلى الشرق منه حتى البحر الأحمر، وجزء من الهضاب الليبية في الغرب[١].

وامتد التاريخ المصري القديم «في الفترة من ٥٥١٠ إلى ٣١٠٠ قبل الميلاد، أي أكثر من واحد وخمسين قرناً.

حيث ضم ثلاثين أسرة تحت قبة هذه الحقبة التاريخية الكبيرة»[٢].

ويقول «الشتلة» كبير مفتشي الآثار: «الحضارة المصرية القديمة... تمتد جذورها إلى ستة آلاف عام قبل الميلاد»[٣].

وعن الترابط بين حضارات العصور المصرية وبداية التدوين يقول «جان فير كوتير»: «إن قدم الحضارة المصرية في حد ذاته هو أمر على قدر كبير من الأهمية، فلم تعرف مصر انفصالاً بين حضارات عصر الحجر المصقول والعصر التاريخي، فالمرحلة الأولى تقود إلى الثانية، وعندما بدأت مصر تاريخها المكتوب حوالي

---

(١) انظر: ((الديانات الوضعية المنقرضة)) (١/ ١٣٢).

(٢) ((مصر الفرعونية)) (ص ٩).

(٣) ((جذور الحضارة المصرية)) (ص ٥).

٣١٠٠ قبل الميلاد، كانت وراءها تجربة إنسانية طويلة...»[١].

ومع هذا التاريخ الطويل الشائك لم يكن التعرف على معتقدات المصريين القدماء بالأمر الهين، حيث كان يستدعي «نوعين من القراءة: قراءة الرسوم المنقوشة أو المطبوعة على جدران المعابد والمقابر، وقراءة الكتابات الهيرغليفية المنتشرة هنا وهناك في الخرائب التي ربضت على صدر الزمن»[٢].

وقد جدَّ الباحثون من الغربيين وغيرهم في دراسة الحضارة المصرية والتأليف حولها، فخرجت عدة مصنفات تحكي تاريخهم، وعقائدهم، وعباداتهم وسائر شؤون حياتهم، وقد بينوا أن الديانة المصرية من أقدم الديانات التي اهتمت بموضوع الروح، وما يكون بعد الموت، حيث شغلت هذه المسائل وما يتصل بها حيزاً كبيراً من تفكيرهم، فكان المصري «يرى في عالم ما بعد الموت عالماً مكملاً لعالم الدنيا»[٣].

وكانت عقائد ما بعد الموت والتي تسمى «بالعقائد الجنائزية تشكل العمود الفقري لفكرة خلود الإنسان بعد الموت، وبقائه حياً بروحه وجسده في عالم الآخرة»[٤].

وقد وقفتُ أثناء البحث والدراسة على جملة من العقائد الروحية التي تُنْسَب إلى الديانة المصرية، وقبل الخوض فيها ينبغي ألا يغيب عن البال أن هذه العقائد لا يمكن الجزم بأنها عقيدة المصريين كلهم، كما لا يمكن الجزم بأنها هي العقيدة الرسمية أو الوحيدة منذ بدايات التاريخ المصري وحتى نهايته، ذلك أن الديانة

---

(١) ((مصر القديمة)) (ص ٦).

(٢) ((الديانات الوضعية المنقرضة)) (١/ ١٤٢)، وانظر: ((في تاريخ مصر القديمة)) (ص ١١ فما بعد).

(٣) ((ميثولوجيا الخلود)) (ص ٣٣).

(٤) ((المصدر السابق)) (ص ٣٧).

المصرية ديانة وضعية، وقد شغلت فترة من الزمن تُعَدُّ كبيرة في تاريخ الأمم والشعوب، فكان لا بد أن يعتريها ما يعتري الديانات المثيلة من التغيير والتبديل، إلا أن فكرة الخلود كما يقول «واليس برج»: «لم تتغير على مدى آلاف السنين، وظلت تشكل المحور الذي تدور حوله الحياة الدينية والاجتماعية في مصر القديمة»[1].

عقائد قدماء المصريين في الروح:

والآن إلى جملة من عقائد المصريين الروحية التي آمنوا بها واعتقدوها عبر حقب التاريخ.

١- اعتقدوا بوجود الروح:

كان المصريون القدماء يعتقدون بوجود الروح، وتظهر دلائل ذلك بوضوح تام من خلال كلامهم عنها في أكثر من مناسبة، ككلامهم عن تركيبة الإنسان، حيث جعلوا الروح شيئاً آخر غير الجسد كما سيمر، وككلامهم عن مفارقة الروح الجسد وما تلقاه بعد الموت من محاكمة، يعقبها ثواب أو عقاب، كذا يظهر ذلك من خلال تصوراتهم لاتصالها بجسد صاحبها بعد الموت، وكذا اتصالها بالأحياء، وكل هذه الأمور وغيرها جعلت خيالهم المتأثر بالبيئة يسبح في تصورها فتخيلوها على أشكال وصور معينة، وجعلوا لها رموزاً تشير إليها، يذكر الدكتور عمارة نجيب أن المصريين «رمزوا للروح «كا» تارة بزهرة، وتارة بصورة طائر ذي وجه آدمي، وتارة بتمساح أو ثعبان، وقالوا: إن الروح تتشكل بجميع الأشكال»[2].

فهذا النص يفيد اعتقادهم بوجود حقيقي للروح، كما يفيد اعتقادهم بتشكلها

---

(١) ((الديانة الفرعونية)) (ص ٨).

(٢) ((الإنسان في ظل الأديان)) (ص ١٣٧).

في كل صورة دون قيد، وأنهم يرمزون لها بالأشياء المحسوسة، ربما لقداستها عندهم.

واعتقاد قدماء المصريين بوجود الروح حق بغض النظر عن تصوراتهم وعقائدهم فيها، والتي توحي بأن لها أصلاً سماوياً قد تأثرت به كما يدل عليه مجموع عقائدهم فيها.

٢- اعتقدوا بأن الإنسان يتركب من روح وجسد وغيرهما:

بما أن الديانة المصرية موغلة في القدم، وشغلت فترة من الزمن ليست بالهينة، فلا بد أن يكتنف بعض عقائدها الغموض، ومن ذلك قضية تركيب الإنسان، فهي من القضايا العسرة الغامضة، فإنك تجد اختلاف عبارات المفسرين للنصوص التي قد تتعلق بتركيب الإنسان، واختلافهم في عدد الأشياء التي يتألف منها.

فمن قائل: إنه «مكون من عنصرين متمايزين هما الجسم والروح»[١].

ومن قائل: إنه مكون من ثلاثة أشياء تبقى بعد الموت، وهي الكا (القرين)، والروح، والجسد[٢].

ومن قائل: يتركب من أربع طبائع أو خصائص: الجسم، وهو يضم ظله ويبقى معه في قبره ما لم يتحلل الجسد.

والنفس وهي التي تَمْثُل أمام محكمة الدينونة الإلهية، وتكون النفس غلافاً لـ «الكاه».

و«الكاه» وهو الشرارة الإلهية وهي الروح[٣].

(١) ((أوهام التاريخ اليهودي)) (ص ١٨٨).

(٢) انظر: ((قصة الحضارة)) (١/ ١٦٢).

(٣) انظر: ((الدين المقارن)) (ص ٦٢).

ومن قائل: إنه يتركب من عناصر خمسة: «الظل»، و«الآخ»، و«الكا»، و«البا»، و«الاسم»[١].

ومن قائل: يتركب من ستة أشياء: الجسم «خت»، الروح «البا»، القرين أو النفس «الكا»، الفضائل المعنوية: «الآخ»، القلب «الأيب»، الاسم[٢].

وقد جعل «واليس برج» الإنسان يتركب من ثمانية أشياء اختزلها في ثلاثة، يقول: «إن كيان الإنسان مؤلف من جسد، وشفع «كا» وروح «با»، وقلب «اب»، وعقل «خو»، وقوة «سخم»، وظل «خاي بت»، واسم «رن»، وقد تُختَزَل هذه الثمانية في ثلاثة إذا أسقطنا من الحساب الشفع، والقلب، والقوة، والظل، والاسم»[٣].

ويقصد بالثلاثة: الجسد، والروح، والعقل.

وهذا الاختلاف والتناقض أو الغموض في مسألة تركيب الإنسان أمر طبيعي في الديانة المصرية؛ لأن ما وراء الجسد من أهم القضايا التي شغلت العقل المصري الذي لم يكن له حظ من وحي السماء في مثل هذه القضايا، فكان لا بد للمجتهدين أن يجتهدوا، وكان لا بد للمفكرين والكهنة أن يقولوا كلمتهم، فكان ذلك الاختلاف الذي صوره الباحثون.

لكن أهم العناصر المؤلفة لتركيب الإنسان والتي تعنينا هنا هي «الكا» و«البا» وقد ذكرها بعض الباحثين مع اختلافهم في تفسيرها[٤]، وتارة يطلقون هذه على

---

(١) انظر: ((تاريخ مصر القديمة)) (ص ١٣٤).

(٢) انظر: ((موسوعة غرائب المعتقدات والعادات)) (١٤١ – ١٤٦).

(٣) ((الديانة الفرعونية)) (ص ١٧٦).

(٤) راجع في معنى (الكا) و(البا) وتركيب الإنسان: ((موسوعة الحضارة المصرية القديمة)) (ص ٦٦٦)، و((مصر الفرعونية)) (ص ١٦٧)، و((ديانة مصر القديمة)) (٢٨٨ – ٢٩٠ فما بعد)، و((تاريخ مصر القديمة)) (ص ١٣٤ فما بعد)، و((الخلود في الحضارة المصرية)) =

هذه، مما يجعل الغموض الشديد يكتنف هذه المصطلحات، وأذكر في شرحهما كلام «واليس برج» حيث إنه لما اختزل تركيب الإنسان في ثلاثة (الجسد والروح والعقل) قال في كلام له: «روح الإنسان الصالح وعقله ينتقلان من الجسد ويعيشان مع الأبرار والآلهة في السماء، أما الجسد الفيزيائي فلا»[1].

والروح عنده هي «البا» يقول عنها: «يصعب التوفيق فيما بين الأفكار المعقودة حولها، ويبدو أن معنى الكلمة أقرب ما يكون إلى «السمو» و«النبل» و«القدرة» و«البا» تسكن في «الكا»»[2].

وذكر بعض أحوالها من نحو قدرتها على التجسُّد والتجرُّد إذا أرادت كأن لها جوهراً وصورةً، وهي أثيرية من حيث طبيعتها وجوهرها، ولها القدرة على مغادرة القبر والارتفاع إلى السماء حيث تنعم إلى الأبد، ولها القدرة على العودة إلى القبر، وبوسعها أن تعيد الحياة إلى الجسد[3].

وهذه «البا» «لا يرد ذكرها مطلقاً إلا في المناظر المرسومة على جدران المقابر، وعلى توابيت الموتى»[4]، وقد صورها المصري القديم على هيئة صقر له رأس إنسان[5].

= (٩٩ – ١٠٤)، و((الدين المقارن)) (ص ١٦٢)، و((الديانة الفرعونية)) (١٧٣ – ١٧٧)، و((الفكر الديني القديم)) (ص ٩٠)، و((الديانات والعقائد في مختلف العصور)) (١/ ٣٢٥)، و((الدين المصري)) (٣/ ١٨٢ – ١٩٠)، و((موسوعة غرائب المعتقدات والعادات)) (١/ ١٤١ – ١٤٧)، و((الديانات الوضعية المنقرضة)) (٢/ ١٥٨)، و((أضواء علمية على العالم الآخر)) (ص ١٧).

(١) ((الديانة الفرعونية)) (ص ١٧٧).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ١٧٤).

(٣) انظر: ((المصدر السابق)) (١٧٤ – ١٧٥).

(٤) ((موسوعة غرائب المعتقدات والعادات)) (١/ ١٤٢).

(٥) انظر: ((الديانة الفرعونية)) (ص ١٧٤).

وأما بالنسبة «للكا» التي تلبسها «البا» فيقول برج: «كان الـ «كا» أو «الشفع» يتصل بالجسد بطريقة ما، ويمكن تعريفه بأنه شخصية مجردة «غير حسية» تتصف بجميع الصفات التي يتصف بها الإنسان، وتتمتع بوجود مستقل استقلالاً مطلقاً»[١].

فهي صورة مصغرة للإنسان[٢]، أو شكل ثان أو قرين مطابق له في مظهره المادي الخارجي، يولد بولادته[٣].

وقد اعتقد المصريون القدماء أن «الكا» تبقى في جسم صاحبها مادام حيًّا، فهي تولد معه، وتعيش معه تصونه وتتأثر به، وهي تنفصل عن الجسد بالموت، لكنها تبقى بجواره، وهي التي تعيش إلى الأبد[٤]، ولا بد من تزويد «الكا» بما يكفي من الطعام في هيئة قرابين الخبز والكعك، والزهر، والثمر، والخمر، وما أشبه ذلك، وإلا كانت في خطر الموت جوعاً[٥].

والذي يظهر لي من الكلام الآنف الذكر أن «البا» هي الروح، وهي الخالدة التي تُنعَّم أو تُعذَّب، بينما «الكا» وإن كانوا يصفونها بالخلود إلا أنها قد تموت إذا ما فقدت الطعام، فيبقى أن القول بأن «البا» هي ما يقابل الروح أقرب إلى الصواب، لكن المهم في القضية اعتقاد المصريين بوجود شيء آخر غير الجسد يبقى خالداً بعد الموت، ويناله النعيم أو العذاب، سواء أسموه «البا» أم «الكا» أو اختلفوا فيه.

---

(١) انظر: ((الديانة الفرعونية)) (ص ١٧٣ – ١٧٤).

(٢) انظر: ((في فلسفة ابن سينا)) (ص ٩٤).

(٣) انظر: ((بدايات التفلسف الإنساني)) (ص ٨٦).

(٤) انظر: ((موسوعة غرائب المعتقدات والعادات)) (١/ ١٤٣).

(٥) انظر: ((الديانة الفرعونية)) (ص ١٧٤).

٣- اعتقادهم بخلود الروح:

الاعتقاد ببقاء الروح بعد الموت من العقائد الراسخة عند قدماء المصريين، وفي «قصة الحضارة» أن فكرة الخلود من أهم ما يتميز به الدين المصري، وأن المصريين كانوا يعتقدون أن في مقدور الإنسان أن يعود إلى الحياة بعد موته، وكان بقاء أجسام الموتى سليمة بصورة تسترعي النظر في أرض مصر الجافة، مما ساعد على إثبات هذه العقيدة التي ظلت مسيطرة على الديانة المصرية آلاف السنين[١].

وكان المصريون - كما يذكر أحد مؤرخي اليونان - أول الشعوب التي اعتقدت بخلود النفس حيث عُثِرَ على نقوش مدونة على الأهرامات منها: «أن النفس خالدة لا تموت»[٢].

وقول المؤرخ اليوناني هذا ليس بدقيق، وهو بحسب ما انتهى إليه علمه، وإلا فقد سبقت المصريين أمم قد بُعِثَ فيهم رسل حدثوهم عن الآخرة، ولعل ما دونه المصريون مما يتعلق بالروح والآخرة ناتج عن تأثرهم بما بقي من تلكم الأديان السماوية.

كما وُجد مكتوباً على بعض التوابيت: «أنت أيها المتوفى «أبعنخو» قم، قم، عش وسر»[٣].

ولرسوخ هذا المعتقد اهتم المصريون بتشييد القبور كما نرى بعض آثارها اليوم ماثلة في الأهرامات وغيرها «وحتى تتعرف الروح على الجسد صنعوا تماثيل في غرفة الميت لإرشاد الروح إلى مكان الجسد، أو لتحل الروح فيها إذا تلف الجسد.

---

(١) انظر: ((قصة الحضارة)) (ص ٣٦٨).

(٢) انظر: ((الأديان القديمة في الشرق)) (ص ٢٧٠).

(٣) ((أساطير التوراة الكبرى)) (ص ١٣٤).

ولما كانت الروح لا تعود إلى الجسد إلا إذا كان سليماً، عمدوا إلى تحنيط الجثث قبل دفنها»[١].

وكان مفهوم الخلود في مصر القديمة خاصاً بالفراعنة وكبار القوم دون بقية الشعب.

فالذي تدل عليه متون الأهرام أن الخلود كان وقفاً على الفرعون وحاشيته فقط، ومحرمة في الوقت ذاته على عامة الشعب، جاء في بعض النصوص خطاباً للملك راحل: «إن ماءك مأواه السماء، أما الآلاف فمأواهم الأرض» والمقصود بالماء هنا الذرية والنسل... «إنك تدخل أبواب السماء التي فيها الجنة»[٢].

لكن «حدثت ثورة اجتماعية دينية قام بها الشعب، وطالبوا بالتمتع بالآخرة السماوية تلك، فأصبحت مشاعاً لكل الشعب على السواء»[٣].

أي أصبح المعتقد السائد عند المصريين بقاء الروح بعد الموت وخلودها، ومثل هذه الثورة ضد العقائد المحتكرة تذكِّر القارئ بالثورات التي قام بها «بوذا» و»مهافيرا» نتيجة للمظالم العقدية التي كانت تدين بها طبقة «البراهما» الهندوسية فتميزها وتُلزِم بها طبقات الشعب.

٤- اعتقدوا بالبعث:

وعن هذا المعتقد الغيبي يقول عمارة نجيب: «كان المصريون من أعرق الأمم التي آمنت بالبعث، والثواب والعقاب بعد الموت»[٤].

(١) ((الأديان القديمة في الشرق)) (ص ٢٧٠).
(٢) ((أساطير التوارة الكبرى)) (ص ١٣٥).
(٣) ((المصدر السابق)).
(٤) ((الإنسان في ظل الأديان)) (ص ١٣٧).

وعندما يقال أن المصريين يؤمنون بالبعث أو بالحياة الآخرة على العموم، فإن هذا المعتقد لا يعني مطابقته لحقيقة البعث المعروف في دين المسلمين، والذي تعاد فيه الأرواح للأجساد وما يتبع ذلك بالتفاصيل المعروفة من وحي السماء، إلا أنه يُشعِرُ دون ريب أنه قد وصلهم شذرات من أصل سماوي عن الآخرة وما يتصل بها من بعث وحساب ومجازاة على الأعمال وغير ذلك فتأثروا بها، وبنوا عليها تصوراتهم كأية ديانة وضعية.

وإذا كان الإنسان عند المصريين يتكون من جسد وروح وعقل فهل يقع البعث على هذه الثلاثة مجتمعةً؟

يجيب «واليس برج» عن هذا التساؤل بقوله: «تجيبنا النصوص المصرية عن هذه الأسئلة بصورة قاطعة: روح الإنسان الصالح وعقله ينتقلان من الجسد ويعيشان مع الأبرار والآلهة في السماء، أما الجسد الفيزيائي فلا يُبعَث ثانية، وكان الاعتقاد أنه لا يغادر القبر أبداً.

غير أنه ما من شك في وجود جهلة كانوا يعتقدون بانبعاث الجثة البالية وعودتها ثانية إلى الحياة، ويتصورون أن الحياة الجديدة سوف تكون بعد كل شيء استمراراً لتلك الحياة التي كانوا يحيونها في هذه الدنيا.

لكن المصري الذي يتبع ما اشتملت عليه الكتابات المقدسة من تعاليم كان يعرف أن هذه الاعتقادات لا تتفق مع أفكار الكهان والمثقفين عموماً»[١].

ثم يسوق بعض الدلائل والبراهين على عدم اعتقادهم بالبعث الفيزيائي، فيقول: «إننا نجد في عهد الأسرة الرابعة حوالي ٢٤٠٠ق.م هذه الإبانة القاطعة: «الروح للسماء، والجسد للأرض»، وبعد ألفي عام نجد الكاتب المصري يعلن -

---

(١) ((الديانة الفرعونية)) (ص ١٧٧).

لكن بصيغة مغايرة - أن «للسماء روحك، وللأرض جسدك»[١].

وقد جاء في كتاب «الموتى» نصوص قد يُفهم منها الاعتقاد بالبعث الفيزيائي، لكن «برج» وغيره يرفضون هذا، ومن هذه النصوص قول الميت: «أنا موجود، أنا موجود، أنا أعيش، أنا أعيش، أنا أنبت، أنا أنبت، أنا أنبت كالنبات»[٢].

فهذا لا يعني كما يرى «برج» وغيره أن جسده الفيزيائي آخذ بتأسيس البدايات لجسد آخر كجسده القديم، بل جسد روحاني هو الـ«سعهو Sahu»[٣] لكي تسكن فيه الروح، وكأنه الموطن الذي تقيم فيه الروح في السماء، تماماً مثلما كان الجسد الفيزيائي وطنها الذي تقيم فيه في الأرض[٤].

ووَصْفُ «برج» المصريين القائلين ببعث الجثث البالية بالجُهَّال ليس بسديد، فإن قولهم هو القول الحق، وهو الصواب الموافق لوحي السماء، وإن خالفهم الكهان والمثقفون في زمانهم، ولعله قد بلغهم شيء من الديانات السماوية السابقة.
ويتحصل مما سبق أن المصريين الذين يعتقدون بالبعث فريقان:

أ- القائلون بالبعث الروحي، وهم الكهان والمثقفون، ومن سار على طريقهم، ولعل هذا هو الاتجاه الغالب، وقد يقال إنه الاتجاه الرسمي للدولة.

ب- القائلون بالبعث الجسدي، وهم من وصفهم «برج» بالجهال، والذي يظهر أنهم قلة، إلا أنه كان لهم صوت مسموع.

---

(١) ((الديانة الفرعونية)) (ص ١٧٧).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ١٨٠).

(٣) كان المصريون يعتقدون أن الجسد (الخات) يتحول مومياء بعد التحنيط، ثم يتحول هذا إلى الـ (سعهو Sahu) وهو الجسد الروحاني الصاعد إلى السماء، والذي لا يقبل الفساد، حيث يخرج رأساً من الضريح ويشق دربه إلى السماء، ويقيم مع الآلهة. ((الدين المصري)) (ص ٢٠٤).

(٤) انظر: ((الديانة الفرعونية)) (ص ١٨٠)، و((الدين المصري)) (ص ٢٠٥).

٥- اعتقدوا بالحساب والثواب والعقاب بعد الموت:

هذا المعتقد امتداد للمعتقد السابق، فهم لما كانوا يعتقدون بالبعث، اعتقدوا أن وراء ذلك حساباً وجزاءً على الأعمال، ولعل أوضح دليل على هذه القضية محاكمة الروح بعد الموت، وهي محاكمة ذات تفاصيل كثيرة، وهي في جملتها تفيد الاعتقاد بحياة الروح وبقائها بعد الموت، وما يلقاه الإنسان من ثواب وعقاب نتيجة ما قدمت يداه في حياته السالفة، إذ سيكون مصيره بعد المحاكمة إلى السعادة أو الشقاء.

فكان قدماء المصريين يعتقدون «أنه بعد موت الإنسان وتحنيط جثته ومواراتها في القبر تذهب روحه إلى أبواب قصر «أوزوريس» في العالم الآخر، حيث توجد «قاعة الحق» التي تحاكم الأرواح... ويوجد في «قاعة الحق» ميزان كبير يقف بجانبه الإله «تحوت» يسجل نتيجة المحاكمة، في حين يجلس حول القاعة اثنان وأربعون قاضياً من الآلهة، لهم سلطة معاقبة الآثمين»[1].

وفي المحكمة توجه إليه «الأسئلة الآتية:

هل ارتكبت جريمة أو نطق لسانك بالكذب؟

هل غدرت بجارك شاهداً بالزور، وقتلت أخاك عن عمد وإصرار؟

هل أعطيت مجداً للآلهة، وهل أحببت قريبك كنفسك؟

هل خنت الأمانة في زوجة جارك، أو أرضه، أو بيته؟

... ويجيب الميت (الروح) على هذه الأسئلة كلها إجابات مُرْضية مستعيناً بما

---

(١) ((موسوعة غرائب المعتقدات والعادات)) (١/ ١٥١ – ١٥٢)، و((أسرار وخفايا الفراعنة)) (ص١٢٨ فما بعد)، وانظر لتفاصيل أكثر: ((أشهر الديانات القديمة)) (ص ٢٨ فما بعد)، وانظر: ((كتاب الموتى الفرعوني)) (ص ١٢ فما بعد).

تعلَّمه من كتبه المقدسة، وما تلقَّاه في حياته من أفواه الكهان»[١].

وهذا يعني أن ما يجري في ساحة المحكمة من أمور، وما يقع فيها من سؤال وجواب معلوم لدى الميت قبل أن يفد إلى العالم الآخر، فهو قد تعلمها ودرسها في حياته الدنيا، وهيأ نفسه للإجابة عليها بإتقان، ولعل هذا ما حدا ببعض الباحثين الغربيين إلى القول: «إن الرحيل إلى العالم الآخر أشبه بدخول امتحان عُرِفَتْ أسئلته مقدماً، وفي حوزة المرء ورقة الإجابات الصحيحة؛ لأن الميت كان يزوَّد ببردية مكتوب فيها جميع ما هو مطلوب منه، وكيف عليه أن يجيب عن ما يُسأَل في المحاكمة»[٢].

ويُستَشَفُّ من هذا أن المحسن والمسيء قد يتساوون في النهاية، مادام أن ورقة الإجابة (البردية) في حوزتهما، وهذا يُشعِر بأن هناك مصلحة تُجنَى من تزويد الميت بالبردية حتى يفوز ويكون من الناجين السعداء، وهي تذكِّر بصكوك الغفران عند النصارى.

وفي باحة المحاكمة يلقى الميت خطاب الاعترافات الإنكارية (السلبية) وفيه ينفي عن نفسه الآثام ويعدد فضائله، فيقول: إنني لم أؤذِ أحداً، ولم أتسبب في إفقار شريك، ولم أقترف شراً بدلاً من عمل الخير... لم أسرق يتيماً، ولم أقترف شيئاً يمجه الإله، ولم أشِ بخادم لسيده، ولم أتسبب في شقاء إنسان، أو أجعله يبكي، إنني لم أقتل ولم آمر بإعدام أحد أو أشقيه، ولم أنتقص من الأطعمة المقدمة كقرابين في المعابد... لم أمارس الزنا، ولم أطفف في الميزان... إلخ»[٣].

إلى غير ذلك من الاعترافات التي تُظْهِر حسن السيرة، وطيب السريرة.

---

(١) ((أشهر الديانات القديمة)) (ص ٣٠).

(٢) ((الدين المصري)) (٣/ ٢١٢).

(٣) ((الديانات الوضعية المنقرضة)) (٢/ ١٦١ – ١٦٢).

وليس هذا هو الاعتراف الوحيد أمام القضاة، بل هناك اعتراف آخر يتلوه أمام كل قاضٍ، وهو يمتاز عن الخطاب الآنف بتبجيل القضاة فينص على اسم ووصف القاضي، ويذكر المكان الذي جاء منه، ويختم بنفي خطيئة من الخطايا، فيقول مثلاً: «هلا... يا من خطواتك واسعة، يا من أتيت من «إنو»، إني لم أرتكب إثماً.

هلا... يا من يحيطك اللهيب، يا من أتيت من خرعجا، إني لم أسرق بالإكراه.

هلا... يا صاحب الأنف، يا من أتيت من «خمن»، إني لم أسطُ.

هلا... يا ملتهم الظلال، يا من أتيت من «كرنيت»، إني لم أقتل، ولم أرتكب أذى... إلخ»[١].

هذه جملة من الاعترافات السلبية المصحوبة بالتعظيم للقضاة، وكلمة «هلا» المتكررة هي «اسم الإله القاضي»[٢] صاحب الوصف المذكور بعده.

ثم تأتي عملية الوزن ومن ثم يكون الثواب أو العقاب، وتكون العملية كالتالي: «يتقدم «حورس» قومندان الحرس قابضاً على الميت، ويخطو به نحو منصة الرئيس الذي يصدر الأمر بخلع قلبه الروحاني فيتسلمه «أوتوبيس» ويضعه في إحدى الكفتين مقابل ريشة الحق في الكفة الأخرى، ويرقب «تحوت» حركة الميزان بدقته المعهودة، كما يراقبها صاحب القلب الموزون في رهبة وفزع.

ويرى الميت (الروح) بعينه شراهة الوحش الرابض في الحفرة من خلفه منتظراً الأوامر»[٣].

كما يسمع الأصوات المفزعة والتهديدات المخيفة أثناء الوزن، حيث تقول: «يا ويل من حُذِفَ اسمه من كشف المقبولين.

---

(١) ((الدين المصري)) (٣/ ٢١٤).

(٢) ((المصدر السابق)).

(٣) ((أشهر الديانات القديمة)) (٣٠ – ٣١).

ويا ويل من غش الآلهة فيُفْتَضَح غشه في الميزان.

ويا عذاب من يوجد قلبه في الكفة إلى فوق.

فلا الدموع، ولا النحيب، ولا التوسل، ولا التوبة تشفع فيه الآن»[١].

ونتيجة وزن القلب التي يتصورها العقل واحدة من ثلاث: إما أن يرجح القلب بالريشة، وإما العكس، وإما أن يتعادلا، جاء في كتاب «الفكر الديني القديم» أن المتهمين ثلاثة أصناف:

أ- صنف كانت سيئاتهم أكثر من حسناتهم، وهؤلاء يُسلَّمون إلى مخلوق يشبه الكلب اسمه «باباي» لابتلاعهم.

ب- صنف كانت فضائلهم أكثر من سيئاتهم، هؤلاء يُسمَح لهم بدخول الجنان حيث تسكن الآلهة.

ج- صنف كانت سيئاتهم تعادل حسناتهم، هؤلاء يكلفون بخدمة الإلهة «أوزيروس»[٢].

وهذا يعني أن النجاة والفوز تنال الصنف الثاني وهو من رجحت حسناته، والصنف الثالث وهو من تساوت عنده الحسنات والسيئات، إلا أن الصنف الثاني أكثر سعادة من الثالث، وإن كان الفوز حليفهما معاً.

هذا هو تصور المصريين لما يكون بعد الموت من حساب للروح، وهو كما ترى يوحي بأنه قد تأثر بأصل سماوي، وإن كانت صورته مشوهة ولا تطابق الحقيقة التي جاء بها وحي السماء.

ومن أعظم ما يلفت الانتباه قضية البردية التي تصحب الميت حتى يستطيع

---

(١) ((أشهر الديانات القديمة)) (ص ٣١).

(٢) انظر: ((الفكر الديني القديم)) (ص ٩٣).

الإجابة على ما يُوجَّه إليه من أسئلة عند محاكمة الروح، حيث من كانت بصحبته فالنجاة حليفته، وهذا يعني أن هناك من الكهان أو غيرهم من ينتفع من بيع هذه البردية.

٦- اعتقدوا بالجنة والنار ومقر الأرواح:

كان المصريون يعتقدون بوجود دار للجزاء أسموها: عالم الخلود، ويعنون بها الجنة والنار التي هي مقر الأرواح، فبعد محاكمة الميت كما مر آنفاً «يصدر الإله حكمه بأن الروح قد سجلت ولادتها في عالم الخلود... فإذا كان جنة، وهي سبع جنات تبدأ بجنة الأبرار، وجنة شهداء حرب الإله، وجنة المرسلين، حتى أعلى درجات الجنة، وهي جنة النور التي يسكن فيها الإله الأعظم وآلهته المرسلون.

والجنة التي تنزل بها الروح فيها نهر من الخمر، ونهر من اللبن، وقمح سنابله من ذهب، وملابس لا تتسخ ولا تبلى، ويتحول صاحب الروح إلى شباب دائم، وجسد تدب فيه الحيوية والقوة، فلا يعرف المرض والتعب»[١].

وانظر إلى هذا الكلام الأخير وما فيه من عبارات كأنها نُزِعَت من نصوص الإسلام، مما يدل - بلا شك - أن لها أصلاً سماوياً تأثرت به.

وقد تصوروا الجنة على شكل يشبه الأرض التي سكنوها، وتسمى «حقول الفيضان السعيد، أو حقول البوص، أو حقول القرابين وهي على نسق أرض مصر، وتظهر في البرديات مقسمةً إلى أحواض تفصلها قنوات الري، ويقوم الموتى فيها بأعمال زراعية، إلا أن محاصيل مملكة «أوزيريس» (الجنة) أكثر وفرة من خيرات الأرض إذ يصل ارتفاع القمح فيها إلى خمسة أذرع، وتبلغ السنابل ذراعين طولاً»[٢].

---

(١) ((موسوعة غرائب المعتقدات والعادات)) (١/ ١٤٩).

(٢) ((الديانات الوضعية المنقرضة)) (٢/ ١٦٢).

هذا ما يتعلق بعالم الخلود المسمى بالجنة أو دار النعيم الذي تسكنه الروح عندهم.

«أما إذا كان عالم الخلود جحيماً، فطبقاته سبع، وهي عبارة عن بحيرات للعذاب، إحداها ماؤها من لهب، وأخرى ممتلئة بالحيات، وثالثة بالتماسيح الجائعة»[(١)].

أما أين تقع دار الخلود التي هي مقر الأرواح المنعمة أو المعذبة؟

كان الاعتقاد السائد بادئ الأمر (منذ حوالي خمسة آلاف سنة ق.م)، يقوم على أن الراحلين من الدنيا (الموتى) يحيون في القبر أو على مقربة منه؛ ولذا كانوا يعدون العدة لتهيئة أسباب الحياة للميت في الآخرة، وذلك من أواني المأكل والمشرب، ومختلف الأدوات، والأثاث، والأسلحة وغيرها[(٢)].

وهذا يعني أن القبر هو مقر الروح في عقيدة المصريين الأوائل منذ القدم، ثم ما لبث أن تطور الأمر.

أما عن الجنة فيوجد في متون الأهرام أقدم صورة نشأت منذ خمسة آلاف سنة عن الجنة، ومنها انبثق الاعتقاد بمملكة النعيم التي مقرها السموات.

وكان الاعتقاد السائد في زمن الدولتين القديمة والوسطى أن تلك الجنة تقع تحت الأرض، أو خلف الجبل الغربي حيث مغرب الشمس، أو في جزيرة في البحر المتوسط تسمى «جزيرة السعداء».

ولما جاءت الدولة الحديثة، ساد الاعتقاد بأن الجنة موجودة في سفينة الشمس، أي في السماء، وليست في الأرض[(٣)].

---

(١) ((موسوعة غرائب المعتقدات والعادات)) (١/ ١٤٩).

(٢) انظر: ((بدايات التفلسف الإنساني)) (ص ٨٤).

(٣) انظر: ((أساطير التوراة الكبرى)) (ص ١٣٧)، وانظر: ((الخلود في حضارة مصر القديمة)) (ص ١٣٠ فما بعد).

وهذا يعني أن الاعتقاد بمقر دار النعيم مر بمراحل وانتهى إلى الاعتقاد أنها في السماء.

العقائد الجنائزية في التراث المصري:

وجاء في التراث الروحي المصري ثلاث عقائد جنائزية منفصلة[١]:

أ- العقيدة النجمية، وهي أقدم هذه العقائد، وهي خاصة بالملوك، وقد ظهرت في العصر العتيق وبداية العصر القديم[٢]، حيث يتحول الملك الميت إلى نجم من النجوم القطبية التي لا تغيب.

«أما هذا العدد الذي لا يتناهى من النجوم التي لا اسم لها، والتي تحيط بتلك النجوم القليلة[٣] فما عساه أن يكون؟

لا نزاع في أن هذه النجوم ما هي إلا موتى أو أرواح سعيدة وجدت طريقها إلى السماء حيث ظلت في سناء دائم إلى جانب الآلهة»[٤]، ولا شك أنها في نظرهم أرواح مميَّزة

ب- العقيدة الشمسية، وهذه ظهرت مع الأسرة الخامسة[٥]، واختصت بالملك أولاً، حيث ينتقل المتوفى إلى (التطهير الصحراوي) عند حافة الصحراء، ثم (التطهير الشمسي) داخل المجرَّة، ثم الالتحاق بالمركب السماوي للشمس، حيث

---

(١) انظر: ((ميثولوجيا الخلود)) (ص ٣٨).

(٢) ((العصر القديم يشغل الفترة)) (٣٢٠٠ - ٢٢٥٠ق.م) تقريباً.
انظر: ((ديانة مصر القديمة)) (ص ١١).

(٣) النجوم القليلة كالشعرى اليمانية، والجبار، ونجمة الصباح.
انظر: ((ديانة مصر القديمة)) (ص ٢٩٢).

(٤) ((ديانة مصر القديمة)) (ص ٢٩٢).

(٥) ((الأسرة الخامسة شغلت)) (٢٥٦٠ - ٢٤٢٠ق.م).
انظر: ((ديانة مصر القديمة)) (ص ١١).

يرافق المتوفى الإله «رع» في دورته السماوية.

ج- العقيدة الأوزيرية، نسبة إلى الإله «أوزريس»، وهي الأقرب إلى عامة الناس، رغم أنها أصبحت تُطبَّق على الملوك فيما بعد، ومكان العالم الآخر فيها هو العالم الأسفل وليس السماء.

فتحصَّلَ أن مقر الأرواح في العقيدتين النجمية والشمسية السماء، وهو أقرب إلى الاختصاص بالملوك والمميزين.

بينما أصبح مقر الأرواح في العقيدة الأوزيرية العالم الأسفل، وهو في نهايتها أصبح مقراً عاماً للملوك وغيرهم.

ويحسن التنبيه إلى أن الجنة السماوية كانت خاصة بالفرعون، أما عامة الشعب فجنتهم جنة أرضية، ثم ما لبث الأمر بعد ثورات اجتماعية أن أصبحت الجنة السماوية أيضاً لعامة الشعب.

كما يحسن التنبيه إلى أن العقائد الثلاث قد اختلطت في مرحلة لاحقة حتى إنه ليستحيل إعطاء صورة منطقية للحياة المصرية بعد الموت، فإن المتوفى يكون في وقت واحد في السماء وفي سفينة الإله وتحت الأرض يفلح الحقول الفردوسية، وفي قبره يتمتع بطعامه، ومن آن لآخر يعود إلى الأرض، وهي أمور يصعب على متوفى واحد أداؤها جميعاً.

كما اختلطت حياة ما بعد الموت عند الملوك وعامة الناس وزادت تعقيداً، حتى قرر المصريون دمج مظاهر الحياة بعد الموت، فخصصوا وقت النهار للبقاء في القبر في هدوء مع رحلات الأرض بين الفينة والفينة، وفي الليل يصاحب الميت

الشمس في رحلة تحت الأرض إلى العالم الآخر فيرسي سفينته، ويقف في الطرق في حقول «أوزيريس»، وعند الفجر تطير الروح الجائلة مسرعة إلى قبرها لتجد فيه الظل والبرودة[١].

والنقولات الآنفة تفيد في جملتها اعتقاد المصريين وجود مقر للأرواح تتمايز فيه، ولا يضر وجود اضطراب في النصوص والنقولات التي تفيد تقرير هذا المعتقد، إذ إن الاضطراب والتباين في المعتقدات من طبيعة الديانات الوضعية الخاضعة لعقول البشر وأهوائهم عبر الأزمان والعصور.

٧- اعتقدوا وجود الصلة بين الأحياء والأموات:

ويظهر هذا المعتقد جلياً من خلال عدة عبادات وطقوس يقومون بها، كعبادة الأسلاف، ومراسلتهم، وإقامة الأعياد احتفاءً بهم إلى غير ذلك.

أما عبادة الأسلاف فكانوا يرون «أن الأبرار من الأموات يرتفعون إلى مرتبة الآلهة؛ ولهذا سرت عندهم عبادة الموتى، وأضافوا إليها صفات الألوهية وخواصها في نظرهم، بل إنهم يعتقدون أن أرواح موتاهم تتصل بعالم الأحياء وتنبئهم بأسرار المستقبل، فتحذرهم مما عساه يكون في سبيلهم من أخطار، أو تبشرهم بما عساه ينالهم من خير، وقد ملئت أساطيرهم بشيء كثير مما يؤيد اعتقادهم فيما يزعمون»[٢].

وعبادة الأموات هذه من أثبت العبادات وأعمها وأقواها وأبقاها[٣].

وكان لظهور الأرواح في الأحلام دور مهم في تثبيت عقيدة عبادة الأسلاف،

---

(١) انظر: ((ميثولوجيا الخلود)) (ص ٤٠ – ٤١)، و((معجم الحضارة المصرية القديمة)) (ص ٢٣٩).
(٢) ((مقارنة الأديان)) لأبي زهرة (ص ١٧).
(٣) انظر: ((الإنسان في ظل الأديان)) (ص ١٣٧).

يقول «ول ديورانت»: «معظم الآلهة البشرية قد كانوا – فيما يظهر – عند البداية رجالاً من الموتى ضُخِّموا بفعل الخيال؛ فظهور الموتى في الأحلام كان وحده كافياً للتمكين من عبادتهم؛ لأن العبادة إن لم تكن وليدة الخوف فهي على الأقل زميلته، وخصوصاً مَنْ كانوا أقوياء إبان حياتهم، فألقوا الخوف في نفوس الناس، هؤلاء يُرجَّح جداً أن يُعبَدوا بعد موتهم... ولقد بلغت العقيدة في استمرار حياة الموتى – وهي عقيدة تولدت في بدايتها من الأحلام – مبلغاً عظيماً، حتى جعل البدائيون أحياناً يرسلون الرسائل لموتاهم بمعنى الكلمة الحرفي الدقيق، ففي قبيلة من القبائل، إذا ما أراد الرئيس أن يبعث بخطاب لميت، أسمعه لعبد ثم قطع رأس العبد ليؤدي الرسالة، فإذا نسي الرئيس شيئاً كان يريد ذكره في الخطاب، أرسل عبداً آخر بنفس الطريقة ليكون «حاشية» للخطاب الأول.

ثم تدرجت عبادة الأشباح حتى أصبحت عبادة للأسلاف، فقد بات الناس يخافون موتاهم جميعاً ويعملون على استرضائهم خشية أن يُنزلوا لعناتهم على الأحياء فيجلبوا لهم الشقاء، وكأنما كانت هذه العبادة للأسلاف مهيأة على نحو يجعلها ملائمة لتدعيم المجتمع من حيث سلطانه ودوامه، فشعائر عبادة الناس لأسلافهم التي يُرجَّح أنها كانت وليدة الخوف في أول الأمر، قد أثارت في القلوب بعدئذ شعور الرهبة، ثم تطور أخيراً إلى ورع وتقوى»[(١)].

وكان المصريون يعدون الصيام فريضة دينية يتقربون بها من أرواح الأموات، ويعتقدون أن صيام الأحياء يرضي الموتى لحرمانهم من طعام الدنيا، وقد لازم صيامهم طقوس عبادة الآلهة، إلى جانب أدائهم للصلاة، والحج، والقرابين[(٢)].

---

(١) ((قصة الحضارة)) (ص ٣٧٥).

(٢) انظر: ((العبادات في الديانات القديمة)) (٢١ – ٢٢).

وأما مراسلة الأموات فقد شغلت حيزاً من تفكيرهم، واعتقدوا أنها تصل الأموات فينالهم النفع ويندفع عنهم الشر.

وكان من أفضل الوثائق التي تعبر عن هذه العقيدة «ورقة بردي ليد Papyrus leyde» وهي عبارة عن خطاب بعث به قائد جيش فرعون إلى روح زوجته المتوفاة «أنخيري Ankheri» وكان قد أصيب بداء عضال، ويبدو أن أحد الكهنة أفهمه أن روح زوجته هي المسؤولة عن هذا الداء، فأرسل لها كتاباً وُجدَ في قبرها يدافع فيه عن نفسه، ويطلب المحاكمة الحقيقية أمام الآلهة؛ ذلك لأنه لم يرتكب أي سوء بحقها»[١].

ومن نماذج الرسائل التي كان يُفضَّل كتابتها على الصفحة التي تحتوي طعام الميت؛ لأنها ستصل إليه بالتأكيد، رسالة كتبها رجل إلى والديه، يرجوهما أن يتوسطا له لدى أخيه المتوفى، حيث حمله إلى أرض الوطن فدفنه، إلا أنه لم يكن راضياً فهو دائب الإساءة إليه[٢].

وأما الأعياد فـ «في مصر القديمة كان للموتى أعياد يذكرهم الأحياء فيها، ويحملون إلى قبورهم كثيراً من ألوان الطعام والشراب، فيأكلون ويشربون، ويصيب معهم من ذلك الطعام والشراب كل طارق، ثم يلهون ويمرحون، وهم يعتقدون أن الموتى إنما يشاركون بأرواحهم في الطعام والشراب، وفي اللهو والمرح أيضاً»[٣].

والحاصل أن هذه العقائد تؤكد اعتقاد المصريين بأن الصلة بين الأحياء والأموات لا تنقطع بالموت، بل هي باقية لا تزول، وهي من أقوى الأدلة المضافة

(١) ((أضواء علمية على العالم الآخر)) (ص ١٨).

(٢) انظر: ((الخلود في الحضارة المصرية القديمة)) (ص ١٠٥)، و((ديانة مصر القديمة)) (ص ٢٧١).

(٣) ((موسوعة غرائب المعتقدات والعادات)) (١/ ٣٠٩)، وللوقوف على بعض أعيادهم وتفاصيل ما يتعلق بها وما يجري فيها، راجع كتاب: ((الدين المصري)) (٣/ ٢٥٥ فما بعد).

إلى اعتقادهم ببقاء الأرواح وخلودها.

٨- اعتقدوا بوحي الأرواح:

آمن المصريون بإمكان التنبؤ بالمستقبل، وبقيمة وحي الأرواح أو الآلهة، وقد أشار مؤرخو الإغريق إلى وحي «آمون رع» في القرن الخامس عشر قبل الميلاد، وكان يظهر بشكل طيف يمثل الإله آمنون يتحدث إلى الناس تارة، ويستمع إلى أسئلتهم ويجيب عنها تارة.

وقد قيل: إن الإسكندر الكبير عندما زار معبده قال له الطيف: سوف تملك جميع البلاد وتخضع لك جميع الأديان. كما أنهم يذكرون أشياء تشبه هذا[١].

ومثل هذه العقائد لا يُعتدُّ بها فهي باطلة من حيث كونها تدعي علم الغيب، والغيب لا يعلمه إلا الله تعالى، ومن حيث أن الروح ليست لها حرية التخاطب يقظةً مع الآخرين، وإن صحت تلكم النصوص التي نقلت التخاطب المحسوس بين الأحياء والأموات، فيقال: إن الأحياء ما رأوا إلا أطياف الشياطين وما سمعوا إلا أصواتهم، فإن الأرواح كما يُعلم من دين الإسلام مشغولة بما هي فيه عن مثل هذا التخاطب.

٩- اعتقدوا بآلهة الموتى:

كان المصريون يعتقدون بوجود آلهة ذات صلة بالموتى (الأرواح)، ولكل إله وظيفة أو عمل معين، ومن ذلك على سبيل التمثيل:

أ- **أنوبيس**: إله التحنيط والمقابر والأموات، ومهمته قيادة الموتى إلى العالم السفلي[٢]، ويُرْمَز إليه بابن آوى منذ عصور المملكة القديمة[٣].

---

(١) انظر: ((مطول الإنسان روح لا جسد)) (١/ ١١٠)، و((أضواء علمية على العالم الآخر)) (ص ١٩).

(٢) انظر: ((الديانات الوضعية المنقرضة)) (٢/ ١٥٢).

(٣) انظر: ((الفكر الديني القديم)) (ص ٦٩).

ب- **نوت**: هي آلهة السماء، ومهمتها السماح للشمس وللموتى بالدخول إلى العالم السفلي، وقد يُرْمَز لها ببقرة كبيرة ذات قرنين كبيرين[١].

ج- **أوسيريسا**: إله الموت وقيام الطبيعة[٢].

د- **توت**: إله الحكمة، ومهمته تسجيل أسماء الموتى، ويُرْمَز له بالقرد ورأس الكلب[٣].

هـ- **سيلكت**: آلهة الزواج والموتى، وحامية الجثث المحنطة[٤].

و- **شاي**: الإله الذي يرافق الإنسان كل حياته، ويسجل أعماله، ويظهر مع روح الميت عندما يقف للمحاكمة أمام أوزيريس[٥].

ز- **أوزيريس**: إله الموتى أجمعين، ونموذج الانبعاث ورمز الخلود[٦].

والأتقياء الذين يعبدون أوزيريس لا يذهبون أمواتاً؛ بل يذهبون أحياءً، ويُبْعَثون لحياة حقيقية يحوزون فيها أجسامهم وأرواحهم وسائر أعضائهم[٧].

وهذه العقائد الفاسدة التي نسبوها إلى تلكم الآلهة البشرية لا تصح، وليس لها مستند من الوحي، وما نسبوه إليها إنما هو بفعل الخيال والأوهام، وربما بدافع التعظيم لتلكم الشخصيات التي كان لها أثر في المجتمع، حتى ألَّهوها وعبدوها وظنوا أن لها شأناً في عالم الأرواح وما بعد الموت.

---

(١) انظر: ((الفكر الديني القديم)) (ص ٦٤).

(٢) ((الديانات الوضعية المنقرضة)) (١/ ١٥٢).

(٣) ((المصدر السابق)) (١/ ١٥٣).

(٤) ((المصدر السابق)) (١/ ١٥٤).

(٥) انظر: ((المصدر السابق)).

(٦) انظر: ((الديانة الفرعونية)) (ص ١٠٤)، و((الفكر الديني القديم)) (ص ٩٠).

(٧) انظر: ((الفكر الديني القديم)) (ص ٩٢).

١٠- اعتقدوا بالحلول:

اعتقد المصريون بحلول الآلهة في الحيوان والنبات والإنسان ومن ثم قدسوها وعبدوها.

فعبدوا الحيوانات، وفي هذا يقول ول ديورنت: «كانت الآلهة من الحيوان أكثر ذيوعاً بين المصريين من آلهة النبات، وكانت هذه الآلهة من الكثرة بحيث غصت بها هياكلها كأنها معرض حيوانات صاخبة، وعبد المصريون العجل والتمساح والصقر والبقرة والأوزة والعنزة والكبش والقط والكلب والحمامة والخطاف وابن آوى والأفعى؛ وتركوا بعض هذه الدواب تجوس خلال الهياكل ولها من الحرية ما للبقرة المقدسة في الهند حتى هذه الأيام، ولما تحولت الآلهة إلى آدميين ظلت محتفظة بصورتها الحيوانية المزدوجة وبرموزها، فكان آمون يُمثَّل بإوزة أو بكبش، و«رع» يُرمَز له بصرصور أو عجل، و«أوزير» بعجل أو كبش، و«سبك» بتمساح، و«حورس» بصقر أو بازي، و«حتحور» ببقرة، و«تحوت» إله الحكمة برباح، وكانت النساء يُقدَّمن أحياناً لهذه الآلهة ليكنَّ زوجات لهن، وكان العجل – وهو الذي يتقمصه أوزير – صاحب هذا الشرف العظيم بنوع خاص، ويقول أفلوطرخس: إن أجمل النساء في منديس كن يُقدَّمن لمضاجعة التيس المقدس، وقد بقيت هذه الشعائر الدينية من بداية الأمر إلى نهايته عنصراً أساسياً قومياً في الديانة المصرية»[١].

وهم إنما عبدوها لغيرها لا لذاتها، حيث اعتقدوا حلول الآلهة فيها، يقول أدولف إرمان: «واعتقد عُبَّاد هذه الحيوانات أنها تحوي شيئاً إلهياً في نفسها، بمعنى أنه إذا أراد أحد الآلهة أن يجسد نفسه للبشر فإنه يختار حيوانات ترمز بعض صفاتها إلى ما لهذا الآلهة من الصفات»[٢].

---

(١) ((قصة الحضارة)) (ص ٣٦٤).

(٢) ((ديانة مصر القديمة)) (ص ٩).

ولم يقف اعتقاد الحلول الإلهي عند المصريين عند هذا الحد، بل تعداه إلى الاعتقاد بالحلول في النبات[١].

وكان النخيل، وأشجار الجميز، والتين، والعنب من النبات الذي قدسوه وعبدوه[٢].

وأما الاعتقاد بحلول الآلهة في البشر فظهر بين المصريين عندما ادعى الملك «مينا» أن روح الإله حلت فيه، وكان ذلك حوالي ٣٢٠٠ق.م[٣].

وكان من شأنه قبل تلك الدعوى أن استطاع بحنكته ودهائه أن ينهي الحرب الضروس الدائرة بين «تانيس» عاصمة مملكة والده وبين مملكة «نيس» في مصر السفلى، والتي دامت عشر سنوات، فتزوج ابنة صاحب المدينة المحاربة، وحكم المملكتين، فجمع مصر لأول مرة في عرش واحد ومملكة واحدة، وبنى مدينة «منفيس» وسماها المدينة البيضاء، أو المدينة الجميلة[٤].

فلما جاء بما لم يأت به الأوائل عَظُم في نفسه وفي نفس الرعية، فزعم حلول الإله فيه، وقدسه القوم وعبدوه.

يقول أحد الباحثين: «استطاع مؤسس المصرية الأولى (مينا) أن يكوِّن لمصر حوالي عام ٣٢٠٠ق.م حكومة مركزية قوية على رأسها الملك الإله الذي كُتِب له نجاح بعيد المدى في أن يجمع بين كل السلطات، حكومة كان الملك فيها هو المحور، بل الروح التي تبعث الحياة في الدولة، وكل ما يحدث فيها وحي منه، قامت على أسس دينية عميقة الأثر فهو الإله العظيم، الذي تجسد في هيئة بشرية،

(١) انظر: ((الفلسفة الشرقية)) (ص ٣٢).
(٢) انظر: ((الشرق الوسط في موكب الحضارة)) (١/ ١٥٦).
(٣) انظر: ((الفلسفة الشرقية)) (ص ٤٠).
(٤) انظر بتصرف:((مصر الفرعونية)) (٩ - ١٠).

ومن ثم فهو في نظر رعاياه إله حي على شكل إنسان، يتساوى مع غيره من الآلهة الأخرى فيما لها من حقوق، وبالتالي فله حق الاتصال بهم، وله على شعبه ما لغيره من الآلهة من المهابة والتقديس»[١].

ويُفْهَم من هذا النص أن حلول الإله أو الآلهة ليس عاماً في كل البشر، وإنما في الشخص المعظم كالملك مينا.

يقول ول ديورنت: «لم يكن آلهة مصر من الآدميين إلا رجالاً متفوقين أو نساء متفوقات خُلِقوا في صورة عظيمة باسلة، ولكنهم خُلِقوا من عظام وعضلات ولحم ودم، يجوعون ويأكلون، ويظمؤون ويشربون، ويحبون ويتزوجون، ويكرهون ويقتلون، ويشيخون ويموتون»[٢].

وربما اتسعت عندهم فكرة الحلول فعمموها، يقول لي «Lee»: «إن الديانة المصرية القديمة تومئ هي الأخرى إيماءً قوياً إلى الناحية المادية، ولكن مع استمتاعها بالإشراق الروحاني وصلت إلى فكرة الحلول، وقالت بأن كل مادة في هذا الكون تحتوي في باطنها على إله، فكل شيء هو الله، والله هو كل شيء»[٣].

١١- اعتقد بعضهم بالتقمص والتناسخ:

تحت عنوان: «التقمص والتناسخ عند المصريين» قال عبدالعزيز الثعالبي: «إن أزيريس... لا بد أن يدين الميت بمساعدة ابنه وغيره قبل إدخاله في السعادة الأبدية وفنائه في علة العلل، وهي الإله الأول مصدر كل حي ومرجع كل صالح من الأحياء.

---

(١) ((دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم)) (٥/ ٩٩).

(٢) ((قصة الحضارة)) (ص ٣٦٥).

(٣) ((فكرة عن فلسفة سقراط)) (ص ١٥).

فإن وجد سيئاته أكثر من حسناته طرده وأعاده إلى العالم الذي خرج منه بعد أن صرف حياة شريرة، ثم يسلمه إلى من يرجع به إلى عالم الحيوانات غير الناطقة ليكفِّر عن سيئاته بواسطة التقمص والتنقل من حيوان إلى حيوان، وهكذا يستمر إلى أن يصل إلى أعلى درجة من المخلوقات: وهي درجة الإنسان، ويتطهر من آثامه بحيث يصير أهلاً لأن يفنى في الله»[١].

وهذا النص كما ترى جعل عودة الروح إلى الأرض وتجسدها في الحيوان عقاباً لها وتطهيراً، وهو ما لا يتفق مع ما سبق تقريره من أن الثواب والعقاب للميت إنما يكون في الحياة الثانية وبعد المحاكمة.

وعليه فلا بد أن يكون هناك تعليل آخر لعودة الروح إلى الأرض عند من يقول بتجسدها مع قوله بأن الثواب والعقاب يكون في الحياة الثانية لا قبلها كما في القول الآنف الذكر.

وقد وجدت أن بعض الباحثين يعلل ذلك بأن الروح في تصور المصريين بعد فراقها الجسد وعودتها إلى الحياة الثانية تقضي فترة زمنية طويلة جداً، فكان لا بد لها من شغل هذه الفترة الزمنية المقدرة بآلاف السنين، وإليك نص الكلام وما فيه من تعليلات وتفصيلات، يقول الباحث ما نصه: «وكان تقديرهم الزمني للمدة الواقعة بين حدوث الموت والعودة إلى الحياة الثانية ثلاثة آلاف عام تقريباً.

وقد رأى المصري القديم أن الروح لا تقضي هذه المدة الطويلة في فراغ، ومال إلى الاعتقاد بأنها تستفيد من هذا الفراغ في الإلمام بطائفة من المعلومات، وألوان متعددة من المعرفة والخبرة التي تزخر بها مختلف ميادين الحياة في عالم الحيوان بعد

(١) ((محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان)) (ص ٥٥).

أن ألمت منها بما يختص به عالم الإنسان، من أجل ذلك تتجسد في أجنة حيوانات الأرض والبحر والجو»(١).

ثم يفصل الباحث بين ما اجترحته يد الإنسان في حياته الدنيا وبين عودة روحه إلى حيواناتها، فيقول: «ولم يكن هذا التجسد على هذه الصورة مرتبطاً بحياتها الآدمية السابقة ارتباطاً جزئياً، فلم يكن تجسدها في أجنة حيوانات عليا ثواباً لها أو في أجنة حيوانات دنيا عقاباً لها؛ لأن جزاء الروح على ما أحسنت أو أساءت في العقيدة المصرية القديمة إنما يكون في الحياة الثانية عندما يعود المتوفى إلى الحياة، ويواجه الحساب أمام الآلهة لتقضي له أو عليه.

وبعد أن تستنفد الروح أغراضها في رحلة المعرفة والعلم تعود إلى جسدها الآدمي لتحل فيه، وتستأنف به حياتها الثانية في العالم الآخر، فإذا لم تجده كأن يكون قد تحلل واندثر، أو وجدته محنطاً ومحتفظاً بكيانه، ولكنه على حالته من الموت فلم تستطع التلبس به انصرفت عنه إلى جنين إنسان فحلت به لتستأنف به حياة أرضية جديدة»(٢).

ويُفْهَم من هذا أن التجسد والتناسخ في الحيوان يكون لشغل الفترة بين الموت والحياة الثانية بالتعلم حتى لا تبقى الروح معطلة، فإذا ما انتهت المدة عاشت الروح حياتها الثانية حيث تنال فيها الثواب والعقاب، إلا إذا لم تتمكن من العودة إلى جسدها فإنها تحل في جسد بشري صغير لتستأنف حياة أرضية جديدة.

وهذا يعني أن الحلول والتناسخ الثاني في البشر استثنائي وليس أصلياً، ولا أدري كيف يكون حال الروح بعد فراق هذا الجسد وانتظارها للحياة الثانية مرة

---

(١) ((في العودة للتجسد)) (ص ١٨).
(٢) ((المصدر السابق)) (ص ١٩).

أخرى؟ مع احتمال عدم تعرفها على جسدها؟ ولا أدري كيف يكون الحال مع تكرر هذه الظروف المأساوية؟

إن هذا ينبئ عن فساد هذا المعتقد من حيث إنه لا يمكن تصور الجمع بين روحين في جسد واحد، ومن حيث ألم الروح بتكرار مأساتها وعدم نجاحها في الظفر بالحياة الثانية، إضافة إلى مصادمته للعقائد السماوية الصحيحة.

ثم إنه لا بد من التنبيه إلى أن فكرة التجسد والتناسخ المنسوبة إلى قدماء المصرين قد رفضها بعض الباحثين، فهذا العقاد يقول: «قالوا بأن الروح تتشكل بجميع الأشكال، ولكنهم لم يقولوا بتناسخ الأرواح»[(١)].

ويقول أحمد عبدالغفور عطار: «وإن فكرة التناسخ في الديانة المصرية غير موجودة، وكذلك لا بعث ولا نشور، ولكنها كانت تقرر فكرة الخلود بعد الموت، فالروح الخيرة تحيا في الفردوس، والروح الشريرة تُقْذَف إلى النار حيث العذاب المقيم»[(٢)].

والذي يظهر لي بعد النظر والتأمل في عقائد المصريين التي وقفت عليها، أنه لا يصح إثبات التناسخ أو نفيه بإطلاق، حيث إن هناك نصوصاً قد يُفهَم منها اعتقاد المصريين به، يقول رؤوف عبيد: «يشير بيكون سيودو Picon-Chiodo نقلاً عن كتاب لمؤلف يدعى فونتان Fontane إلى نص يرجع إلى عام ٣٠٠٠ق.م عبارته كالآتي: «قبل الولادة عاش هذا الطفل وليس الموت نهايته، الحياة تجيء وتروح كالشمس عندما يبدأ نهارها من جديد».

كما تحتوي ورقة بردي أنانا Anana التي ترجع إلى سنة ١٣٢٠ قبل الميلاد

---

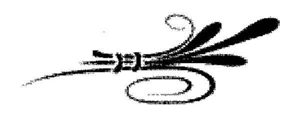
(١) ((الله)) (ص ٥٩).

(٢) ((الديانات والعقائد في مختلف العصور)) (١/ ٣٢٦).

العبارة الآتية: «الإنسان يعود ثانية إلى الحياة عدة مرات، لكنه لا يذكر حيواته السابقة، إلا في الحلم أحياناً، أو كفكرة مرتبطة بحادثة سابقة، ولا يمكن أن يحدد زمان هذه الحادثة أو مكانها، لكنه يعلم فحسب أنها حادثة مألوفة عنده، وفي النهاية ستتكشف له كل حيواته المختلفة»[١].

وعليه فيكون القول الأقرب إلى الصواب فيما يظهر لي هو التوسط، فأقول: إن هذا المعتقد ليس بمشهور، بدليل أنه ليس علمٌ في الديانة المصرية كما هو علمٌ في الديانة الهندية، والنصوص التي استدل بها على ثبوته والتي ترجع إلى ما قبل الميلاد بآلاف السنين على فرض صحة ودقة ترجمتها يكتنفها الغموض، كما يمكن تأويل بعضها إلى غير مفهوم التناسخ.

لكن يبقى القول الوسط أن هذه العقيدة قال بها بعض المصريين، لكنها لم تكن العقيدة الرسمية أو المشهورة بين الناس، واحتمال قول طائفة منهم بالتناسخ وارد سيما أن الديانة المصرية وضعية خاضعة لعقول الرجال وأهوائهم.



---

(١) في ((العودة للتجسد)) (ص ١٨).



الفصل السادس

الروح في الفلسفات اليونانية والرومانية

ابتديء كلامي هنا بمقدمة مهمة تكشف للقارئ بعض الأمور التي قد تكون ملغزة، من حيث الصلة بين الحضارتين اليونانية والرومانية، وحال الفلسفة في الحضارتين، وهل هناك فروق جوهرية بين عقائد الحضارتين خاصة فيما الفصل معقود له؟ وهل الفلسفة اليونانية ماتت يوم سقطت اليونان تحت ضربات الرومان أم لا؟

ابتداء يمكن القول أن العصر اليوناني هو بداية الفكر الفلسفي، وجميع الفلسفات بعده كانت تبعاً له ومتأثرة به، وقد مر بعض دلائل هذا عندما تكلمت على عقائد الفلاسفة المنتسبين إلى الإسلام في الروح.

ومن الناحية الزمنية، فإن الفكر الفلسفي اليوناني امتد عدة قرون، بداية من العصر الهليني[1] وحتى العصر الهللينستي[2] فما بعد بعدة قرون، وهي فترة ليست بالقصيرة في حياة الأمم والحضارات، حيث زادت على ستة قرون، وكانت الثقافة اليونانية فيها «هي الثقافة الشائعة في جميع بلدان البحر الأبيض المتوسط، فمنذ وفاة الإسكندر وحتى الفتح الروماني انتشرت هذه الثقافة رويداً رويداً، ابتداءً من مصر وسوريا ووصولاً إلى روما وأسبانيا، وفرضت نفسها في الأوساط اليهودية المستنيرة

---

(١) **العصر الهلليني** على الصعيد الفلسفي يبدأ من ظهور الفلسفة اليونانية على يد طاليس في أوائل القرن السادس قبل الميلاد، وحتى وفاة أرسطو عام ٣٢٢ ق.م.
انظر: ((مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان)) (ص ١٤١).

(٢) **العصر الهللينستي** يبدأ من وفاة الإسكندر ومن بعده أرسطو، ويمتد لثلاثة قرون تالية، بل إلى أبعد من ذلك حيث ستظل ممتدة إلى ظهور الفلسفة المسيحية التي يبدأ منها ما يسمى بالعصر الوسيط في الفلسفة الغربية.
انظر: ((المصدر السابق)).

كما في أوساط الأعيان الرومان، وكانت أداة هذه الثقافة هي القونية، وهي اللهجة الدارجة من اللغة اليونانية»[١].

وهذا يعني أن الثقافة اليونانية لم تمت بسقوط دولتها، بل إنها بقيت رغم الهيمنة الرومانية، ولا أدلَّ على ذلك من ظهور المدارس الفلسفية المنتسبة لفلاسفة اليونان في ظل الإمبراطورية الرومانية، «فقد انتسبت الأبيقورية إلى ديمقريطس، والرواقية إلى هيراقليطس... والسقراطية إلى سقراط»[٢].

بل لم تتزعزع آراء بعض الفلاسفة المشهورين، فأرسطو الذي كانت فلسفته استكمالاً للفلسفة اليونانية «ظل الجميع تقريباً أسرى لمنطقه وفلسفته طوال العصر الروماني والعصور الوسطى مسيحيةً وإسلاميةً»[٣].

يعني أن سقوط اليونان في أيدي الرومان لم يؤثر في الفكر الثقافي والفلسفي اليوناني، وهذا ما أكده صاحب «قصة الحضارة» حيث قال: «لم تمت الحضارة اليونانية حين استولت روما على بلاد اليونان، بل عاشت بعد ذلك عدة قرون»[٤].

ويحسن أن أشير في ختام هذه المقدمة إلى مسألتين:

الأولى: أن الحضارة اليونانية لم ترقَ في الجانب العقدي كما ارتقت في غيره من جوانب العلوم الأخرى كالفنون والآداب وسائر فروع المعرفة، ومرد ذلك إلى اعتمادها على العقل البشري المستقل عن الوحي[٥].

ولذا كانت هذه الأمة تلتقي مع الرومانية في كثير من العقائد التي يصح القول

---

(١) ((مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان)) (١٤١ – ١٤٢).
(٢) ((المصدر السابق)) (ص ١٤٨).
(٣) ((المصدر السابق)) (ص ١٣٣).
(٤) ((قصة الحضارة)) (ص ٢٨٣٣).
(٥) انظر: ((الإنسان في ظل الأديان)) (ص ٦٣).

بأنها طابع مشترك لأفراد المجتمع، ومن أبرزها الإشراك بالله تعالى، وكما يذكر شيخ الإسلام أبو العباس ابن تيمية في الرد على المنطقيين[1] أن اليونان والرومان من المشركين عبدة الشمس والقمر والكواكب.

وإنما ذكرت هذا لأجل المسألة الثانية.

الثانية: أن الناظر في العقائد اليونانية والرومانية يجد التطابق أو التشابه إلى حد كبير في كثير من العقائد بينهما، وكيف لا والثانية وريثة الأولى؟ حتى قال أحد المهتمين بدراسة المذاهب والأديان لما تكلم على عقائد الرومان: «لا يكاد الباحث في عقائد اليونان والرومان يجد فرقاً كبيراً بين الأمتين. فاليونان هم الأساتذة الأولون للرومان، وعنهم أخذوا كل شيء من العقائد والطقوس والآداب، وروحهم بلا شك مقتبسة من الروح اليونانية... ولم يفتهم شيء مما وضعه اليونان من أنواع تعبداتهم إلا اقتبسوه عنهم، ولم يزيدوا عليهم إلا بتأليه علمائهم وأبطالهم، وربما توسعوا في هذه الزيادة إلى حد الإفراط...»[2].

وهذا الكلام كما ترى عام، أي أنه يشمل جمهور الناس بما فيهم الفلاسفة وغيرهم، وإن كان الفلاسفة - فيما الكلام بصدده - يمتازون عن غيرهم بمزايا كما سيأتي، ولكي ينتظم الكلام، وتتضح الصورة، وتسهل معرفة عقائد الأمتين في الروح وما يتصل بها، فسيكون الكلام ضمن ثلاثة مباحث:

المبحث الأول: العقائد اليونانية المتعلقة بالروح.

المبحث الثاني: العقائد الرومانية المتعلقة بالروح.

المبحث الثالث: آراء الفلاسفة في الروح.

وإلى شيء من البيان والإيضاح.

---

(١) انظر: ((الرد على المنطقيين)) (ص ٢٨٣).

(٢) ((محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان)) (ص ٨٦).



المبحث الأول: العقائد اليونانية المتعلقة بالروح

ابتداءً يقال: وإن كان لفلاسفة اليونان آراؤهم الخاصة في مسألة الروح إلا إنه لا يمكن فصلهم في قضايا الاعتقاد والعبادات عن جمهور الناس، فمثلاً أرسطو - إمام الفلسفة في وقته - كان على دين أهل زمانه عقيدة وعبادة مع ما له من آراء خاصة، لكن هذا لم يخرجه عن الإطار العقدي والعبادي العام للشعب اليوناني، وقد صور هذه الحقيقة شيخ الإسلام حيث قال: «وأما أرسطو وأصحابه فكانوا مشركين يعبدون الأصنام والكواكب، وهكذا دين اليونان والروم قبل ظهور دين المسيح فيهم»[١]، بل «إن الإيمان بالآلهة والأرواح شائع لدى جميع الفلاسفة»[٢].

ولذا فالكلام عن قضايا الروح هنا يشملهم، وسيأتي بيان آرائهم الفلسفية في موطنه في المبحث الثالث.

ولما لم يكن لأهل اليونان مصادر سماوية يستنيرون بها، كانت تصوراتهم في قضايا الاعتقاد والعبادة - ومنها مسألة الروح وما يتصل بها - مبنية على الخيال والأساطير، ولا يُسْتَبْعَد تأثرهم بعقائد الأمم السالفة عنهم من البابليين والفرس والمصريين، واعتقادهم ببقاء الأرواح والاهتمام بها أو التحسس منها عميق في نفوسهم للغاية، حتى لقد ظهر تأثير ذلك في جميع مناحي حياتهم، بما فيها الأعياد، بل والأعمال الفنية من نحت ومسرح وغيرهما.

---

(١) ((الرد على المنطقيين)) (ص ٢٨٣).

وانظر: ((أشهر الديانات القديمة)) (٤٨ - ٤٩) فيها كلام لأرسطو وأفلاطون عن الآلهة التي كان يعبدها اليونانيون.

وانظر: ((العبادات في الديانات القديمة)) (ص ٣٠ فما بعد).

(٢) ((مطول الإنسان روح لا جسد)) (١/ ١٢٢).

أما النحت؛ فكان مما يُولَع به الرجل اليوناني ويُسَرُّ به؛ ولذلك كان يملأ بيته وهياكله وقبوره بتماثيل صغيرة من الطين المحروق، ويعبد آلهته بتصويرها في الحجارة، ويقيم على قبور موتاه ألواحاً منقوشة تُعَدُّ من أكثر منتجات الفن اليوناني وأوقعها في نفوسهم، وتُظْهِر هذه الألواح الموتى وهم يعملون عملاً من أعمال الحياة الدنيا، كطفل يلعب بالطوق، وبنت تحمل إبريقاً، ومحارب يعجب بعدته الحربية، وفتاة تفخر بحليها، وغلام يقرأ كتابه وكلبه راقد تحت مقعده... إلخ[1].

أما المسرح؛ فمنه ما جاء في مسرحية هيبوليتس HIPPOLYTUS وهي من الأدب المسرحي الذي يُبْرِز التفكير في الحياة بعد الموت والشك في الحياة الدنيا، ففيها: «ومع هذا فحياة الإنسان كلها ألم وكدر، وليس ثمة راحة على ظهر هذه الأرض، وإذا كانت هناك حالة بعيدة أحب إلى الموتى من الحياة فإن يد «الظلماء» تقبض عليها وتحجبها في ظلمات من فوقها ومن أسفل منها.

ومن الناس من يرغب في الحياة ويتعلق بالبقاء على هذه الأرض بهذا الشيء البراق الذي لا أعرف ماذا أسميه؛ وذلك لأن الحياة الأخرى نبع مختوم مغلق، والأعماق التي من تحتنا لم تُكْشَف لنا، ونحن تتقاذفنا الخرافات والأوهام إلى أبد الدهر»[2].

والآن إلى جملة من عقائدهم المتعلقة بالروح:

١ – اعتقدوا بالبعث:

وصورته أن الناس جميعاً سوف يُبعَثون في حياة مستقبلة، يُثابون فيها على

---

(١) انظر: ((قصة الحضارة)) (ص ٢٢٠٩).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (٢٣٥٧).

أعمالهم أو يعاقبون عليها[١].

وهذا يعني اعتقادهم ببقاء الأرواح بعد الموت.

٢- اعتقادهم بانتقال الأرواح عبر نهر أستيكس إلى مقرها الأخير:

فالجثة قبل أن تُوضَع في التابوت[٢] تُغْسَل بالماء، وتُدْهَن بالعطور، وتُكَلَّل بالأزهار، وتُلبَس أحسن ما تستطيع الأسرة أن تبتاعه لها من الثياب، ثم توضع أبلة[٣] بين أسنانها لتؤديها أجراً لـ«كارون» صاحب القارب الأسطوري الذي ينقل الموتى في نهر أستيكس إلى مقرهم الأخير[٤].

٣- اعتقادهم بأن الأرواح تشرب الخمر وتأكل الطعام بعد الموت، وتحضر الاحتفال بها:

فمن مراسمهم في ذلك أنه في اليوم الثالث بعد الموت تُحمَل الجثة في نعش، ويطوف موكب الجنازة بشوارع المدينة، والنساء من خلف الجثة يبكين، ويضربن صدورهن، وقد تُستأجَر النادبات، ويُصَبُّ الخمر على التراب الذي يغطي القبر

---

(١) ((قصة الحضارة)) (١٩٦٩).

(٢) كان إحراق الموتى أكثر انتشاراً في عصر الأبطال ودفنهم أكثر انتشاراً في العصر الذهبي... وقد بلغ من حرصهم عليه أن القواد المنتصرين في أرجنوسي قد أعدموا؛ لأن عاصفة حالة بينهم وبين استعادة جثث موتاهم ودفنها، وأبقت عادات الدفن اليونانية الأساليب القديمة إلى ما بعد عصرها بزمن طويل.

انظر: ((قصة الحضارة)) (٢١٩٦).

(٣) **الأبلة**: قطعة من النقود.

انظر: ((محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان)) (ص ٨٨)، وفي ((قصة الحضارة)) (٢٤٦٧) الأبلة – ١٠٠ vslash من الريال الأمريكي.

(٤) انظر: ((قصة الحضارة)) (٢١٩٦).

لتروي به روح الميت غليلها، وقد تُذْبَح بعض الحيوانات لتكون طعاماً لها، ويضع مشيعو الجنازة على القبر أكاليل من الأزهار أو ورق السرو، ثم يعودون إلى منزل الميت ليحتفلوا بالجنازة، إذ كان من معتقدهم أن روح الميت تشهد هذا الاحتفال.

ولما كانت الروح تشهد الاحتفال، فقد جعلوا من عاداتهم المقدسة ألا يذكروا عن الميت إلا الخير[1].

٤- اعتقادهم بحساب الأرواح وجزائها:

جاء في علم اللاهوت[2]: إن الروح تذهب بعد الموت إلى الجحيم حيث يحاسبها آلهة العالم السفلي على أعمالها، حساباً نهائياً شاملاً.

فإذا ما سألتهم عن نتيجة هذه المحاكمة؟

قالوا: إذا حُكِم على الميت بأنه مذنب عوقب عقاباً شديداً.

فإذا ما سألت أمؤبد هذا العقاب أم مؤَّمد؟

وجدت عندهم ثلاث تصورات:

١ – فمن قائل: إن هذا العقاب أبدي، وهو الذي أُخِذَت منه فكرة النار فيما بعد.

٢ – ومن قائل بالتناسخ، أي أن الروح تُولَد مرة بعد مرة؛ لتحيا حياة أسعد من حياتها الأولى أو أشقى منها، حسب طهارتها الأولى أو عدم طهارتها، ويتكرر هذا المولد مرة بعد مرة حتى تتطهر الروح من ذنوبها تطهراً تاماً، فيُسمَح لها بالدخول في جزائر المنعمين.

---

(١) انظر: ((قصة الحضارة)) (٢١٩٧).

(٢) **علم اللاهوت**: هو العلم الذي يبحث في الله وصفاته وعلائقه بالعالم والإنسان، ويرادفه علم التوحيد، وعلم الكلام، وعلم الربوبية.
انظر: ((المعجم الفلسفي)) (٢/ ٧٧٢).

٣- ومن قائل: إن العقاب الذي يلقاه الميت في الجحيم قد ينتهي إذا كَفَّر الإنسان عن ذنبه قبل موته، أو كفَّر عنه أصدقاؤه بعد موته[١].

ولا شك أن هذا مما يبعث الأمل في قلوب الموتى، وبهذه الطريقة نشأت عقيدة التطهير وصكوك الغفران[٢].

٥- اعتقادهم أن هناك مقراً أو مواطنَ للشقاء وأخرى للسعادة:

ويمكن تلخيص ما يمكن تسميته بمقر الأرواح عندهم في النقاط الآتية[٣]:

أ- أرواح في الجحيم:

وهي الأرواح التي ارتكبت ذنوباً شنيعة، أو مرقت من الدين، فهي وحدها التي تُعذَّب في تلك الدار.

وقد نشأ في التاريخ اليوناني على تعاقب الأيام اعتقاد جديد بين الطبقات الفقيرة، مضمونه أن الجحيم مكان يُكفِّر فيه المذنبون عن ذنوبهم.

---

(١) انظر: ((قصة الحضارة)) (١٩٧٠).

(٢) يصف أفلاطون في غضب لا يكاد يقل عن غضب لوثر Luther بيع هذه الصكوك في أثينة في القرن الرابع قبل الميلاد فيقول: «يقرع المتنبئون المتسولون أبواب الأغنياء ويدخلون في روعهم أنهم قد وهبوا القدرة على أن يكفروا لهم خطاياهم أو خطايا آبائهم بضروب من التضحية والرقى... ثم يُخرجون من حقائبهم مجموعة ضخمة من الكتب بخط موسيوس Musaues أو أرفيوس... يمارسون منها طقوسهم، ويقنعون الأفراد ومدناً بأكملها أن التوبة من الذنوب والتكفير عنها يتمان بتقريب القرابين والقيام بضروب التسلية (الاحتفالات) التي يشغلون بها ساعات الفراغ والتي يتقدمون بها إلى الأحياء وإلى الموتى على السواء، وهم يسمون العمل الأخير (الاحتفالات) طقوساً خفية، ويدعون أنها تنجينا من عذاب النار، فإذا أغفلناها فلا يعلم أحد ماذا يصيبنا من عذاب».
انظر: ((قصة الحضارة)) (١٩٧٠).

(٣) انظر: ((المصدر السابق)) (٢١٩٨).

ب- أرواح طوافة:

وهي سائر الأرواح عندئذ، سواءً أكانت أرواح قديسين أم مذنبين، فكان مصيرها كلها أن تطوف إلى أبد الدهر حول مملكة بلوتو[1] المظلمة.

ج- أرواح في الجزائر المباركة:

وهي أرواح أهل السعادة، فالجزائر المباركة أو الحقول الإليزية - كما يقولون - مواطن السعادة الأبدية، التي ينعم فيها عدد قليل من أرواح الأبطال.

لكن النظرة السوداوية إلى ما بعد الموت هي الغالبة على فكر اليوناني، جاء في «قصة الحضارة»: إن «التفكير فيما ينتظر جميع الأموات من مصير محزن نكد يخيم على الأدب اليوناني، ويجعل الحياة اليونانية أقل بهجة وانشراحاً مما يجب أن تكون عليه الحياة تحت هذه السماء الصافية»[2].

ولعل القائمين على صكوك الغفران، والمستفيدين منها كان لهم إسهام في بروز هذه النظرة السوداوية النكدة، وذلك بما يشيعونه من عذاب وأهوال تكون بعد الموت، مع تضييق فرصة الفوز بالنجاة والسعادة، إذ قصروها على طائفة معينة، أسموهم الأبطال، إذن فليشتروا الصكوك طلباً للنجاة!

ولعل الاعتقاد بأن أرواح الأبطال هي أرواح أهل السعادة، ساق طائفة من اليونانيين إلى عبادتهم طلباً لنفعهم، إذ كانوا يعتقدون أن في «وسع الآلهة أن تهب العظيم أو الشريف، أو الرجل الجميل أو المرأة الجميلة؛ الحياة الخالدة فتجعله أو تجعلها من بين

(١) بلوتو: إله العالم السفلي، وهو إله الجحيم. انظر: ((المصدر السابق)) (١٧٩٥، ١٩٤٧).

(٢) ((قصة الحضارة)) (٢١٩٨).

الآلهة الصغرى... وكان الإله في أول الأمر من الأسلاف أو الأبطال الموتى، كما كان المعبد في الأصل قبراً، ولاتزال الكنيسة حتى الآن في معظم البلاد مكاناً تُحْفَظ فيه آثار الموتى القديسين»[١].

٦- اعتقادهم بأن استقرار الأرواح وعدم تشردها مرتبط بالدفن، وإلا أصبحت عدواً:

جاء في كتاب «المدينة العتيقة»: لكي تستقر الروح في عالمها السفلي كان لابد أن يكون البدن الذي ظلت مرتبطة به محجوباً بالثرى، فالروح التي لا قبر لها لا مقر لها، إنها روح هائمة مشردة بلا قربان ولا غذاء، لقد جلب لها هذا الحرمان من القبر التعاسة والشقاء، وبذلك تنقلب شريرة تعذب الأحياء وترسل عليهم الأمراض، وتتلف محصولاتهم الزراعية، وتثير الذعر فيهم ليلاً ونهاراً، وتؤرق حياتهم[٢].

٧- اعتقادهم بأن الأرواح التي لم يُرَاعَ معها شعائر الدفن تُعذَّب:

فعندهم لابد من مراعاة بعض الشعائر، وتلاوة بعض الأدعية، وإلا بقيت الروح هائمة على وجهها، ولا يقر لها قرار حتى يخرج الجسد من القبر ويُدفَن مرة أخرى طبقاً للأصول الشعائرية.

فالشعائر هي التي كانت تقر الأرواح في قبورها وتحبسها فيها.

ولعظم هذا المعتقد في نفوسهم كان قواد الحروب الذين يهملون دفن قتلاهم يُعدَمون؛ لأنهم تسببوا في العذاب المقيم الذي سيلحق تلك الأرواح[٣].

---

(١) ((قصة الحضارة)) (ص ١٩٥٠).

(٢) انظر: ((المدينة العتيقة)) (ص ١٥): كولانج، فوستيل ذي، ترجمة: عباس بيومي، ط (١٩٥٠)، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، بالإحالة عن ((بدايات الفلسفة الأخلاقية)) (ص١٣٨ – ١٣٩).

(٣) ((المدينة العتيقة)) (١٦ – ١٧)، و((الإحالة)) (ص ١٣٩).

٨- اعتقادهم بإمكان تجدد حياة أهل السعادة:

حيث يرون «أن الموتى يمكن أن تتجدد حياتهم كما أن البذرة تُولَد مرة ثانية، ولم يكن يقصد بحياتهم هذه حياة الأشباح النكدة في الجحيم، بل يقصد بها حياة ملؤها السعادة والطمأنينة»[١].

٩- اعتقادهم بأن أرواح الموتى آلهة مقدسة؛ ولذا عبدوها:

ولقداستها في قلوبهم خلعوا عليها خير ما كان في جعبتهم من ألقاب الاحترام والتبجيل، فكانوا يسمونهم بالطيبين والقديسين والسعداء، ويُكنُّون لهم كل تقدير وإجلال، وكيف لا وهم في عقيدة القوم آلهة؟[٢].

وكان لكل أسرة آلهتها المنزلية، ففي المنزل مدفن معبودهم وملاذهم الذي يحميهم، ويسمع دعاءهم، ويشفي مرضاهم، ويستجيب لتوسلهم، أما خارج المنزل فلا يشعر المرء بإله ما، وكان إله الجار إلهاً عدواً[٣].

وهذه العقيدة هي ما يعرف بعبادة الموتى أو الأسلاف[٤]، وهي تنتشر عند كثير من عُبَّاد القبور في سائر الأمم، وهي من الغلو الذي ترفضه جميع الأديان السماوية، بل والفطر والعقول السليمة، فإن ما خلعوا على مألوهاتهم من الصفات لا يصح إلا لرب الأرض والسموات، الله الذي خلقهم وما يعبدون، وإني أتساءل كما يتساءل غيري من العقلاء: أي عقل كان يفكر به ذلك اليوناني حتى نسب إلى أموات البشر من السلطة الإلهية ما يفوق سلطة سائر البشر؟

---

(١) ((قصة الحضارة)) (ص ١٩٦٧).

(٢) انظر: ((بدايات الفلسفة الأخلاقية)) (ص ١٤٠).

(٣) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ١٤٢).

(٤) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ١٤٥).

إن ذلك العقل البعيد عن الرشاد قد يرفض تلك الخرافات بمحض فطرته لو أنها سلمت من المؤثرات، ومادام أنها فطرة مشوهة كان لابد لها من وحي سماوي يصحح معتقدها وينير طريقها، وإلا زادت في ضلالها وبعدها عن الصواب، وهذا لا يوجد اليوم إلا في الإسلام.

١٠- اعتقادهم بأن الأفاعي التي في المقابر هي أرواح الأموات:

وسبب ذلك كثرة وجودها حول المقابر حتى اعتقد الناس أنها أرواح الموتى[١]. وكان اليوناني يقدس الأفعى لأنها في ظنه لا تموت، أو لأنها ترمز إلى القدرة على التناسل والإنتاج، وكثيراً ما تُرى الأفعى في الفن اليوناني حول التماثيل، وكثيراً ما كانت تتخذ رمزاً للإله الحارس للهياكل والمنازل أو صورة لهذا الإله[٢].

١١- اعتقادهم بحضور الأرواح في عيد الزهور، فيسترضونها ابتداءً، ثم يطردونها انتهاءً!:

ففي عيد الأنشستريا أو عيد الزهور، وهو من أهم أعيادهم والذي يقام أصلاً تكريماً لديونيس[٣]، ويدوم ثلاثة أيام يتنافسون فيها في شرب الخمور، في شوارع تعج بالحياة والمرح، وكان يسري في هذه الطقوس المرحة قليل من الرهبة والعمل على استرضاء الموتى وكف أذاهم، وكان الأحياء يتناولون في وقار وهدوء وجبة من الطعام إحياءً لذكرى آبائهم، ويتركون لهم آنية ملأى بالطعام والشراب، فإذا انقضى العيد أخذ الناس يطردون أرواح الموتى من الدور بصيغة يتلونها ويقولون

---

(١) انظر: ((قصة الحضارة)) (ص ١٩٤٨).

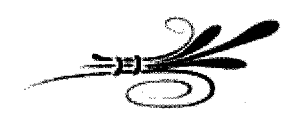
(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ١٩٤٨).

(٣) ديونيسس: إله الخمر. ((قصة الحضارة)) (١٧٤٥)، وقد يقولون هو إله الشراب المعصور من الشعير، ((المصدر السابق)) (١٩٦٢).

فيها: «اخرجي من الباب أيتها الأرواح! لقد انتهى عيد أنشستريا»[١].

١٢- اعتقادهم بقداسة الروح دون الجسد:

فقد دخلت التفكيرَ اليوناني النظرةُ الثنائية إلى الجسم والروح، التي تقول إن الجسم خبيث وإن الروح مقدس، وصار إخضاع الجسم أهم أغراض الدين كما صار شرطاً لخلاص الروح[٢].



(١) انظر: ((قصة الحضارة)) (١٩٨٦).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (١٩٧٠).

المبحث الثاني: العقائد الرومانية المتعلقة بالروح

الديانة الرومانية من الديانات الوضعية المندثرة[١]، المتأثرة بالثقافات السابقة وخاصة اليونانية.

وفي مسألة الروح تجد أن الرومان يعرفونها ويتحدثون عنها، لكن بطريقة لا تُعَدُّ شيئاً بجانب عمق طريقة الإغريق[٢]، فمن مظاهر اهتمامهم بالميت أنهم يقسمون القبر المنحوت في الصخر إلى حجرات، ويُهيَّأ لحياة الميت في الدار الآخرة بالأثاث، والآنية، والمزهريات، والملابس، والأسلحة، والمرايا، وأصباغ الزينة، والجواهر وغيرها[٣].

وقد تقدمت الإشارة إلى أن الباحث في عقائد اليونان والرومان لا يكاد يجد فروقاً كبيرة بينهما، فقد أخذ الرومان عن اليونان العقائد والطقوس والآداب، وعليه فيصح إضافة العقائد السابقة إليهم، سيما أن الرومان «حاولوا التوفيق بين ما ورثوه من اليونانيين وبين طقوسهم المحلية»[٤].

ولا يمنع ذلك من سَوْقِ بعض ما أُثِر عنهم من العقائد المتعلقة بالروح، إذ قد يكون بعض ما عندهم من البدع التي أحدثوها إضافة إلى ما ورثوه، فمن ذلك:

١- اعتقادهم بمحاكمة الأرواح، وتعذيبها:

فعندهم أن الجن تسير بالروح إلى محكمة الدار الآخرة، حيث تتاح لها الفرصة

---

(١) انظر: ((العبادات في الديانات القديمة)) (ص ١٧).

(٢) انظر: ((مطول الإنسان روح لا جسد)) (١/ ١٢٢).

(٣) انظر: ((قصة الحضارة)) (٢٨٤٨).

(٤) ((العبادات في الديانات القديمة)) (ص ٣٥).

في يوم الحساب الأخير للدفاع عن أعمالها في الحياة الدنيا.

فإذا عجزت عن تبرير أعمالها حُكِم عليها بضروب مختلفة من العذاب[١].

وهذا المعتقد قريب من معتقد اليونانيين كما تقدم.

٢- اعتقادهم بإمكانية قصر مدة العذاب:

ففي وسع الأحياء من أصدقاء الموتى المعذبين قصر أمد عذابهم، بما يقدمونه من الأدعية والقرابين[٢].

٣- اعتقادهم بانتقال الأرواح بعد التطهير إلى صحبة الآلهة والتنعم معها:

ذلك أن الروح إذا نجت من العذاب انتقلت من العالم السفلي إلى صحبة الآلهة الأعلين؛ لتستمتع معهم بالولائم ومظاهر الترف والسلطان التي صورتها آمال الأحياء على القبور[٣].

٤- اعتقادهم بأن أرواح الأسلاف تحيا في مكان ما وترقب الأحياء:

وكان لهذا المعتقد أثر في استقرار المجتمع الروماني، بل واليوناني قبله[٤].

٥- اعتقادهم بعيد الأرواح الميتة، حيث تُقَدَّس الأرواح وتُستَرضى لدفع غضبها:

تكثر الأعياد في بلاد الرومان حتى إنها قد تزيد على المائة، وقد خصصوا «**بعض هذه الأعياد لتقديس الموتى وأرواح العالم السفلي، وكان يُقْصَد بالأعياد وما يقام**

---

(١) انظر: ((قصة الحضارة)) (٢٨٤٧).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)).

(٣) انظر: ((المصدر السابق)).

(٤) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ٣٠٠٣).

فيها من احتفالات استرضاء الموتى وإقصاء غضبهم، فكانت الأسر الرومانية تحتفل في الأيام ما بين ١١، ١٣ من شهر مايو احتفالاً رهيباً بعيد الأرواح الميتة «Lemures».

وأما طريقتهم: «**فيقوم بها الأب حيث «يبصق من فمه فولاً أسودَ وهو ينادي: «بهذا القول أنجي نفسي وأبنائي... اذهبي يا أطياف أسلافي!»**»[١].

وكان لهم أعياد من جنس عيد الأرواح الميتة أطلقوا عليها أعياد البارنتاليا Pa-rentalia والفراليا Feralia، كانوا يقيمونها في شهر فبراير لاسترضاء الأموات المخيفين[٢].

٦- ومن معتقداتهم في مصير الروح وما تلقاه بعد الموت:

ما جاء في الأساطير الرومانية التي اصطبغت بالصبغة الهلينية: أن الموتى ينتقلون إلى جنات النعيم أو إلى جزائر المقيمين، على أنهم كلهم تقريباً كانوا ينزلون إلى الأرض ليستقروا في مملكة الأشباح التي يسيطر عليها أوركوس Orcus وبلوتون Pluto.

وكان ثانيهما - وهو الصورة اليونانية للإله هيديز Hades اليوناني - يحمل في يده مطرقة يضرب بها الميت حتى يغيب عن وعيه.

أما أوركوس (وهو الاسم الذي اشتقَّت منه الكلمة الإنجليزية Ogre أي الغول) فكان هو الغولة التي تلتهم جثة الميت بعدئذ[٣].

---

(١) ((قصة الحضارة)) (٢٩٦٢).

(٢) ((المصدر السابق)).

(٣) انظر: ((قصة الحضارة)) (٣٠٠٤).

٧- اعتقادهم بعبور الأرواح لما أسموه بنهر الموت برفقة الموكل بالأرواح:

حيث «كان الرومان يعتقدون أن هناك شخصاً يسمى «شارون» أو «قارون» موكلاً بأرواح الموتى يحملها ويعبر بها نهر الموت، ولا يفعل ذلك ما لم يتناول أجراً معيناً، فكانوا يضعون في فم الميت قطعة من النقود يعطيها الموكل المذكور»[١].

وصنيعهم هذا شبيه بصنيع اليونانيين كما تقدم.

٨ - اعتقادهم بسرور الأرواح بسفك الدماء:

كان الرومانيون - بتأثير الروح العسكرية فيهم - يعتقدون أن أرواح الأموات تُسَرُّ بسفك الدماء، فكانوا يتقربون إلى موتاهم بذبح النفوس البشرية على قبورهم، وكان الأصدقاء يتقربون بأنفسهم لأصدقائهم حباً بهم.

ولما ارتقت عواطفهم استعاضوا عن ذلك بذبح ما كان يميل إليه الميت في حياته من الحيوانات، وقد استمرت هذه العادة إلى أوائل القرن الرابع ثم انقرضت[٢].

٩- اعتقادهم بانبثاق بعض النفوس من الشمس:

فكان للرومان إله يدعى «كرينيوس» يقولون إن نفسه انبثقت من الشمس وعادت إليها[٣].

هذه جملة من عقائد الرومانيين في الروح وما يتعلق بها، وتلحظ أن بعضها يشبه بعض ما يدندن به اليونانيون كما تقدم.

---

(١) ((محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان)) (ص ٨٨).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ٨٩).

(٣) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ٩٠).

المبحث الثالث: آراء الفلاسفة في الروح

يتبادر إلى الذهن في هذا الموضع ثلاثة أسئلة:

١ – **السؤال الأول**: من الفلاسفة الذين ستُعْرَض آراؤهم في الروح؟

٢ – **السؤال الثاني**: ما الفترة الزمنية التي تضم آراء هؤلاء الفلاسفة؟

٣ – **السؤال الثالث**: هل فلاسفة اليونان ومن تبعهم من الرومان على نسق واحد في تناول الروح وموضوعاتها أم لا؟

إذن فسؤال عن الأعلام، وسؤال عن الزمان، وسؤال عن وحدة الفكر.

وأبتدء الجواب على هذه التساؤلات بالسؤال الثالث فالذي يليه، فأقول:

لما كان الفلاسفة يتكلمون بالرأي وليس عندهم مصدر سماوي صحيح يستقون منه عقائدهم في الروح، جاءت آراؤهم متباينة مختلفة لا تكاد تتفق، وإن كان بعض الفلاسفة يعيش تحت ظل بعض فيأخذ بقوله ويتأثر به في مسألة ما إلا إنك تجده يخالفه في أخرى يستقل فيها برأيه، وهكذا.

وهذا يعني أن الباحث لا يمكنه أن يعرض رأياً واحداً ثم يعممه فيجعله رأياً للجميع، يؤكد هذا أن الفلاسفة متباينون في الكلام عن الروح، فمنهم من أنكرها، ومنهم من تكلم على بعض مسائلها، ومنهم من أفاض في الحديث عنها وتوسع في أهم قضاياها، ولكلٍّ تلاميذٌ وأتباعٌ.

وأما جواب السؤال الثاني، فيقال:

الناحية التاريخية لهؤلاء الفلاسفة تشغل عصرين، العصر الهلليني والعصر الهللينستي.

أما العصر الأول فيبتدئ: «منذ ظهور الفلسفة في اليونان على يد طاليس في أوائل القرن السادس قبل الميلاد، وحتى وفاة أرسطو، التي حدثت بعد وفاة الإسكندر الأكبر بعام واحد في عام ٣٢٢ ق.م»[١].

وأما العصر الثاني فيبتدىء منذ الفترة «التي أعقبت وفاة الإسكندر ومِن بعده أرسطو، وتمتد لثلاثة قرون تالية، وإن كانت في الواقع تمتد إلى أبعد من ذلك...»[٢].

أما جواب السؤال الثالث: فسيكون منصباً على أبرز أعلام الفلسفة ومدارسها في العصرين الهلليني والهللنستي.

وهذان العصران يضمان سائر المراحل التي مرت بها الفلسفة اليونانية ابتداءً من مرحلة النشأة والتكوين إلى مرحلة النضج والازدهار فالضعف والذبول.

مراحل وأطوار الفلسفة اليونانية:

درج بعض الباحثين على **تقسيم الفلسفة اليونانية إلى ثلاث مراحل أو أطوار**[٣]:

١- مرحلة النشأة: وهي الطور الأول الذي نمت فيه الفلسفة وترعرعت، وهي فلسفة ما قبل سقراط، وأبرز أعلامها طاليس.

٢- مرحلة النضج: وهي الطور الثاني الذي ازدهرت فيه الفلسفة وبلغت غاية مداها، وتمتد من سقراط حتى أرسطو، وأبرز أعلامها إضافة إلى المذكورَين أفلاطون.

---

(١) ((مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان)) (ص ١٤١).

(٢) ((المصدر السابق)).

(٣) انظر: ((ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة)) (ص ١٢٣)، و((الآثار العقدية للوثنية اليونانية)) (ص١٤)، هامش (١١)، و((تاريخ الفلسفة اليونانية (مرحبا))) (ص٤٠)، و((الهداية في الفكر الإسلامي وضلال الفكر الغربي)) (ص ٢١).

٣- مرحلة الضعف: وهي الطور الأخير الذي أخذت فيه الفلسفة تذبل وتتدهور، وهي فلسفة ما بعد أرسطو، وأشهر مدارسها - فيما البحث بصدده - الفيثاغورية المحدثة والأفلاطونية المحدثة.

وهناك من يقسم «الفلسفة اليونانية إلى ما قبل سقراط[1] والفلسفة منذ سقراط؛ وذلك لأن سقراط هو الذي أنزل الفلسفة من السماء إلى الأرض، أي نقلها من البحث في الطبيعة الخارجية للأشياء إلى البحث في النفس الإنسانية من حيث مصدر المعرفة، واعتمد أفلاطون ثم أرسطو على هذه النظرية وسلكا هذا السبيل، واستمرت الفلسفة بعد ذلك إما أفلاطونية أو أرسطاطاليسية»[2].

والغرض من سَوق هذا التقسيم إبراز الأثر الأفلاطوني والأرسطي على مَن بعدهم من الفلاسفة، سواءً من اليونانيين أو غيرهم بما فيهم الفلاسفة المتسبين للإسلام كما تقدم.

وعندي أن التقسيم الثلاثي أدق بالنسبة لموضوع الروح؛ لأنه يجمع في أحد أطواره ثلاثة من أبرز رجالات الفلسفة الذين تكلموا في الروح: سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، والذين يمثلون المرحلة الثانية للفلسفة اليونانية، وهي أرقى مراحلها على الإطلاق، فهذا التقسيم يجمعهم في طور واحد بحيث ينفصلون عن سابقيهم ولاحقيهم مما يجعل آراءهم أكثر بروزاً ووضوحاً؛ وذلك أن آراءهم هي

---

(١) يستخدم مصطلح (الفلسفة قبل سقراط) للإشارة إلى ما يقرب من اثني عشر مفكراً من اليونان الأولين فيما قبل زمن سقراط ممن حاولوا أن يعرفوا تركيب العالم وطبيعة الواقع. وهم يتدرجون من تاليس الذي نشط في أوائل القرن السادس قبل الميلاد، إلى ديموقريطس في النصف الأخير من القرن الخامس.

انظر: ((الموسوعة الفلسفية)) (ص ١٤٠).

(٢) ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (٧ - ٨).

جوهر الآراء الفلسفية المتكلمة في الروح على مر التاريخ.

وعليه فسيكون الحديث عن آراء الفلاسفة في الروح ضمن تلكم الأطوار أو المراحل الثلاثة، وذلك بعرض آراء أبرز رجالاتها ومدارسها ممن تقدم ذكرهم، بل وغيرهم ممن لهم كلام في الروح، والله المعين.

☐ آراء الفلاسفة في الروح حسب التقسيم المرحلي:

المرحلة الأولى: ضمت هذه المرحلة التي ترعرعت فيها الفلسفة لفيفاً من الفلاسفة الذين تميزوا بآرائهم الفلسفية، حتى أصبح لهم أتباع ومدارس تُنْسَب إليهم، فكان هناك المدرسة الإيونية، والفيثاغورية، والأيلية، والذرية، وغيرها.

وكأي فكر يكون بعيداً عن وحي السماء، فقد ضل هؤلاء الفلاسفة في قضايا عقدية كثيرة من أبرزها قضية التوحيد، وكذا قضية الروح التي عُقِدَ هذا الفصل لدراستها عندهم، ولعل أظهر الآراء والمدارس التي شغلت هذه الحقبة من التاريخ الفلسفي وكان لها موقف من الروح ما يلي:

١ – المدرسة الإيونية:

وقد تسمى بالمدرسة اليونية، وفلاسفتها هم الطبيعيون الأول، وتُعَدُّ مدرستهم أول مدرسة ظهر فيها التفكير الفلسفي المنظم[١].

ومن أبرز رجالات هذه المدرسة طاليس (تاليس)[٢]، فهو رأس الفلاسفة

---

(١) انظر: ((الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب)) (٤٤ – ٤٥)، وقد تسمى بالمدرسة الملطية كما في ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص ٦٣).

(٢) **طاليس**، يعد أول فلاسفة الأيونيين، والمذهب الأيوني هو أول المذاهب الفلسفية في اليونان، تعلم طاليس الهندسة في مصر، والفلك في بابل، وقد برع فيهما، وهو أول من فصل بين التفكير والخرافة، وجعل الرياضيات وعلم ما وراء الطبيعة من أسس البحث الفلسفي، توفي سنة (٥٤٥ ق.م).
انظر: ((الموسوعة الفلسفية)) (٦٥ – ٦٦).

الماديين -وقل الطبيعيين إن شئت- ومُقَدَّمهم، ومن بعده انكسمندر[١]، وانكزمنيس[٢].

فهؤلاء نظروا إلى الوجود نظرة مادية بحتة، فلم يكن في تصورهم شيء وراء المادة؛ ولذا فهم لا يؤمنون بوجود الروح على نحو ما يؤمن به المسلمون، وأن لها صفاتٍ وأحوالاً، وأنها بالإضافة إلى الجسد هي الإنسان، فلم يكونوا يعتقدون بالثنائية، وأن الإنسان روح وجسد، بل كانت نظرتهم إلى الإنسان على أنه جزء من هذا الكون الذي أصله الماء أو الهواء أو غيرهما.

إن جوهر هذه الفلسفة يقوم على وحدة النظرة إلى الكون أجمع بما فيه الإنسان، فـ «الإنسان جزء منه، بمعنى أنه ليس للإنسان فلسفة روحانية تختص به هو لوحده، باعتباره غير محكوم بالقوانين الكونية الجامدة، بل إن الإنسان تبعاً لمنطق هذه الفلسفة خاضع لكافة القوانين التي تخضع لها المظاهر المختلفة في الكون، وهو يجب أن يكون خاضعاً لها كل الخضوع، رابطاً حياته بها؛ لأنها هي التي تقرر مصيره وقَدَره»[٣].

وإذا ما أحببت أن تغوص في بحر هذه المدرسة الفلسفية لتقف على أقوال رجالاتها عن كثب، فتزداد الأمور وضوحاً وجلاءً فإليك أقوالهم التي هي في

---

(١) **انكسمندر أو انكسمندريس**، صاحب طاليس، وقد يقال تلميذه تجوزاً، لا يعرف عن حياته إلا كونه أول من دون في الفلسفة كتاباً بعنوان (في الطبيعة)، قيل توفي سنة (٥٤٦ ق.م).

انظر: ((تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٥١).

(٢) **انكزمنيس أو انكسيمانس**، من ملطة وهي ميناء بحري يوناني في آسيا الوسطى، جعل الأرض لوحاً سابحاً في الفضاء، كان أول من أشار إلى أن القمر يستمد نوره من العالم، توفي سنة (٥٢٥ ق.م).

انظر: ((الموسوعة الفلسفية)) (ص ٦٣).

(٣) ((فكرة عن فلسفة سقراط)) (ص ١).

حقيقتها ومؤداها تعني إنكار الروح جملةً وتفصيلاً:

أما طاليس الذي يعدونه أول فلاسفة الدنيا، فقد أرجع أصل الأشياء ومبدأها إلى الماء الذي نشربه، جاء في «قصة الحضارة»: «كما أن بعض الأساطير اليونانية قد جعلت أقيانوس Oceanus والد الخلائق بأجمعها، فكذلك جعل طاليس الماء المبدأ الأول لجميع الأشياء، وشكلها الأصلي، ومصيرها النهائي»[١].

أما انكسمندر (انكسيمنس) فأرجع أصل الأشياء إلى الأبيرون، وقد اختلف المفسرون في معناها، أهي اللامحدود أو اللانهائي أو اللامتعين أو المبهم؟[٢].

وقد فسر أرسطو - وهو من هو - الأبيرون تفسيراً مادياً حيث وصفه بوصفين: «**الأول**: إنه مادة أو جسم، **والثاني**: إنه مختلف عن العناصر الأربعة»[٣]، يعني الماء والهواء والنار والتراب.

أما انكزمنيس (انكسيمانس) فقد أرجع أصل الأشياء إلى الهواء، ووصفه بأنه غير محدود وغير متناهٍ[٤].

فهؤلاء الثلاثة أرجعوا أصل الأشياء إلى الماء أو الأبيرون أو الهواء، وهناك من الماديين من غير هذه المدرسة - كما سيأتي - من أرجعه إلى النار، وهناك من جمع بين العناصر الأربعة في مقابلة هؤلاء الأحاديين.

ولا يظن ظان أن الإنسان يخرج عن هذه الأشياء، بل هو من جملتها وجزء أصيل منها، يجري عليه ما يجري عليها، وهذه نظرة الفلاسفة المتقدمين الذين

---

(١) ((قصة الحضارة)) (١٨٧١).

(٢) انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص ٥٢).

(٣) ((المصدر السابق)).

(٤) انظر: ((الموسوعة الفلسفية)) (ص ٦٣)، و((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص ٥٨).

شغلوا المرحلة الأولى من مراحل الفلسفة اليونانية، وفي هذا المعنى يقول «فروست Frost»: «إن كل الفلاسفة قبل سقراط قد اعتبروا أن الإنسان جزءٌ من الطبيعة، يخضع في تكوينه وفي نشأته لنفس الأسباب والقوانين التي تولدت عنها نشأة الطبيعة والكون»[١].

وهناك تعليلات لسبب اختيار هذه الماديات منفردة أو مجتمعة وجعلها أصلاً لجميع الموجودات، وكلها تكهنات وآراء قابلة للأخذ والرد عندهم مردودة عندنا معشر المسلمين، ولا حاجة كبيرة تدعو إلى استهلاك الوقت فيها، لكن المهم دلالة هذه الآراء على نفي الأمور المغيبة، ويظهر هذا جلياً بكل وضوح من النص الآنف المضاف إلى طاليس، ففيه أن الماء هو المبدأ والمصير النهائي للأشياء، وهذا يعني أنه لا قيامة ولا بعث ولا حساب ولا جزاء على الأعمال ولا جنة ولا نار.

ولا يفوتني التنبيه إلى أن طاليس لما تكلم عن مبدأ الأشياء، ذكر أن جميع الأشياء حية، وأن للنبات والمعدن والحيوان والإنسان نفساً خالدة، ففي «قصة الحضارة» أن طاليس كان يعتقد «أن كل جزء في العالم حي، وأن المادة والحياة وحدة لا ينفصل أحد جزأيها عن الآخر، وأن في النباتات والمعادن نفساً خالدة كما في الحيوان والإنسان، وأن القوة الحيوية تتغير صورتها ولكنها لا تموت أبداً»[٢].

فهل يؤخذ هذا القول على ظاهره؟

يعني هل طاليس كان يؤمن بوجود الروح كذات مستقلة عن البدن أم ماذا؟

والجواب ما ذكره عبدالرحمن بدوي في «ربيع الفكر اليوناني»: من أن قول طاليس بأن جميع الأشياء حية يجب أن لا يؤخذ على علاته؛ لأن طاليس لم يكن

---

(١) ((فكرة عن فلسفة سقراط)) (ص ٨).

(٢) ((قصة الحضارة)) (١٨٧١).

يؤمن بعد - أو هو على الأصح لم يكن يعرف بعد - أن هناك شيئاً اسمه الروح منفصلاً عن شيء اسمه المادة وحالاً بها.

فهذه الروح التي تصورها طاليس هي المادة نفسها، وليس الروح الكونية[1].

وأيضاً إذا كان الإنسان جزءً مِن كلٍّ في نظر طاليس والماديين، ويخضع لما يخضع له الكل في التكوين والنشأة التي ليس لها صلة بالله الخالق من منظورهم، فليس هناك قوة منفصلة عن هذا الكون يمكن تسميتها الله الخالق من منظور المسلمين، وبالأحرى ألاَّ يكون هناك قوةٌ منفصلةٌ عن الإنسان يمكن تسميتها الروح، إذ حُكْمُ الجزء حُكْمُ الكل.

وقد شرح «موكينغ Mocking» منطق الفلسفة الطبيعية فقال: «إن الفلسفة الطبيعية تنكر وجود أية قوة ما خارجة عن الطبيعة أو فوق الطبيعة، أو بمعنى عام تنكر أية قوة منفصلة عن الكون، ومنطق هذا النوع من الفلسفة يهدف إلى تفسير كل الأحداث الطبيعية بالنسبة إلى القوى المحركة التلقائية التي تنبعث في الكون دائماً وتحقق وجوده، فالظواهر الطبيعية تفسر نفسها بنفسها، حيث إن كل مظهر من مظاهرها هو سبب وفي الوقت نفسه سبب؛ لذلك فإن وجود الآلهة كقوى محركة، أو كقوى فوق الطبيعة شيء ينكره منطق هذه الفلسفة.

أما عن الإنسان فهو - طبقاً لهذه الفلسفة - جزء لا يتجزأ عن الطبيعة، وليس فيه ولا في قواه ولا في إمكانياته شيء يُفَسَّر بأسباب أخرى تخالف الأسباب الطبيعية التي أوجدت هذا الكون وتفسِّر أحداثه.

فإذا اعتقدنا بأن الروح الإنسانية هي قوة غير مادية، وأنها تتطلب لتفسيرها

---

(١) انظر: ((ربيع الفكر اليوناني)) (ص ٩٧).

منطقاً آخر غير منطق الطبيعة، فإن الفلسفة المادية حينذاك تنكر وجودها»[١].

وخلاصة القول: **إن فلاسفة اليونان الأوائل الذين يُسَمَّون بالماديين أو الطبيعيين ينكرون وجود الروح، ولا يؤمنون بها كحقيقة قائمة بذاتها، كما أنهم ينكرون الآخرة بكل تفاصيلها.**

ثم إن قولهم إن أصل الأشياء ومبتداها الماء أو الهواء أو غيرهما باطل، مخالف لما دلت عليه النصوص، فالإنسان مثلاً: حكى لنا القرآن أن أصله من التراب كما هو معلوم، ثم نُفِخَت فيه الروح بعد ذلك، وقد تقدم بسط الكلام في ذلك.

٢- المدرسة الفيثاغورية:

تُنْسَب المدرسة الفيثاغورية إلى مؤسسها فيثغورس[٢] وأتباعه هم الفيثاغوريون[٣].

وتقوم هذه المدرسة - فيما نحن بصدده - على الاعتقاد بوجود الروح وخلودها، لكنهم يخطئون في تصوراتهم عنها، وهم في ذلك خلط وخبط خالفوا به الأديان

---

(١) Mocking – types of phylosphy – p) (٤٣ – ٤٥). نقلًا عن محمد أمين المفتي في كتابه ((فكرة عن فلسفة سقراط)) (ص ٧).

(٢) **فيثاغورس بن منسارخوس**، ولد ما بين (٥٩٠ و٥٧٠ ق.م) في ساموس، تنسب إليه المدرسةالفيثاغورية، وهو أول من وضع لفظ الفلسفة، وأول من ربط الفلسفة بالرياضيات، اعتقد بالتناسخ، وكان يعيش مع أتباعه عيشة اشتراكية.
انظر: ((الموسوعة الفلسفية)) (ص ١٤٤)، و((تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي)) (١٤٩)، و((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص ٦٤).

(٣) **الفيثاغوريون**: جماعة من الفلاسفة الذين تزعمهم فيثاغورس في جنوب إيطاليا، وهم أتباعه الذين آمنوا بأفكاره، وهم واضعوا السلم الموسيقي، وأسماؤهم مجهولة نظراً للسرية الشديدة التي أحاطوا بها أنفسهم، وقد اشتغلوا بالرياضيات والفلك والموسيقى والطب، وكان التعليم عندهم سماعياً لا كتابياً.
انظر: ((الموسوعة الفلسفية)) (ص ١٤٤)، و((تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي)) (ص١٤٩)، و((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (٦٤ – ٦٥).

السماوية ابتدأ من تصورهم لمبدأ الروح وحتى الاعتقاد بمصيرها ونهايتها، وإليك جملة من أقوالهم وعقائدهم في الروح:

١- يعتقدون بأن العدد هو مبدأ الروح وأصل نشأتها:

لئن أرجع طائفة من الفلاسفة مبدأ الكون وأصل الأشياء إلى الماء أو الهواء أو النار أو غيرها، فقد أرجعه الفيثاغوريون إلى العدد!!

ولهم في ذلك فلسفة طويلة(١) انتهوا منها إلى أن العلة والحقيقة المفسرة

---

(١) فمن أفكار فيثاغورس كما أورد لاريس عن الكسندر: «**إن الوحدة هي مبدأ الأشياء. من الوحدة خرجت الاثنينية وهي مادة لا محدودة خاضعة للوحدة التي هي العلة**. من الوحدة الكاملة والاثنينية اللامحدودة خرجت الأعداد؛ من الأعداد خرجت النقاط؛ ومن النقاط الخطوط؛ ومن الخطوط المساحات؛ ومن المساحات الأحجام؛ **ومن الأحجام خرجت كل الأجسام التي تقع تحت حواسنا، وتصدر عن العناصر الأربعة: الماء والنار والتراب والهواء**. هذه العناصر تتحول بطرق مختلفة وبتحولها هذا تخلق العالم الذي هو حي وروحاني ودائري، ويحمل في وسطه الأرض التي هي مستديرة أيضاً ومسكونة على كل سطحها... الشمس والقمر والكواكب الأخرى كلها آلهة وذلك بسبب غلبة العنصر الحار فيها، هذا العنصر الذي هو مبدأ الحياة... **والناس من سلالة الآلهة؛ لأن لهم نصيبهم من العنصر الحار**، وبسبب هذه القرابة تهتم الآلهة بنا... إن الفضيلة انسجام، كالصحة والخير الكامل والألوهية».

انظر: ((الفكر اليوناني قبل أفلاطون)) (ص ٥٤).

ويتلخص رأيهم في الكون - كما يذكر شيخ الأزهر محمد عبدالرحمن بيصار - في قولهم: بأن أصل العالم هو العدد؛ لأنه أشبه بعالم الأعداد منه بعالم الماء أو النار أو الهواء وأن مبادئ الأعداد هي عناصر الموجودات عندهم؛ لأن الموجودات أعداد والعالم على هذا مركب من عدد ونغم، والموجودات ليست إلا محاكية لنماذجها الأولى اللازمة لها وهي الأعداد، وما يتصور من مفارقة بينها فإنما هي في الذهن فقط لا في الحقيقة والواقع ولا يمكن للأشياء عندهم أن يتمايز بعضها عن بعض إلا بالعدد، فالأطول لا يتميز عن الأقصر والأكبر لا يتميز عن الأصغر إلا بزيادة وحدات وعدد فقط لا بزيادة شيء خارج عن العدد إليه وبالعكس، والمنظم في الوجود لا يفضل غير المنظم إلا بوضع شيء معين بين وحداته حتى النغم الذي تتكون منه الفواصل الموسيقية لا يتميز عن غيره إلا بتناسب بين وحداته المختلفة تجعل من مجموعها صوتاً ونغماً يألفه السمع ويحن إليه الوجدان بدلاً من أن تنفر منه النفوس وتنبوا عنه الأسماع.

انظر: ((الفسلفة اليونانية مقدمات ومذاهب)) (ص ٥٠).

للموجودات ليست المادة ولكن العدد الذي يمكن أن نعبر عنه بالشكل الهندسي أي الصورة المرئية[١].

وبما أن الإنسان روحه وجسده بعض موجودات العالم، فلابد أن يكون نتاج الأعداد على مذهبهم، وإذا كانت الأعداد الرياضية هي أصل الأشياء - الحية والجامدة - وجوهرها، فلابد أن تدخل الروح في فلسفتهم، وقد كان ذلك فقالوا: «النفس اتفاق أو انسجام المتضادات الجسمية كالحار والبارد، والرطب والجاف إلخ... وهذا الانسجام يتولد عبر نِسَبٍ صحيحة من هذه المتضادات كما يحدث لأوتار القيثارة»[٢].

والنفس عندهم «هي من نوع الانسجام السبب وليس الانسجام النتيجة في نظرهم، إنها هي التي تخلق الانسجام بين المتضادات الجسمية، ويبقى هذا الانسجام ببقائها، ويختل بمغادرتها للجسد، إنها تمثل عنصر الخير في الإنسان بينما الجسد يمثل عنصر الشر، والنفس والجسد ضدان»[٣].

٢- اعتقادهم بأن النفس ثلاثة أقسام:

ففي مذهب فيثاغورس كما ورد في «قصة الحضارة» إن «النفس تنقسم أقساماً ثلاثة: الشعور واللقانة[٤] والعقل.

فالشعور مركزه القلب، واللقانة والعقل مركزهما المخ. وإن الشعور واللقانة من صفات الحيوان والإنسان على السواء، أما العقل فيختص به الإنسان وحده، وهو خالد لا يفنى»[٥].

---

(١) انظر: ((فيثاغورس فيلسوف علم الرياضيات)) (ص ٢٦).

(٢) ((الفكر اليوناني قبل أفلاطون)) (٥٤ – ٥٥).

(٣) ((المصدر السابق)) (ص ٥٥).

(٤) **اللقانة**: اللقن: الفهم. والاسم اللقانة. انظر: ((لسان العرب)) (١٣/ ٣٩٠ – ٣٩١).

(٥) ((قصة الحضارة)) (١٩٢٢).

٣- اعتقادهم ببقاء الأرواح بعد الموت:

إذ كانوا يعتقدون بخلودها وبانتشار الأرواح الحارسة في الهواء، وأن هذه الأرواح تزور الناس في الأحلام[١].

ويضيفون أن الأرواح بصفة عامة تسوح في الهواء من جهة إلى أخرى إلى أن تصادف جسماً - أياً كان - فتدخله[٢].

٤- يعتقدون بتناسخ الأرواح بعد التطهير في الجحيم:

في ابتداء الأمر أذكر بعض ما وقفتُ عليه من كلمات أو مواقف لفيثاغورس، وهي تبين كيف كان الرجل حريصاً على غرس عقيدة التناسخ ونشرها بين أتباعه، وهذه النصوص المأثورة عنه إذا ما وضعناها في ميزان النقد، وجدنا أنها لا تخرج عن الدجل والكذب الذي كان يمارسه الرجل، فهو يقول: «إن روحه تقمصت مرة جسم عاهر!! ومرة أخرى جسم البطل يوفوريوس»[٣].

ويقول مرة ما خلاصته: إنه كان في جسدٍ اسمه ايثاليديس، وأنه كان ابن عطارد من آلهة اليونان، وأنه انتقل من جسم ايثاليديس إلى جسم أوفوربه وكان حاضراً في حصار مدينة طروادة، وجَرَحه شخص اسمه مينلاس جرحاً شديداً.

ثم يذكر تنقله في عدة أشخاص، كنت أرجو لو كان هناك متسع من الوقت على تراجمهم ومعرفة أحوالهم، إذ قد يكشف ذلك سر اختيار فيثاغورس لتلك الشخصيات التي جعل آخرها الصياد يوروس، ثم انتقل منه إلى ذلك الجسم الذي هو فيثاغورس.

---

(١) انظر: ((الفكر اليوناني قبل أفلاطون)) (ص ٥٣).
(٢) انظر: ((فيثاغورس فيلسوف علم الرياضيات)) (ص ٥٤).
(٣) ((قصة الحضارة)) (١٩٢٢).

ثم يذكر بعض مشاهداته في أودية جهنم، حيث رأى روح الشاعر هزيودس مسلسلة في الأغلال، وروح هوميروس معلقة في شجرة تحيط بها الأفاعي، كما رأى أرواح الرجال الذين لا يحسنون العشرة مع نسائهم ويسيؤون في غاية العقاب في تلك الأودية إلى آخر ما يذكر من الدجل والكذب[١].

ومما يؤكد أن فيثاغورس عالم الرياضيات المشهور كان يصطنع الخيالات والأكاذيب لحمل الناس على تصديقه أنه «بنى له تحت الأرض حجرة صغيرة، وعندما أراد النزول فيها عاهد أمه أن تكتب مع التحقيق سائر ما يحصل في مدة غيبته، وسجن نفسه فيها سنة كاملة، ثم خرج منها نحيفاً أشعث أغبر في صورة مهولة، وجمع الناس وأخبرهم أنه كان في جهنم، ولأجل أن يحملهم على تصديقه شرع يذكر لهم ما حصل في مدة غيبته... إلخ»[٢]، والعهدة على الراوي.

وكان يستغل المواقف المؤثرة لتأكيد عقيدة التناسخ، حتى إنه سمع مرة عواء كلب يتألم من الضرب، فقام لإنقاذه، ولما سأله طلابه عن هذا الكلب، ولماذا أنقذه؟ قال: لقد عرفت من عواء الكلب أنه صوت صديق لي قد مات منذ فترة[٣].

وبعد هذه السياحة في مواقف مُنَظِّر القوم وهي ليست بالهينة، حيث تكوَّنت منها معتقدات أصبحت راسخة في أذهان الفيثاغوريين، وامتد أثرها فيما بعد ذلك أجيالاً وأجيالاً كما سيمر بحول الله وقوته.

فكان المعتقد الأكبر لتلكم المواقف: اعتقاد الفيثاغوريين بتناسخ الأرواح البشرية بعد التطهير في الجحيم، وفي ذلك يقولون: «تمر النفس بعد الموت بفترة

---

(١) انظر: ((فيثاغورس فيلسوف علم الرياضيات)) (٣٩ – ٤٠).
(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ٤٠).
(٣) ((المصدر السابق)) (ص ٤٦).

من التطهير في الجحيم **Hades** تعود بعدها إلى الأرض وتدخل في جسم جديد، ثم جسم آخر، وتمر في سلسلة من التناسخ»[١].

إذن الجحيم أولاً ثم التناسخ ثانياً، هذه خطوات سير الروح بعد فراق الجسد، فإذا ما سألتَ: أينتهي التناسخ؟ أله حد؟ أجابوا: «لا ينتهي إلا إذا كان صاحبه قد حيا حياة فاضلة منزهة عن الرذائل بأجمعها»[٢] فعندئذ ترتقي روحه إلى حياة أعلى بدلاً من تناسخها في الأبدان[٣].

٥- يعتقدون بأن طريق الخلاص من عجلة الميلاد يكون بالفضيلة:

فإن «القصد من الحياة في النظام الفيثاغوري: أن تُخَلَّص من التقمص، والسبيل إلى ذلك هو الفضيلة، والفضيلة هي ائتلاف الروح مع نفسها ومع الله»[٤].

ويكون ذلك إضافة إلى الزهد بالاشتغال بالعلم الرياضي والموسيقي حتى تطهر النفس من أدران الجسد[٥]، فترتقي إلى حياة أعلى ويبطل تناسخها[٦].

تنبيه:

وبقي أن أنبه – في ختام عقائد المدرسة الفيثاغورية - إلى أن التناسخ عند الفيثاغوريين مطلق وغير منظم، بمعنى أن الروح بعد فراقها البدن على حد زعمهم تدخل أول جسد يصادفها سواءً أكان إنساناً أم حيواناً أم طائراً أم حشرة أم غيرها من الأجسام الحية.

---

(١) ((قصة الحضارة)) (١٩٢٢).

(٢) ((المصدر السابق)).

(٣) انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص ٦٦).

(٤) ((قصة الحضارة)) (١٩٢٢).

(٥) انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص ١٦٦)، و((الفكر اليوناني قبل أفلاطون)) (ص ٥٣).

(٦) انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص ٦٦).

وفي هذا يقولون: «إذا خرجت الروح من جسد الإنسان فيتفق أن تدخل في جسم فرس أو ذئب أو حمار أو فأر أو طائر أو سمكة... كما يتفق أن تدخل في جسد إنسان أيضاً من غير فرق، كما أنها إذا خرجت من جسم أي حيوان تدخل في جسم إنسان أو في جسم حيوان.

فلذلك كان فيثاغورس يشدد في منع أكل الحيوانات، ويزعم أن ذنب من قتل الذبابة أو الزنبور... مثل ذنب الذي يقتل إنساناً، حيث إن سائر الأرواح واحدة متنقلة في جميع الحيوانات»[١].

فالشاهد من هذا النص أن التناسخ عندهم عشوائي، وهم بهذا يخالفون بعض التناسخية في تصوراتهم للتناسخ أو التقمص إذا ما رُمْتَ المقارنة بينهم وبين غيرهم، فالروح عند الفيثاغوريين وما يحالفها من الحظ، ولا أدري كيف كان فيثاغورس موفقاً في حظه غالباً كما تقدم!!

وخلاصة القول:

إن المدرسة الفيثاغورية تؤمن بوجود الروح، وبأن مادتها وأصلها العدد، وبأنها ذات مستقلة عن البدن، كما تؤمن بخلودها، وبأنها تُعذَّب بالجحيم، وتتناسخ في الأجسام الحية، وتتحرر منه بالفضيلة.

ثم إذا ما رجعت إلى فصول الرسالة الأولى علمت أنهم قد أخطأوا في تصوراتهم في الجملة، وأن حقيقة مذهبهم إنكار الآخرة والبعث والجزاء.

٣- هرقليطس[٢]:

ترجع أهمية هيرقليطس من حيث تأثيره في كل المذاهب مادية كانت أو مثالية،

---

(١) ((فيثاغورس فيلسوف علم الرياضيات)) (ص ٣٩).

(٢) **هرقليطس** أحد الفلاسفة المميزين، ولد في مدينة أفسوس من أسرة عريقة ضاربة في النبل، كان =

إلحادية كانت أو دينية[١]، وكان مستقلًا لم ينتمِ إلى مدرسة معينة[٢].

وقد جعل هرقليطس النار أصل الأشياء ومبدأها، تاركاً ماء طاليس وهواء انكسيمانس، فهو يرى «أن النار هي أصل الكون والمبدأ الأول الذي تصدر عنه جميع الأشياء وإليه تعود... والنار المقصودة هنا ليست النار المُدْرَكة بالحس، بل النار الإلهية، وهي نار أثيرية لطيفة جداً، حية عاقلة أزلية أبدية تملأ العالم، لكن عندما يعتريها الوهن تصير ناراً حسيةً، ويتكثف بعض النار فيصير بحراً، ويتكثف بعض البحر فيصير أرضاً، وترتفع من البحر والأرض أبخرة رطبة تتراكم سحباً فتلتهب وتتقدح منها البروق وتعود ناراً، أو تنطفئ هذه السحب فتكون العاصفة وتعود النار إلى البحر.

فكل شيء يخرج من النار وإلى النار يعود، ومهما تنوعت الكائنات فقد صدرت عن أصل واحد هو النار، ولها مرجع واحد هو النار»[٣].

إذاً فأصل الأشياء -ومنها الروح- من تلكم النار الإلهية التي تتحول بالوهن إلى حسية تتكثف متحوِّلة إلى البحر وهو إلى الأرض وهما يصدران أبخرة تلتهب فتكون ناراً أو تنطفئ فتعود إلى البحر، وهكذا تكون في صيرورة مستمرة.

عقيدة هرقليطس في الروح:

وقد وقفتُ من خلال فلسفة هرقليطس وما كُتِبَ عنه على بعض آرائه في

= يتصف بالصلافة والكبرياء، فالناس عنده أنعاماً وكلاباً، شغل منصب الكاهن الأعظم في معبد أرطميس، من مصنفاته: في الكل، توفي فيما بين (٥٤٠ – ٤٧٥ ق.م).
انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي)) (ص ١٢٣)، ((وتاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص١٠١)، و((الفكر اليوناني قبل أفلاطون)) (ص ٥٩).

(١) انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي)) (ص ١٢٣).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ١٤٥).

(٣) ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص ١٠٣).

الروح، وما يتصل بها، لعل أبرزها:

١- أن الإنسان ثلاثي التركيب:

فعنده أن الإنسان «يتركب من نار وماء وتراب. والنار هي حياة الإنسان، إذ حين تغادر النار (الروح) الجسد فإن التراب والماء لا يساويان شيئاً»[١].

٢- أن الروح صدرت من أصل رطب:

يرى «أن الروح من أصل رطب، وأنها تبخرت من شيء رطب، وهي إن شابهت الموجودات بتغيرها الدائم في طريقين صاعد ونازل فإن لها خصائصها الذاتية، باعتبارها أقل الأشياء جسمانية»[٢].

٣- الروح في ذاتها نار، وهي مدبرة البدن:

ذلك أن النار هي الينبوع الأوحد للحياة، تخرج من القلب حيث مقرها، وتتفرق في العضلات والأعضاء، وتبث فيها النشاط والحركة، وما النفس التي هي مبدأ الحياة سوى قبس من النار الإلهية تدبر البدن كما تدبر النار العالم[٣].

وفي عبارة أكثر وضوحاً يقول: «إن النفس أو الروح تشبه جمرة موقدة انفصلت عن النار الأولى التي هي أصل الكون، ثم دخلت الجسم فأكسبته الحياة، ومادامت هذه الجمرة موقدة بقي الجسم حياً سليماً، وإذا دب إليها الضعف حدث المرض، وإذا خمدت جملةً حدث الموت»[٤].

٤- الروح ذاتية الحركة مُدركة لوجودها:

أي أن حركتها تلقائية، وليست بفعل قوة خارجية، فإن لها مبدأها الخاص في

---

(١) ((فيثاغورس)) (ص ١٠٧).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (ص ١٠٨).

(٣) انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص ١٠٣).

(٤) ((دراسات في الفلسفة الإسلامية)) (ص ٢٥).

النمو، تماماً كما تنتشر النار من مستصغر الشرر، ولها خاصية الوجود مع إدراكها لوجودها[١].

٥ - تموت الروح إذا أصبحت ماءً أو ناراً:

وتفسير ذلك أن للروح طريقين في الحركة: أحدهما صاعد والآخر هابط بالتبادل، فالنار تصبح ماءً ثم الماء تراباً، ولما كانت العملية الأخرى (الطريق الصاعد) تتم في الوقت نفسه تبدو الروح كسائر الأشياء دون تغير.

إذاً: العمليتان الصاعدة والنازلة تتمان بانتظام، لكن الإنسان عرضة للتذبذب بين النار والماء، كلٌّ يطلب السيطرة والغلبة، وفي غلبة أحدهما يكمن الموت، فموت الأرواح أن تصبح ناراً أو ماءً[٢].

إلا أن هرقليطس لا يفرق بين الحياة والموت، فعنده أن «الحياة والموت شيء واحد، كذلك اليقظة والنوم، والشباب والشيخوخة؛ لأن هذه الأضداد كلها مراحل في حركة متقلبة، ولحظات في النار الدائمة التغير...»[٣]. وعليه فالموت بداية كما هو نهاية، والمولد نهاية كما هو بداية[٤]، وفي موت إنسان ميلاد آخر، وهكذا يتبادل الأحياء والأموات مراكزهم[٥].

٦- اعتقاده بحياة أخرى بعد الموت:

كان هيرقليطس يؤمن بحياة أخرى، فليست حياته في هذه الدنيا هي نهاية المطاف، فهو يرى أن الإنسان عندما يموت يجد أشياءً لم يكن يتوقعها ولو في

---

(١) انظر: ((فيثاغورس)) (ص ١٠٨).
(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (١٠٨ – ١٠٩).
(٣) ((قصة الحضارة)) (١٨٨٦).
(٤) انظر: ((المصدر السابق)) (١٨٨٨).
(٥) انظر: ((فيثاغورس)) (ص ١٠٩).

الأحلام، ويرى أن الأرواح تنهض في الجحيم وتقوم على حراسة الأحياء والأموات[١].

وإذا كان الأمر كذلك فهل كان هرقليطس يعتقد بخلود الروح؟

يذكر الدكتور مصطفى غالب أن أغلب مَنْ كَتَبَ عن هرقليطس يعتقد أنه ينكر خلود الروح، وأنه يقول بالتغير المستمر والسيلان الدائم، وإذا ما تحدَّث عن الآلهة باعتبارهم قانوناً يقول: «كل خالد فانٍ، وكل خالد في موت، أحدهما حياة الآخر، وفي حياة أحدهما موت الآخر، والخالد صفة للإله بالقدر الذي يوصف الإنسان بالفناء»[٢].

هذه عقيدة هرقليطس في الروح، وهي كما ترى عقيدة مشوهة لا تختلف عن سابقاتها، وبما أنه قال بأن أصل الأشياء النار ومنها الروح، فإنه ينضم إلى قافلة الماديين الأُوَل أصحاب المدرسة الإيولية.

٤ - المدرسة الذرية[٣]:

ضمت هذه المدرسة العديد من الفلاسفة الذريين، وكان من أشهرهم ديمقريطس[٤]، وترجع أهمية هذه المدرسة إلى أنها أكدت أن العالم مكون من

---

(١) انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي)) (ص ١٤٣).

(٢) ((فيثاغورس)) (ص ١١١).

(٣) **المدرسة الذرية**: تنسب إلى لوقيبوس وديمقريطس، فالأول قررها، والثاني أحكم صياغتها، ومفادها أن العالم مكون من الذرات.
انظر: ((الموسوعة الفلسفية)) (ص ١٠٢)، و((الفلسفة اليونانية من منظور شرقي)) (ص ٣٩٥).

(٤) **ديمقريطس** من أعلام المدرسة الذرية البارزين، عاش في القرن الخامس قبل الميلاد، كان أعلم أهل زمانه، ألف زهاء خمسين عنواناً في الطبيعة وعلم النفس والطب والنبات والموسيقى والرياضة والفلك وغيرها.
انظر: ((الموسوعة الفلسفية)) (ص ١٠٠)، و((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (١٢١ - ١٢٢).

ذرات، ذلك التفسير الذي لو قُدِّر له أن ينتشر ويلقى الاهتمام لكان تاريخ العلم قد تغير، ولاختصر العلماء قروناً عدة كانت النظرية العنصرية هي السائدة فيها إلى أن استطاع الذريون المحدثون من إحياء ذلك التفسير القديم وتطويره، وهانحن نعيش منذ ذلك الحين عصر الذرة، حيث تدور النظريات الفيزيائية حول الذرة ومكوناتها... إلخ[١].

وينحصر المذهب الذري - فيما نحن بصدده - في النقاط الآتية:

١ - أن خلق الإنسان كان نتيجة التولد الذاتي:

فالذريون القدماء يرون «أن الحياة ظهرت على الأرض... نتيجة التولد الذاتي، فقد تابع ديمقريطس الكسيمندر وآخرين في الاعتقاد بأن الحيوانات بما فيها الإنسان قد تولدت تلقائياً من الطين أو الوحل الطبيعي، مثلها في ذلك مثل الديدان التي نشأت من الأرض تلقائياً بدون خلق وبدون غائية معينة»[٢]!!

هذا ما يتعلق بالجسد.

٢- أن الروح هي علة حياة الكائنات:

فالنفس عندهم مبدأ عام للحياة؛ ولذا فهي علة حياة سائر الكائنات النباتية والحيوانية[٣].

٣- طبيعة الروح مادية جسمانية:

فالذرات الدقيقة جداً هي التي تشكل النفس، هذا ما نادى به ديموقريطس[٤]، فهو «يزعم أن النفس تتألف من ذرات مستديرة دقيقة سريعة الحركة كتلك التي تشكل النار، تنتشر في الهواء وتتغلغل منه إلى الجسم كله، وتتجدد بالنفس،

---

(١) انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي)) (ص ٢٩٥).

(٢) ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) من منظور شرقي (ص ٣٠٦).

(٣) انظر: ((المصدر السابق)) من منظور شرقي (ص ٣٠٦).

(٤) انظر: ((مذاهب علم النفس)) (ص ٣٤).

وتكثر في أعضاء الحس والقلب والكبد، فتكون أساس الحياة والإدراك الحسي والفكر»[١].

٤- البقاء والفناء مرتبطان بالذرات وجوداً وعدماً:

فمادامت الذرات متوفرة كلها في الجسم استمر النمو والشعور، وبتحلل أجزائها يكون المرض، وبفقد قسم منها يحدث النوم واللاشعور، وإذا ذهبت وتفرقت جميعاً حل الموت[٢].

٥- الاعتقاد بفناء الروح وإنكار الآخرة:

يعتقد الذريون بفناء الروح وعدم خلودها؛ لأنها مادية جسمانية كالبدن[٣]، كما ينكرون الحياة الآخرة ولا يؤمنون بها[٤].

هذا جملة ما يعتقده الذريون، وهم بهذا ينضمون إلى قافلة الماديين المتقدم ذكرهم.

المرحلة الثانية: يمثل هذه المرحلة التي ازدهرت فيها الفلسفة ثلاثة من كبار الفلاسفة الذين سجلهم التاريخ، وهم: سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وهم أعمق فلاسفة اليونان الإلهيين الذين خاضوا في الروح، وامتد أثرهم على مَنْ بعدهم من الفلاسفة عدة قرون متوالية.

يقول أحمد عبدالغفور عطار: «لمدرسة أثينا في اللاهوت مكانة مرموقة في فلسفة اليونان، وأقطابها ثلاثة: سقراط، وأفلاطون، وأرسطو، وهم يمثلون كل

---

(١) ((نحو رؤية جديدة فيما وراء الطبيعة)) (ص ٥٤).

(٢) ((المصدر السابق))، و((دراسات في الفلسفة الإسلامية)) (ص ٢٥).

(٣) انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي)) (ص ٣٠٧).

(٤) انظر: ((الموسوعة الفلسفية)) (ص ١٠٢).

جوانب الفلسفة في عصرهم، بل هم مشعلها المضيء الذي لم ينطفئ حتى اليوم»[١].

فإلى شيء من أبرز أقوال هؤلاء الفلاسفة على التوالي:

أولاً: سقراط[٢]:

ترجع أهمية سقراط إلى أن فلسفته كانت حجر الأساس لفلسفتَي أفلاطون وأرسطو[٣]، وهو الذي ابتكر مفهوم الروح الذي ظل منذ ذلك الحين يسيطر على الفكر الأوربي على مدى ألفين ونيف من السنين[٤]، ويكفيه أن اسمه شَطَرَ الفلسفة اليونانية شطرين، ما قبله وما بعده[٥]، بل قد «وضعه كارل يسبرز (الفيلسوف الألماني المعاصر) في رأس رباعية العظماء الذين حققوا المدى الأسمى للإنسان، وهم:

سقراط، وبوذا، وكونفوشيوس، والسيد المسيح»[٦][٧]. وكانت قاعدته التي انطلق منها في سيرته وتعليمه: (اعرف نفسك بنفسك).

ففي هذه الجملة التي وجدها مكتوبة في معبد «دلف» والتي اتخذها شعاراً له... فيها تلخيصٌ لفلسفته، فقد كان يعتقد أن هذه الجملة لم تُدَوَّن عبثاً، ولكن لحكمة، ذلك أن معرفة الإنسان لنفسه ليس معناها معرفته لجسمه بل لذلك

---

(١) ((الديانات والعقائد)) (١/ ٤٠٠).

(٢) **فيلسوف يوناني من أثينا**، وهو آخر السفطائين شاركهم في الاهتمام بالإنسان وحده، وبالمجادلة عن الآراء، ثم خالفهم، من بين تلاميذه: أفلاطون وإقليس، وعرفت عقيدته عن طريق أفلاطون وأرسطو، أعدم بشرب السم عام (٣٩٩ ق.م).
انظر: ((موسوعة الفلسفة)) (١١٣ – ١١٤).

(٣) انظر: ((الفلسفة اليونانية، مقدمات ومذاهب)) (ص ٦٤).

(٤) انظر: ((سقراط الفرد)) (ص ١٠٩).

(٥) انظر: ((الفلسفة اليونانية، مقدمات ومذاهب)) (ص ٦٥).

(٦) ((سقراط أمجد الفلاسفة)) (ص ٥).

(٧) لا أدري هل اطلع كارل يسبرز على الإسلام – أعني محمداً ﷺ أم لا؟ إذ ربما لو حدث ذلك مع التجرد والإنصاف لكانت له نظرة أخرى حيال ذلك الترتيب. وهذا يذكرني بالدكتور مايكل هارت إذ حالفه الحظ في كتابة «المائة الأوائل» لما جعل محمداً ﷺ في رأس القائمة.

العنصر الإلهي الذي يوجَد في أعماق وجوده، إن حقيقة الإنسان هي نفسه التي تحوي العقل الذي يطلق عليه سقراط أحياناً اسم (ظل الله) أي أن الإنسان إذا فحص نفسه اهتدى بها إلى الله، وهي المعرفة الأولى التي يجب تحصيلها قبل كل معرفة؛ لأنها هي التي تتيح للإنسان معرفة الفضيلة والسعادة، والوقوف على حقائق الأشياء الأخرى[1].

وأعتقد -والعلم عند الله- أن ذلكم النص الذي اكتحلت به عين سقراط في معبد دلفي (إله الحكمة في زعمهم) وانتقش في فؤاده، هو الشرارة التي قدحت في نفسه فلسفته الروحية، دون إغفال للمؤثرات الفكرية الأخرى، ولعل من أبرز ما أُثِرَ عنه في مسألة الروح وما يتعلق بها:

١- إثباته وجود الروح، واختلافها عن البدن الذي تشكل معه الإنسان:

فقد حاول البرهنة على وجودها واستقلالها عن البدن في حوار له طويل مع «السيبياد» الذي كان يطمح إلى الحكم ليصلح ما فسد من أمر المدينة، وقد نقل أفلاطون هذا الحوار الذي كان سقراط يسأل فيه السيبياد أسئلة يتدرج فيها ليصل في النهاية إلى إثبات الروح ومغايرتها للبدن، فهو يقول للسيبياد مثلاً:

أليس سقراط هو الذي يتكلم؟ أليس السيبياد هو الذي يسمع؟ ألا يستخدم سقراط اللغة في الكلام؟

وكان السيبياد يجيب بـ:نعم.

ثم يسترسل في الأسئلة فيقول:

---

(١) انظر: ((سقراط رائد فلاسفة اليونان)) (٥٢ – ٥٣)، و((قادة الفكر)) (٥٨ – ٥٩).

هل من الممكن أن يفرق المرء بين الشخص الذي يستخدم الآلة، وبين الآلة التي يستخدمها؟

ثم يسأل: ألا يستخدم الإنسان جسمه بأكمله؟ وقد اتفقنا على أن الذي يستخدم شيئاً يختلف عن هذا الشيء الذي يستخدمه؟

فيجيب السيبياد بـ:نعم.

عندئذ يقرر سقراط النتيجة التي يريد أن يصل إليها فيقول: ألا يترتب على هذا أن الإنسان شيء آخر غير جسمه؟

فيجيب السيبياد: يبدو لي أن الأمر كذلك.

ثم يسأل سقراط: أليس من الممكن أن يفرق المرء بين ثلاثة كائنات: النفس والبدن والكل الذي ينشأ بسبب اتصالها؟

فيجيب السيبياد: دون ريب[١].

فمن خلال هذا الحوار الهادئ يصل سقراط إلى إثبات أن الروح حقيقة موجودة، وأنها مغايرة للبدن، وهي بالإضافة إليه يشكلان الهيكل المتحرك الذي يعرف بالإنسان.

٢- تعريف الروح بالجسمية:

يرى سقرط أن الروح جسم حالٌّ في الهيكل حلول الدهن في السمسم وماء الورد[٢].

---

(١) الحوار ذكره الدكتور فاروق عبدالمعطي في كتابه: ((سقراط رائد فلاسفة اليونان)) (٥٣ – ٦٠)، فيما يزيد على ست صفحات، وقد اختصرته تارة بالدمج وتارة بالقفز بين سقراط والسيبياد.

(٢) ((الإيمان والروح)) (ص ٧٨).

٣ - مصدر الروح إلهي وهو يمثل الجانب العاقل من الإنسان:

كان سقراط يؤمن «بأن النفس الإنسانية هي الهبة الإلهية التي أودعها الإله في الإنسان، وأن ماهيتها هو العقل، فالعقل هو تلك الهبة الإلهية القادرة على التمييز بين الصواب والخطأ، وبين الحق والباطل»[١].

٤- اعتقاده بقِدَم الروح:

قال الشهرستاني: «من مذهب سقراط أن النفوس الإنسانية كانت موجودة قبل الأبدان على نحو من أنحاء الوجود، إما متصلة بكلها، وإما متمايزة بذواتها وخواصها، فاتصلت بالأبدان استكمالاً واستدامة، والأبدان قوالبها وآلاتها، فتبطل الأبدان، وترجع النفوس إلى كليتها»[٢].

٥- اعتقاده بخلود الروح وبقائها:

فعندما حُكِم عليه بالموت أعلن لاثنين من أتباعه قائلاً: «إني أعترف أنه لولا اعتقادي أني سوف أذهب أولاً نحو آلهة أخرى حليمة ورحيمة، ثم بعد ذلك نحو رجال ماتوا هم أفضل من رجال هذه الحياة الدنيا!! لكان من الخطأ الفاحش ألا تثور نفسي ضد الموت...»[٣]. وهذه المحاورة رواها أفلاطون عن سقراط في محاورة فيدون[٤].

ومما جاء في محاورة فيدون لما قُدِّم السم إلى سقراط ليحتسيه قوله: «بعد أن أكون قد شربت السم، لن أبقى بينكم بل سأذهب راحلاً إلى نعيم السعداء... إنني لن أبقى بعد أن أموت بل سأذهب راحلاً... يجب إذاً أن تتشجع، وأن تقول:

---

(١) ((تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي)) (٢/ ١٣٢).

(٢) ((الملل والنحل)) (٢/ ٤٠٤).

(٣) انظر: ((أضواء علمية على العالم الآخر)) (ص ٢٦).

(٤) انظر: ((مطول الإنسان روح لا جسد)) (١/ ١١٧).

إن الذي تدفنه إنما هو جسدي...»(١).

فمن النصين يظهر معتقد سقراط بالخلود وبقاء الروح بعد الموت، بل ويعتقد أنه سيجد أمامه في رحلته النعيم والسعادة مع آخرين.

ثم يؤكد اختلاف الروح عن الجسد، بأن المدفون هو الجسد وهو الجانب المادي في الإنسان، أما الروح وهي الجانب الإلهي فقد انطلقت وتحررت من الجسد إلى عالمها.

٦- العلاقة بين الروح والجسد وتميز الإنسان بهما:

جاء في بعض الكتب المترجمة لثيوكاريس أن سقراط يُعَدُّ «الفيلسوف الإغريقي الأول الذي عرض بوضوح مسألة العلاقة بين الروح والجسد»(٢).

ثم يسترسل ويذكر أن سقراط كان يقدر الروح والجسد على أنهما جزآن متقابلان من الإنسان الحي الكامل، لكنهما مختلفان يتباين أحدهما عن الآخر.

فالروح عند سقراط تنتشر فينا، لكنها تعصى على أبصارنا، وهي تحكم غطاءنا الجسدي، وفيها يكمن العقل الذي يقود جسدنا بل وكل أعمالنا؛ لأن الفضيلة معرفة، وهي سلوك أخلاقي، وليس سلوك جسد، بل سلوك روح عاقلة.

ومن الروح ينبثق العقل، والاعتدال، ورباطة الجأش، وبمقدار ما تظل الروح رئيسة الجسد والأهواء يبقى الإنسان كائناً أخلاقياً، لكنه لا يعود كذلك عندما تسود الأهواء ورغبات الحواس، وتُجْبَر الروح على الخضوع لها، إذ ذاك يصبح عبداً لأهوائه، ويُذِلُّ بطريقة مخزية جسده وروحه»(٣).

---

(١) ((فيدون)) (٢٢٣ - ٢٢٤).

(٢) ((سقراط ثيوكاريس)) (ص ٢٥٥).

(٣) انظر: ((سقراط ثوكاريس)) (٢٥٥ - ٢٥٦).

وإذا كان سقراط ينظر إلى الروح على أنها بهذه المرتبة الرفيعة، ويجعلها الرئيس على الجسد، فهل يعني هذا أنه يهمل الجسد ولا يلتفت إليه؟

والجواب: **أن سقراط لم يهمل الجسد، فكان ينصح بالاعتدال في المأكل والمشرب، لكنه كان يضع على الدوام العناية بالروح في مرتبة أعلى من الجسد، فالقيم الأخلاقية وسمو الروح هي فوق مستوى الفضائل المادية ورغبات الحواس**[1].

وعند سقراط أن الإنسان يتميز عن غيره من المخلوقات بالروح والجسد لا بأحدها دون الآخر، فيقول: «أليس بدهياً بالنسبة إليك أن الناس يعيشون كما الآلهة بين الكائنات الأخرى، هي أرفع منزلة بطبيعة جسمها وروحها؟

إذا كان للإنسان مثلاً جسم بقرة وعقل رجل، فهو لا يستطيع أن يفعل ما يريد، كذلك حيوانات تملك أيدياً لكنها محرومة من العقل، لا تجد نفسها في ذلك في وضع أفضل»[2].

٧- اعتقاده بتناسخ الأرواح:

لقد وجد هذا المعتقد سبيله إلى فلسفة سقراط، حيث قال كما يذكر البيروني[3] عنه في «تحقيق ما للهند من مقولة»: «نحن نذكر في أقاويل القدماء أن الأنفس تصير من هاهنا إلى «أيذس»، ثم تصير أيضاً إلى ما هاهنا، وتكون الأحياء من

---

(١) انظر: ((سقراط ثوكاريس)) (ص ٢٥٦).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٢٦٠).

(٣) **محمد بن أحمد أبو الريحان البيروني**، درس الثقافة واللغة الهندية، وكان فيلسوفاً مؤرخاً جغرافياً لغوياً رياضياً فلكياً شاعراً وعالماً طبيعياً، من مصنفاته: الآثار الباقية، والقانون المسعودي، توفي سنة (٤٤٢هـ).

انظر: ((الموسوعة الفلسفية)) (٧٨ – ٧٩).

الموتى والأشياء تكون من الأضداد، فالذين ماتوا يكونون في الأحياء، فأنفسنا في «أيذس» قائمة، ونفس كل إنسان تفرح وتحزن للشيء، وترى ذلك الشيء بها، وهذا الانفعال يربطها بالجسد ويسمِّرها به ويصيرها جسدية الصورة.

والتي لا تكون نقية لا يمكن أن تصير إلى «أيذس»، بل تخرج من الجسد وهي مملوءة منه حتى إنها تقع في جسد آخر سريعاً، فكأنها تُودَع فيه وتثبت؛ ولذلك لا حظَّ لها في الكينونة مع الجوهر الإلهي النقي الواحد»[١].

ثانياً: أفلاطون[٢]:

ترجع أهمية أفلاطون إلى كونه أحد أقطاب الفلسفة الثلاثة الذين يمثلون جميع جوانب الفلسفة في عصرهم، وامتد أثرهم حتى اليوم كما تقدمت الإشارة إلى ذلك قبل صفحات.

وترجع أهميته في موضوع النفس على وجه الخصوص إلى البراهين العقلية التي جاء بها لإثبات خلود النفس، والتي فاق بها النظريات السابقة، سواءً أكانت شرقية أم يونانية[٣].

وأيضاً فهو صاحب أول مذهب فلسفي متكامل عالج فيه كل قضايا الإنسان ومشكلات تفسير الطبيعة من خلال فكرته الأصلية (المثال) والتمييز بين عالم الأشياء وعالم المُثُل[٤].

---

(١) ((تحقيق ما للهند من مقولة)) (٤٣ – ٤٤).

(٢) **أفلاطون بن أريستون وبركيتوني**، كان شاعراً، وكرس معظم حياته للدرس والنظر والتعليم، يعد مؤسس المثالية الموضوعية، ومن خصائصه الجدل المنسق، من مصنفاته: الدفاع، وفيدون، توفي سنة ٣٤٧ ق.م.

انظر: ((الموسوعة الفلسفية)) (٥٤ – ٥٥)، و((أفلاطون (محمد كامل))) (ص ٦٤).

(٣) انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي)) (٢/ ٢٤٦).

(٤) انظر: ((مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان)) (ص ٨٧).

وقد امتد أثره على الفكر الإنساني منذ العصر اليوناني، وطوال العصر الوسيط، وحتى العصر الحديث[١]. ولعل هذا ما حدا ببعض المعاصرين أن يقول عنه: «إن تاريخ الفلسفة ما هو إلا مجرد هوامش على فلسفة أفلاطون»[٢].

❑ عقيدة أفلاطون في الروح:

وأفلاطون من الفلاسفة الإلهيين الذين أفاضوا في الكلام عن الروح، وله فيها آراء كثيرة كان من أبرزها:

١ - اعتقاده بوجود الروح، وأنها حقيقة مخالفة للبدن:

فحديثه عن الروح بجوانبها المختلفة دليل اعتقاده بوجودها، وكان ينظر إليها على أنها جوهر مغاير للبدن، وعليه فإن «الإنسان عند أفلاطون مؤلف من جوهرين أحدهما منسوب إلى عالم المثال، وهو النفس، والآخر منسوب إلى عالم الحس، وهو البدن»[٣].

وقد انطلق في تصوره للطبيعة البشرية من تصوره للكون، فكما أن الكون يتكون من عالم الروح وعالم المادة، فكذا طبيعة الإنسان تتكون من العقل (الروح) والمادة (الجسم)[٤].

وعليه فالإنسان ثنائي التركيب كما قال به جمع من الفلاسفة.

٢- يعرِّف الروح بأنها جوهر روحاني غير مادي:

مذهب أفلاطون في حد الروح مذهب مثالي؛ لأنه مايز بين الروح والجسد، فجعلها جوهراً روحانياً غير جسدي، فهو يقول في تعريفها كما في الجمهورية

---

(١) انظر: ((مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان)) (ص ٨٧).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٨٨).

(٣) ((تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٤٤).

(٤) انظر: ((أسرار الوجود وانعكاساته التربوية)) (ص ٢٨١).

بأنها: «الجوهر الشفاف السجين في الجسم»[١].

ويحكي له الدكتور كامل حمود تعريفاً آخر مقارباً حيث قال: «عرف أفلاطون النفس بأنها جوهر روحاني قائم بذاته»[٢].

وهذا يعني استقلاليتها عن الجسد وعدم احتياجها له، والعكس بالنسبة للجسد.

٣- اعتقاده أن أصل الروح إلهي من عالم المثل:

يؤمن أفلاطون بالأصل الإلهي للروح[٣]، وأنها تنتمي إلى عالم المُثُل، حيث كانت تعيش سعيدة مطمئنة، تطوف هذا العالم مع الآلهة، ولكنها لذنب اقترفته عوقبت، فأُهبِطَت إلى عالم المادة – يعني عالم الجسد – وسُجِنَت فيه، وهي تحاول جاهدة الإياب والعودة إلى عالمها الحقيقي[٤].

وقد استخدم أفلاطون الأساطير للبرهنة على أصل النفس ومصيرها، أو لبيان الوسائل التي تستخدمها للانتقال من عالمها الأرضي إلى عالمها السماوي، وأهم أساطيره المتعلقة بالنفس ثلاث هي: أسطورة الكهف، وأسطورة البامفيلي، وأسطورة العربة[٥].

٤- اعتقاده بوحدة الروح وتعدد قواها:

النفس عند أفلاطون واحدة في ماهيتها وجوهرها، لكن بدخولها (السجن) الجسد،

---

(١) ((جمهورية أفلاطون)) (ص ١٣٤).

(٢) ((دراسات في تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٣٤).

(٣) انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي)) (٢/ ٢٣٦).

(٤) انظر: ((المنهج في تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٣٨)، و((الوافي في تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٢٩).

(٥) انظر: ((دراسات في الفلسفة الإسلامية)) (٢٦ – ٤٠).

تنقسم حسب أجزاء هذا الجسد إلى ثلاثة أقسام أو قوى تؤدي وظائفها[١].

وهذه القوى على الإجمال هي: القوة الشهوانية، والغضبية، والعاقلة، وهي تشكل وحدة وإن ظهرت متعددة.

ويمكن اختصار الكلام حول هذه الأقسام الثلاثة، والتمثيل لها بمثال واحد لتتضح صورتها على النحو الآتي[٢]:

أ- **القوة الشهوانية**: وقد تسمى بـ(الغذائية أو البهيمية)، ومقرها البطن وهي مجموع الشهوات الجسدية والحسية، فهي مرتبطة بالأكل والشرب والاشتهاء والالتذاذ والتألم، وفضيلتها العفة، وهذه النفس مادية فانية.

ب- **القوة الغضبية**: وقد تسمى بـ(السبعية أو الانفعالية)، ومقرها أعلى الصدر، وهي مجموع الغرائز النبيلة والكريمة، ومهمتها حفظ كرامة الفرد، وهي متصلة بالنفس الناطقة بواسطة العنق.

وهي كسابقتها مادية فانية.

جـ- **القوة العاقلة**: وقد تسمى بـ(النفس الخالدة)، ومقرها الرأس لشرفها وعلو منزلتها، وهي قوة النظر والتأمل، ومهمتها البحث عن وسيلة إلى الخلاص من سجن البدن والرجوع إلى عالمها الإلهي الشريف، بالسيطرة على القوتين السابقتين، وفضيلتها الحكمة.

وهي خالدة باقية.

فظهر من هذا التقسيم الثلاثي أن أقسام النفس أو قواها ثلاث، وكل واحدة

---

(١) انظر: ((الفلسفة اليونانية من منظور شرقي)) (٢/ ٢٣٩).

(٢) انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (٢٤٢ – ٢٤٣)، و((تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٤٥)، و((الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب)) (ص ٩٤).

منها قد يُطلَق عليها: «نفس»، ولها موضعها ووظيفتها الخاصة، والثلاث في مجموعها تشكل وحدة واحدة، لكن هذه الأنفس الثلاث منها اثنتان فانيتان وهما النفس الشهوانية والغضبية، وواحدة خالدة باقية وهي العاقلة، وهي محط اهتمام أفلاطون، وقد رسم لها أسطورة توضح تلكم الأقسام، فشبَّهَ «الإنسان بسائق يقود عربة يجرها جوادان، أحدهما طيب كريم، والآخر خبيث أرعن.

فالبدن هو العربة، والسائق هو العقل، والجواد الطيب هو النفس الغضبية، والجواد الخبيث هو النفس الشهوانية.

وإذا كان أحد هذين الجوادين طيباً والآخر خبيثاً كانت مهمة السائق الذي يقودهما شاقة، وعلى قدر ما يستطيع السائق تحقيق الاعتدال والانسجام بين هذين الجوادين يكون نجاحه في مهمته أتم.

وكلما كانت سيطرة العقل على القوة الغضبية والشهوانية أعظم كانت طمأنينة الإنسان وسعادته أكمل»[١].

وعوداً على بدء لو سُئِل أفلاطون إذا كانت النفس واحدة على مذهبك فلم حدث هذا الانقسام مع أنها جوهر واحد؟

لقال: «كانت واحدة قبل هبوطها من عالم المُثُل إلى هذه الحياة الدنيا... ولكن اتحادها بالجسم واتصالها به كان سبباً في تشويه طبيعتها ومسخها، وداعياً إلى تطرق الكثرة إليها»[٢].

٥ – علاقة الروح بالبدن علاقة تدبير وصراع:

تقدم أن أفلاطون يقول بالثنائية بين الروح والجسد، فهناك الروح ذلك الجوهر

---

(١) ((تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٤٥).

(٢) ((نظرية المعرفة عند الرازي في تفسيره)) (ص ٢٥٨).

الروحي، وهناك الجسد ذلك الهيكل المحسوس ذو الأعضاء، وهذا الأخير كما يذكر الدكتور محمود قاسم: «ليس سوى أداة تستخدمها النفس أو الروح... وهو يفسر لنا الصلة بين النفس والجسم بالصلة بين الربان والسفينة.

فالربان مستقل بذاته، وليست السفينة جزءاً من حقيقته، وهو يقوم بتدبيرها وتسييرها وحراستها وسط العواصف والأنواء، كذلك الأمر بالنسبة إلى النفس التي تحل في البدن وتدبره، وتُعنَى بأمره، وتوجهه الوجهة السليمة، أما إذا استعصى عليها أمره فإنها تغرق معه»[١].

وهذا يعني أن بينهما صراعاً دائماً؛ لأن النفس تواقة أبداً إلى عالمها، عالم الخير، بينما الجسد يشدها إلى عالمه، عالم الشر.

وقد مَثَّل أفلاطون لحالة النفس مع الجسد بأسطورة «الكهف»، والتي ختمها بقوله: «فالنفس في سجن مظلم كثيف (هو الجسد) تطلب الخلاص منه، عندما تنفتح عيناها مرة على عالم المُثُل»[٢].

وهذا الصراع الحاصل بين الروح والجسد «يتمثل في نزعات النفس المختلفة»[٣]، وهي الثلاث المتقدم ذكرها وبيانها.

لكن هذه العلاقة العرضية بين الروح والجسد والتي شبهها أفلاطون بعلاقة الربان بسفينته، وقل إن شئت بعلاقة الطائر بعشه والرجل بمسكنه، لم تُرْضِ بعض الباحثين، حتى قال أحدهم مستفهماً ناقداً:

---

(١) ((دراسات في الفلسفة الإسلامية)) (٢٣ – ٢٤).

(٢) انظر: ((الوافي في تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٣٠).

(٣) ((المصدر السابق)).

«ترى كيف أمكن لهذين الأجنبيين أن يسافرا جنباً إلى جنب في قطار الزمن على نحو من المحبة والصداقة يندر نظيرها؟ فما أن يصاب البدن بشيء إلا ويسري الألم في عمق كيان النفس، الأمر الذي لم نجده حتى في الربان وسفينته، فما يعتريها لا شأن للربان بها ألبتة، فكيف يجوِّز العقل هذه الغربة الغريبة في عمق الوحدة الشديدة؟ أتوجد وسيلة لهضم هذه الفكرة؟

لم يسطع في ذهن أفلاطون شيءٌ يقنعنا به»[١].

وهذا يعني نقص النظرة الأفلاطونية لتصوير العلاقة بين الروح والجسد.

٦- اعتقاده بقدم الروح:

يرى أفلاطون أن الروح كانت موجودة في عالم المُثُل قبل اتصالها بالجسد، وهذا يعني اعتقاده بقدم الروح.

فقد ذكر الشهرستاني أن مذهب أفلاطون وجود النفس قبل وجود الأبدان[٢]، وحكى قول أفلاطون الدال على ذلك، ونصه: «إن النفوس كانت في عالم الذكر مغتبطة مبتهجة بعالمها وما فيه من الروح والبهجة والسرور، فأُهْبِطَت إلى هذا العالم حتى تدرك الجزئيات، وتستفيد ما ليس لها بذاتها بواسطة القوى الحسية (في عالم المادة) فسقطت (وسقط منها) رياشها قبل الهبوط، فهبطت (وبقيت على الأرض) حتى يستوي ريشها، وتطير إلى عالمها بأجنحة مستفادة من هذا العالم»[٣].

---

(١) ((المعرفة والنفس والألوهية في الفلسفة الإسلامية والمدارس الفلسفية الأخرى)) (٨٢ – ٨٣).

(٢) انظر: ((الملل والنحل)) (٢/ ٤١١).

(٣) ((الملل والنحل)) (٢/ ٤١٢)، وما بين الأقواس مستل من كتاب((بين عالمين)) (ص ١٣)، ومما جاء فيه تفسيراً للنص السابق.

عالم الذكر: عالم علوي سماوي، أسماه أفلاطون عالم المثل أو عالم الحقيقة.

في عالم المادة: لأنها في رأي أفلاطون كانت تدرك المعاني الكلية التي لا علاقة لها بالمادة، واتصالها بالبدن كان بقصد إدراك الجزئيات المحسوسة بعالم المادة، وبواسطة قوى البدن الحسية. =

٧- اعتقاده بخلود الروح:

يعتقد أفلاطون ببقاء الروح بعد الموت، وأنها خالدة لا تفنى بفنائه، وأنها بعد فراق بدنها تنال ثوابها أو عقابها، على ما يأتي بيانه في العنصر القادم.

وتذكر الدكتورة باسمة كيال أن مسألة خلود النفس أخذت الكثير من عنايته واهتمامه، وأنه قد أشار إليها في جميع مصنفاته، وأفرد لها «فيدون»[١]. ففي تفسيره لمعنى خلود النفس قال: هو «استمرارها بعد الموت كياناً فردياً متميزاً»[٢]، وقال: «مادامت النفس لا يفنيها الشر إطلاقاً، سواءً أكان غريباً عنها أم خاصاً بها، فواضح أنها دائمة كائنة؛ وهي لذلك خالدة»[٣].

وقد أقام للبرهنة على خلود الروح عدة أدلة، أذكر أبرزها إجمالاً، ثم أشير إلى معنى اثنين منها للوقوف على طريقته، إذ المقصود إثبات عقيدته في الخلود دون الاسترسال في ذكر أدلته؛ فمن ذلك:

دليل تعاقب الأضداد، ودليل التذكر، ودليل البساطة، ودليل الشبيه، ودليل الحركة، وغيرها[٤].

أما دليل تعاقب الأضداد فمعناه «أن اللذة تعقب الألم، والألم يعقب اللذة،

= **رياشها**: كمالها وبهجتها.

تطير بأجنحتها: استعارة يُقصد بها المعلومات والمعارف الجزئية الفردية التي لا يمكن للنفس أن تدركها بذاتها إلا إذا اتصلت بالبدن.

(١) انظر: ((أصل الإنسان وسر الوجود)) (ص ١١٦).

(٢) ((فيدون)) (ص ٥٥).

(٣) ((جمهورية أفلاطون)) (ص ١٧٦).

(٤) انظر: ((دراسات في تاريخ الفلسفة العربية)) (٣٤ – ٣٦)، و((تاريخ الفلسفة العربية)) (٤٧- ٤٨)، و((الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون)) (٢٢٦ – ٢٢٩).

وأن الليل يولد من النهار، وأن النهار يولد من الليل، واستنتج أن هناك حركة دائرية متنقلة بين الأضداد، ولما كانت الحياة يعقبها الموت، فلابد أن تعقب الحياة الموت في دورة مستمرة، إذ لو انتهت الحياة بالموت لانقضت الحياة تماماً»[١].

وأما دليل التذكر فهو مبني على التصديق بالحياة السابقة للروح، ومعناه «أن معرفتنا للحقائق من داخل النفس بواسطة التذكر، دليل على أن النفس كانت تعيش حياة سابقة على هذه الحياة، ودليل أيضاً على اطلاعها على الحقائق ثم نسيانها[٢].

هذان نموذجان لبراهين الخلود عند أفلاطون، وقد يضم إليها اعتقاده بتناسخ الأرواح بعد الموت، إذ إن مفاده بقاءها وديمومتها كما سيأتي بيانه أدناه.

٨- اعتقاده بأن مصير الروح بين الصعود والتناسخ، وفيهما يكون الثواب أو العقاب:

إذا كانت النفوس خالدة بعد الموت، فلابد أن أفلاطون قد تصور لها مكاناً أو مصيراً تذهب إليه بعد فراق الجسد، وقد كان الأمر كذلك، وفي تصوره هذا فرَّقَ بين مصير الأرواح الخيرة ومصير الأرواح الشريرة، فالأولى عنده تذهب إلى عالم المُثُل، والثانية تعود فتتناسخ في الأجساد.

وهذا المصير ليس إلا نتيجة للصراع الكائن بين الجانب الخالد من الإنسان والذي تمثله النفس الناطقة، وبين الجانب الفاني منه والذي تمثله النفس الغضبية والغاذية، يقول الدكتور مرحبا: «هناك صراع دائم بين الجانب العاقل الخالد والجانب المادي الفاني من الإنسان، ويحاول العقل السيطرة على الشهوة مستعيناً

---

(١) ((دراسات في تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٣٤).

(٢) ((المصدر السابق)) (ص ٣٥).

بالعاطفة، فإن تغلب العقل صعدت النفس إلى حيث تعيش النفوس الخالدة لتنعم بصحبة الآلهة والنفوس الخيرة، أما إذا تغلب الجزء غير العاقل فيها فمصيرها التناسخ في أبدان تتدرج من الأعلى إلى الأدنى بحسب نصيبها من العقل»[١].

ومما جاء في «الجمهورية» بياناً لحياة الأخيار: «إذا أصاب العادلَ مرض أو فقر أو أي مصاب أليم كانت عاقبة ذلك خيراً له، إما في هذه الحياة وإما في الحياة الثانية»[٢].

وفي التفريق بين أرواح الأشقياء والسعداء يقول: «إن «راد مانت» يحاكم النفوس في الحياة الثانية، فيرسل نفوس الأشرار إلى «التاتار» أي إلى أعماق الجحيم، ويرسل أرواح الفلاسفة إلى الجزر السعيدة»[٣].

وأفلاطون يفرق بين روح الفيلسوف وغيره من حيث مرات التناسخ، فهو يرى أن الفلسفة هي التي تساعد النفس على الصعود نهائياً إلى العالم العلوي، وأن روح الفيلسوف لا تعود إلا ثلاث مرات.

أما النفوس الأخرى فتظل ترتحل عشر مرات أو أكثر حتى تصفو نهائياً وتعود إلى مصدرها الأول[٤].

وقد تكون في رحلتها هذه في أجساد بشرية أو حيوانية، حيث «يفترض أفلاطون أن النفوس جميعاً كانت في الأصل ذكوراً، لكنها تتدهور خلال التناسخ حسب الحياة التي تحياها على هذه الأرض، فإن ابتعدت عن التمسك بالعقل

---

(١) ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص ٢٤٣).

(٢) ((الجمهورية)) (ص ٦١٣).

(٣) من كلام أفلاطون في كتاب ((غورجياس)) ، نقلًا عن جميل صليبيا في كتابه ((تاريخ الفلسفة العربية)) (٤٦ – ٤٧).

(٤) انظر: ((دراسات في الفلسفة الإسلامية)) (ص ٣٠).

وُلِدَت في جسم امرأة، ثم جسم حيوان، ولاتزال تنتقل من حيوان إلى آخر حتى تطهر من أدناسها، وتعود إلى الكوكب الذي صدرت عنه»[١].

وهذا النوع الأخير من التناسخ في أجساد البهائم قد حكاه البيروني عن أفلاطون، وذكر أنه اتبع في ذلك خرافات فيثاغورس[٢].

ثالثاً: أرسطو[٣]:

ترجع أهمية أرسطو إلى كونه أحد أبرز فلاسفة اليونان في عصر ازدهارها، وإليه «يعود الفضل في تنظيم الفلسفة اليونانية، وتفريع العلوم منها، وإيجاد المنطق مرتباً منظماً له أسسه وقوانينه، حتى لُقِّب من أجل ذلك بالمعلم الأول»[٤].

وأيضاً فقد تناول في فلسفته جميع المعارف الإنسانية التي كانت سائدة في زمانه، ولعبقريته كان أفلاطون يسميه بـ«العقل»، وابن رشد بـ«المعلم الأول»[٥].

وكسائر الفلاسفة كان لأرسطو آراؤه الفلسفية في قضية الروح، وكان من أبرزها ما يمكن سوقه على النحو الآتي:

١- اعتقاده بوجود الروح:

إذ جعلها قسيمة البدن، فهو من القائلين بالثنائية، لكن لا يُفْهَم من هذا أنهما جوهران مستقلان، ويتضح هذا من تعريفه للروح كما في العنصر الثاني.

---

(١) ((تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٢٤٣).

(٢) انظر: ((تحقيق ما للهند من مقولة)) (ص ٤٩).

(٣) **أرسطو طاليس**، اشتهر بأنه حكيم اليونان، كان والده طبيباً فيثاغوري المذهب، تلقى العلم عن أفلاطون، وأصبح مؤدب الإسكندر بعده، من مؤلفاته: كتاب ((النفس))، وكتاب ((ما بعد الطبيعة))، توفي سنة (٣٢١ ق. م).

انظر: ((الموسوعة الفلسفية)) (٤٠ – ٤١).

(٤) ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص ٢٦٢).

(٥) انظر: ((الموسوعة الفلسفية)) (ص ٤٠).

٢- تعريفه الروح:

أثر عن أرسطو تعريفان للروح:

الأول: أنها **«كمال أول لجسم طبيعي آلي ذي حياة بالقوة»**[(١)].

وهذا تعريف بالآثار، كتعريف البيت بأنه ملجأ يحمي من أضرار الرياح والأمطار، ويحجز أهله عن أعين النُّظَّار[(٢)].

والذي يُقْصَد من تعريفه أنه ليس للإنسان جوهران مستقلان، هما النفس والجسم، بل هو جوهر واحد، الجسم مادته والنفس صورته[(٣)].

وعليه فإن الروح والجسد يؤلفان وحدة متكاملة هي الإنسان، ولا يمكن أن يوجد أحدهما دون الآخر.

الثاني: **أن الروح ما به نحيا ونحس ونفكر وننتقل في المكان ونعقل**[(٤)].

وهذا التعريف أوضح من سابقه؛ لأنه يعرِّف النفس بالأفعال الصادرة عنها؛

---

(١) ((النفس)) (ص ٤٢).

وقد شرح الدكتور حسن عاصي التعريف في كتابه: ((المنهج في تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٥٤) فقال:

كمال أول: الكمال هو مجموعة الخصائص والصفات، التي بها يُعرف الشيء ويتم وجوده، ويكون الكمال أولاً إذا انتفى وجود الشيء بدونه، ويكون ثانياً وثالثاً و... إذا لم ينتف وجود الشيء بدونه، وإنما لا يكتمل ذلك الوجود ويبقى ناقصاً، فالكمال الأول للطاولة ارتكازها على أربع قوائم، بدونها ينتفي كونها طاولة، أما لونها وشكلها فهما كمالان ثان وثالث؛ لأنها بدونهما هي طاولة ولكنها غير مكتملة.

جسم طبيعي: أي كائن حي، نباتاً كان أو حيواناً أو إنساناً، بخلاف الجسم الصناعي، كالطاولة والثوب.

آلي: له أعضاء، تقوم بوظائف معينة.

ذي حياة بالقوة: أي أنها في تهيؤ واستعداد للقيام بشتى الوظائف.

(٢) انظر: ((فلسفات إسلامية)) (ص ٥٧٩).

(٣) انظر: ((نظرية المعرفة عند الرازي)) (ص ٢٣٧).

(٤) انظر: ((النفس)) لأرسطو (ص ٤٨)، و((تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٧٩).

ولأن التعريف الأول يتضمن اصطلاحات تحتاج إلى تفسير وبيان[١].

٣- اعتقاده بأن الروح حادثة:

اعتقد بهذا خلافاً لشيخه أفلاطون، قال الطوسي في «التهافت»: «ذهب أرسطو ومتابعوه إلى أنها حادثة مع البدن»[٢] أي لا قبله ولا بعده بل مقارنة له.

٤- اعتقاده بوحدة الروح وتعدد قواها:

يذهب أرسطو إلى القول بوحدة النفس ويستنكر القول بقسمتها، ويقرر أنها هي التي تحفظ وحدة الجسم، وفي هذا يقول: «يذهب بعض الفلاسفة إلى أن النفس منقسمة، وأن جزءاً منها يفكر على حين أن الجزء الآخر يشتاق، ماذا إذاً يوحد النفس إذا كانت بطبيعتها منقسمة؟ ليس هو الجسم بالتأكيد... إن النفس هي التي تحفظ وحدة الجسم»[٣].

ويذهب أرسطو إلى القول بتعدد قوى النفس، ويسميها «اصطلاحاً بالنفوس، وهي ثلاث: النفس النامية، والنفس الحاسة، والنفس الناطقة»[٤].

وقد اتبع الطريقة التصاعدية في هذه المراتب، بمعنى أنه لا يمكن أن توجد النفس الحاسة قبل النامية، ولا الناطقة قبل سابقتيها. وخلاصة مذهب أرسطو في هذه المراتب يمكن إيجازه في النقاط الآتية[٥]:

أ- النفس النباتية:

وتسمى بالنامية أو الغاذية، وهي أولى قوى النفس وأبسطها؛ لأنها توجد في

---

(١) انظر: ((تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٧٩).

(٢) ((تهافت التهافت)) (ص ٣٤١).

(٣) ((النفس)) (ص ٣٧).

(٤) ((المنهج في تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٥٤).

(٥) انظر: ((النفس)) (٥٣ – ٨٩)، (١١٩ – ١٣٢)، و((المنهج في تاريخ الفلسفة العربية)) (٥٤-٥٧)، و((من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية)) (١٨٠ – ١٨٥).

جميع الكائنات الحية (نبات، حيوان، إنسان) ووظيفتها الغذاء والتولد.

ب- النفس الحيوانية:

وتسمى بالحاسة، وهي ثاني قوى النفس، وتكون للحيوان والإنسان دون النبات، ووظيفتها الغذاء والتولد، والحركة والإدراك، حيث تتصل بالعالم الخارجي وتنقل الصورة إلى الداخل.

ج- النفس الإنسانية:

وتسمى بالناطقة، وهي ثالث قوى النفس، وتختص بالإنسان دون النبات والحيوان، ووظيفتها الإرادة والتعقل بالإضافة إلى وظائف النفسين النامية والناطقة.

فتبين أن النفس عند أرسطو واحدة ذات ثلاث مراتب، لا توجد المرتبة الأخيرة إلا بوجود التي قبلها، والمرتبة الأخيرة وهي النفس الناطقة هي أهم المراتب، إذ هي التي قرر بقاءها دون سابقتيها، وسيأتي تفصيل ذلك.

٥- اعتقاده بأن صلة الروح بالجسد جوهرية وليست عرضية:

حيث يذهب إلى القول بالتلازم بين المادة والصورة، أي بين الجسد والروح، فعنده أن الثاني صورة الأول، وعليه فلا يمكن أن ينفك عنه وإلا تحطم «فالمادة طبقاً لرأي أرسطو لا تنفصل أبداً عن الصورة، إذ لا مادة بغير صورة، وهما جميعاً يكونان جوهراً واحداً هو الكائن الحي ومنه الإنسان، وكما لا يمكن فصل التمثال عن الرخام إلا بتحطيمه، كذلك لا تنفصل النفس عن الجسم، والصلة بينهما على ذلك ذاتية لا عرضية»[1].

وحيث اتصلت الروح بالبدن فإنها لم تتصل به «اتصال انطباع فيه وحلول، بل

---

(١) ((نظرية المعرفة عند الرازي)) (ص ٢٣٧).

اتصلت به اتصال تدبير وتصرف»[١]. أي بغرض التوجيه والإرشاد له.

ذلك أن الصلة العرضية مؤقتة، بمعنى أن الروح تتصل بالبدن فترة من الزمن ثم تغادره بعد ذلك، أي أنها تبقى بعد فراقه وانقطاع رابطتها بالموت.

٦- خلود الروح ومصيرها:

على مذهب أرسطو: إذا كانت الصلة بين الروح والجسد جوهرية، والروح صورة الجسد، فإنه لا يتصور بقاءها بعده؛ لأن تحطيمه أو فناءه تحطيمٌ لها، إذ لا يتصور بقاء الصورة دون مادتها.

لكن أرسطو يذهب إلى أن الخلود والبقاء هو للعقل الفعال، وفي هذا يقول: إن العقل الفعال «عندما يفارق يصبح مختلفاً عما كان بالجوهر، وعندئذ فقط يكون خالداً أزلياً، ومع ذلك لا نتذكر؛ لأنه غير منفعل، على حين أن العقل المنفعل فاسد»[٢].

ويمكن التفريق بين العقل الفعال والعقل المنفعل لتتضح الصورة بالآتي:

أ- **العقل المنفعل**: ويسمى الهيولاني أو العقل بالقوة أو العقل بالملكة، هو الذي يدرك الجزئيات، وقل إن شئت هو مجرد استعداد وتهيؤ لتقبل المعقولات، وهو العقل الإنساني.

ب- **العقل الفعال**: ويسميالفاعل وهوعقل مفارق، واحد للبشرية جمعاء، وهو الذي يدرك الماهيات بأن يستخلصها من الجزئيات، وقل إن شئت: يجرد

---

(١) ((بين عالمين)) (ص ١٤).

وقال في شرحه في الهامش (٥): «انطباع النفس في الجسم: هو أن تصبح صورة له، والحلول: تداخل الكائنين مع احتفاظ كل بخواصه، والمقصود أنها اتصلت بالبدن بقصد إرشاده وتوجيهه؛ لأن النفس عند أرسطو هي مجموعة القوى الوظيفية للجسم».

(٢) ((النفس)) أرسطو (ص ١١٣).

المعقولات من مادتها ويدفعها إلى العقل الهيولاني.

فالعقل الفعال المفارق بالنسبة إلى العقل المنفعل، بمثابة الشمس للعين، فهي رغم استعدادها لرؤيته، لا ترى دون نور الشمس الذي ينير لها الموجودات، فكذلك العقل المنفعل، لا يتم له الإدراك دون إفاضة نور العقل الفعال وإشراقه على المعقولات.

ولما كان العقل خارجاً عن قوة المادة كان وحده العنصر الخالد[1].

ولمزيد إيضاح: فإن البقاء والخلود للنفس الناطقة دون النامية والحاسة، يُفْهَم هذا من قول الدكتور حسن عاصي لما تكلم عن خلود النفس عند أرسطو حيث قال: «رغم تعدد قواها، فإن النفس واحدة، والناطقة فقط هي الخالدة، بخلاف باقي الوظائف التي تفنى بفناء الجسد»[2].

ورغم ما تقدم إلا أن مذهب أرسطو في الخلود يعلوه غبش، إذ لم تكن عباراته بذلك الوضوح الذي يمكن قبوله والسكوت عليه، ومما يؤكد هذا ما ذكره الدكتور محمد الجبر من «أن أرسطو مضطرب غاية الاضطراب في أمر العقل الفعال... هل هو الله كما يقول الإسكندر الأفروديسي أحد شراح أرسطو في اليونان؟

أم هو العقل الهيولاني فكلاهما موجود في النفس البشرية كما يقول تامسطبوب كذلك أحد شراح أرسطو في القرن الرابع للميلاد؟

أم هو من العقول الفلكية أو الجواهر المفارقة التي تحرك الأجرام السماوية كما يقول فلاسفة العرب؟ بالإضافة إلى التساؤل عن مصدر هذا العقل وما طبيعته؟

---

(١) انظر: ((المنهج في تاريخ الفلسفة العربية)) (٥٦ – ٥٧)، و((تراث العرب في العلم والفلسفة)) (٦٩ – ٧٠).

(٢) ((المنهج في تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٥٧).

الواقع أنه لا توجد أجوبة في نصوص أرسطو مما يساعدنا على أن نعطي أجوبة عن هذه الأسئلة؛ لذلك فالقضية خاصة غامضة»[١].

ومما يؤكد ذلكم الغبش قول الدكتور محمود قاسم: «وإن كان أرسطو قد مال إلى القول بخلود أحد أجزائها وهو العقل... فإنه لم يشأ أن يتكلم على غرار أستاذه أفلاطون عن أصل الروح ومصيرها، بل آثر أن يتكلم عن وظائفها، إنه لم ينكر خلود الروح صراحة، لكن منطق مذهبه أو فلسفته يفضي إلى إنكار هذا الخلود»[٢].

وإذا قيل: إن أرسطو يقول بخلود الروح – بغض النظر عن مفهوم مذهبه، وعن ذلكم الغبش والاضطراب – فما مصيرها بعد الموت؟

الواقع أني لم أقف له على كلام في هذه المسألة، إلا ما كان من كلمات لابن سينا يُفْهَم منها أن أرسطو كان يقول بالتناسخ، فذكر أنه كان يقول: «... وإذا كانت النفوس موجودة قبل الأبدان، وجب أن يكون لها في الوجود السابق على الأبدان عدد محدود، والأبدان غير محدودة، فالتناسخ إذاً واجب»[٣].

وقد رجح أحد الباحثين هذا المذهب بناء على نصٍّ وجدَه في إحدى مخطوطات الهند بعنوان: «الرسالة في التناسخ» حيث قال: «وربما يكون رأي ابن سينا في ذلك مائلاً إلى الصحة، حيث «نقل أن أرسطاطاليس رجع عن مذهبه في إبطال التناسخ إلى مذهب أستاذه أفلاطون، لكن بقي المشهور في كتبه منع التناسخ»[٤].

---

(١) ((الفكر الفلسفي والأخلاقي عند اليونان)) (٧٢ – ٧٣).

(٢) ((دراسات في الفلسفة الإسلامية)) (١١ – ١٢).

(٣) ((الأضحوية في المعاد)) (ص ١١٦).

(٤) انظر: ((التناسخ جذوره وتأثيره في غلاة الشيعة)) (ص ٨٤).

فعليه يكون مصير الروح عنده التناسخ وليس وراء ذلك من تفاصيل يمكن ذكرها، وعلى كل حال فأرسطو من نفاة الآخرة، لا يؤمن بالحشر والنشر والمجازاة على الأعمال كما هو معلوم من دين المسلمين.

وبذا ينتهي الكلام عن عقائد وآراء فلاسفة اليونان في الروح في تلك المرحلة التي تعد أزهى مراحل الفلسفة اليونانية بإطلاق، وهي كما ترى عقائد مبنية على الرأي ومتأثرة بالخرافة، وفيها مخالفات كثيرة تصادم الدين، وتخالف الحقائق الثابتة عن الروح كما مر في فصل الرسالة الأول وغيره.

المرحلة الثالثة: وهي مرحلة الضعف والذبول وكان من أبرز المدارس التي ظهرت في هذه المرحلة وكان لها كلام في قضية الروح: مدرستان هما:

الفيثاغورية المحدثة، والأفلاطونية المحدثة.

أولاً: الفيثاغورية المحدثة:

تُعدُّ من أهم الاتجاهات الفلسفية التي ظهرت في الإسكندرية، وهي عبارة عن فلسفة انتخابية جمعت كثيراً من آراء وتعاليم أفلاطون وأرسطو وغيرهما[١].

وقد جمع الفيثاغوريون الجدد في المبادئ الدينية والأخلاقية لفرقتهم، النظريات الفيثاغورية القديمة، والمذاهب المأخوذة من أفلاطون، إلى جانب عناصر استعاروها من مدارس أخرى، فكانت الفيثاغورية المحدثة ذات طابع توفيقي[٢].

ولذا لم يأتوا بجديد في مسألة الروح، يقول الدكتور فاروق عبدالمعطي: «أما نظرية المدرسة الفيثاغورية المحدثة في الإنسان، فإنها أفلاطونية الطابع... وقد كرر الفيثاغوريون القول بمذهب أفلاطون في أجزاء النفس، ووجودها قبل الاتصال

---

(١) انظر: ((ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة)) (١٢٦ – ١٢٧).

(٢) انظر: ((فيثاغورس فيلسوف علم الرياضيات)) (٥٤ – ٥٥).

بالجسد وفي خلودها... أما مذهب التناسخ فلا يحتل عندهم إلا مكاناً ثانوياً»[(١)].

ثانياً: الأفلاطونية المحدثة:

اتجاه فلسفي ظهر في الإسكندرية في القرون الأولى للميلاد، ويُعرَف عند العرب بمذهب الإسكندرانيين[(٢)]، وتُنْسَب إلى أفلاطون السابق ذكره ضمن أقطاب الفلسفة اليونانية في عصر الازدهار، وإنما نسبت إليه لكون تعاليمها وليدة مذهبه، فبرغم ما فيها «من مختلف مذاهب الفلسفة اليونانية، والديانات الشرقية، فإنها في جملتها كانت أميل إلى الأخذ عن مذهب أفلاطون»[(٣)].

وأما من حيث التأسيس لهذا الاتجاه فإن «المؤسس الأول... هو «أمونيوس سكاس» المولود من أبوين مسيحيين، والمتوفى عام ٢٤٢ بعد ميلاد المسيح، لكن الذي يمكن أن يُعَدَّ مؤسساً حقيقياً لهذه المدرسة هو «أفلوطين»[(٤)] الذي يُعتَبر أهم مجدد لبنائها وأكبر حامل للوائها»[(٥)].

ولما كان هذا المذهب قد قام في أصله على أصول أفلاطونية كانت نظرة هذه المدرسة للروح مقاربة لنظرة أفلاطون بصفة خاصة، وهذا ما حدا ببعض الباحثين إلى القول: إنه «ليس في جعبة أفلوطين جديد يذكر عما قاله أفلاطون، فقد تبعه في قوله بأسبقية النفس وجوداً عن العالم المادي، وعلاقتها بالبدن علاقة الطائر بعشه،

---

(١) ((فيثاغورس فيلسوف علم الرياضيات)) (ص ٥٧)، وانظر: ((ملامح الفكر الفلسفي)) (ص ١٢٧).

(٢) انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (ص ٣١٧).

(٣) ((الفلسفة اليونانية مقدمات ومذاهب)) (ص ١٣٣).

(٤) أفلوطين أشهر مجددي الأفلاطونية وباعثها بعد فيلون، كان مواطناً مصرياً، درس الفلسفة في الثامنة عشر من عمره، كان يسميه الشهرستاني (الشيخ اليوناني)، توفي سنة (٢٧٠م).
انظر: ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (٣٢٥ – ٣٢٦)، و((أفلوطين)) (ص ١٧ فما بعد).

(٥) ((تاريخ الفلسفة اليونانية)) (١٣٣ – ١٣٤).

كما تبعه في تقريره لمسألة التناسخ الذي يجري على الإنسان وفق أعماله السيئة»[١]، ويُعَدُّ من أعظم فلاسفة الإغريق من ناحية الاعتقاد بمبدأ العودة للتجسد؛ ولذا قال على سبيل المثال: إن الولد إذا قتل أمه عاد مرة ثانية إلى الحياة الأرضية في صورة امرأة يقتلها ابنها، وبذلك يكفِّر عن ذنبه، وإن الظالم يعود مرة ثانية لكي يظلمه غيره، وأن الضارب في عمر من الأعمار يقتص منه ضارب في عمر جديد[٢].

وإذا كان أفلوطين يرى حلول النفوس الآثمة في المخلوقات من إنس ونبات وحيوان، وكان يرى أن النفوس الطاهرة الزكية تقيم في الكواكب أو تعود إلى أصلها في النفس الكلية تبعاً لمنزلتها في الحياة الدنيا[٣]، إذا كان يرى ذلك فهل هذا غاية ما تصبو إليه النفس البشرية؟

أفلوطين لا يرى ذلك، بل يرى أنها «ترنو إلى الانخطاف والمشاهدة والرؤى الغامضة الواضحة، والاستغراق في الواحد، والاتحاد به والفناء فيه، هذا هو مطلبها الأسمى ومقصدها الأسنى»[٤].

إن هذا المطلب هو الجديد في فلسفة أفلوطين، ولذا قال أحد الباحثين: «جديد أفلوطين هو القول بسريان الوجود الإلهي على نحوٍ فسره المختصون بالاتحاد في عمق الوجود الإنساني، إذ يقول: «قد نؤمن بحضور الله فينا وذلك حين يشرق علينا الله بضوئه فيكون برهاناً على حضوره، ويقول: إذا انحصرتُ في دخيلة نفسي

---

(١) ((المعرفة والنفس والألوهية في الفلسفة الإسلامية والمدارس الفلسفية الأخرى)) (ص ٨٣).

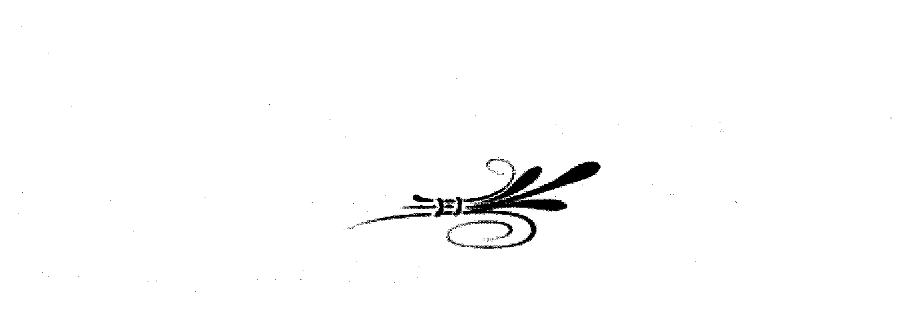
(٢) انظر: في ((العودة للتجسد)) (٢٢ – ٢٣).

(٣) انظر: ((من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية)) (٢٤٠-٢٤١)، ((الوحدانية)) (١٦٨-١٦٩).

(٤) ((من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية)) (ص ٢٤١)، وانظر: ((تاريخ الفلسفة العربية)) (ص ٦١).

شاهدتُ عندئذ جمالاً باهراً، وأيقنتُ أكثر من يقيني في أي وقت مضى باندماجي في النظام الأعلى، كنت عندئذ أحيا أشرف حياة وأظفر بالاتحاد مع الإله»[1].

فالقول بالاتحاد هو ما تميز به أفلوطين وأدخله إلى هذه المدرسة، فأضاف إلى ضلالاتها ضلالاً آخر.



(١) ((المعرفة والنفس الإلهية)) (ص ٨٣).

الفصل السابع

الروح عند مشركي العرب

يذهب كثير من الباحثين إلى صعوبة البحث في عقائد العرب[١]، ومرجع ذلك: «ندرة الصحائف والرُّقُم والكتابات التي تدل على أحداث هذا التاريخ بدقة، لكنهم اعتمدوا على الشعر العربي، والأمثال، والقصص والروايات المنقولة عن العرب قبل الإسلام، إلا أن هذه المصادر أيضاً ليست بالغة الدقة، ولا تكفي للوصول إلى اليقين، والمصدر الوحيد الذي لا يتدناه الشك هو القرآن الكريم، لكنه يفيد في إلقاء الضوء على بعض الجوانب فقط من هذا التاريخ، فمن خلال آياته يمكن استنتاج بعض الآراء والمعتقدات والتقاليد والقيم التي كانت سائدة قبل الإسلام»[٢].

ولم يكن عند العرب من الفلسفة مثل ما كان عند الشعوب الأخرى، كالهنود، والمصريين القدماء، وكذا اليونان والرومان وغيرهم، ولما لم تكن الفلسفة منهجهم، وكانوا أمة أمية لا تقرأ ولا تكتب، وكان ديوانها الشعر الذي يسجل الوقائع والأحداث والعقائد والعادات، وكان يُنْقَل مشافهة، لما كان الأمر كذلك قل كلامهم في العقائد وخاصة ما يتعلق بالروح والآخرة، فليس لديهم من التفاصيل والعمق الفلسفي مثل ما لدى الشعوب الآنف ذكرها.

يقول زين الدين المليباري: «ولم يتعمق العرب قبل الإسلام كثيراً في بحث

---

(١) انظر: ((الفكر الديني القديم)) (ص١٢٣، ١٢٤)، و((الموت في الديانات الشرقية)) (ص ١٢١ –١٢٥)، و((مختصر الموت)) وما بعده (ص ٣١)، و((الجزيرة العربية قبل الإسلام)) (ص ١٥٣).

(٢) ((مختصر الموت)) وما بعده (ص ٣١).

قضايا الموت والروح واليوم الآخر، وقضايا الحساب والعقاب، وقد كانت نظراتهم إلى هذه القضايا بسيطة ساذجة أحياناً إذا ما قيست بآراء وفلسفات أقوام آخرين»[١].

ومع هذا فقد وجدت بعض العقائد الروحية اقتطفتُها من هنا وهناك، وهي تُنْسَب إلى العرب أو بعضهم، وكانت تدين بها طوائف من المشركين في بعض أزمانهم.

عقائد مشركي العرب في الروح:

١- الاعتقاد بوجود الروح، وكونها شيئا ماديا عند بعضهم:

ودلائل ذلك اعتقادهم بمفارقة الروح البدن، واستحالتها طيراً بعد الموت، وترددها إلى منزل صاحبها، كذا عبادتها، واعتقاد بعضهم بالبعث والحساب، فهذه الأمور مجتمعة وغيرها يدل على اعتقادهم بوجود الروح.

وعند القول بأن مشركي العرب كانوا يعتقدون بوجود الروح فلا يلزم من هذا صحة معتقدهم في الروح، إذ لهم تصورهم الخاص بهم كما سيأتي.

يقول إبراهيم مدكور: «يكاد يكون استعمال كلمة «روح» في الجاهلية مقصورا على مدلولها اللفظي، وهو ريح ورائحة، فلم يكن يُفْهَم منها معنى النفس»[٢].

«لم يكن يُفْهَم منها معنى النفس» ربما يعني عند الأغلب منهم، أو في فترة دون فترة، ذلك أن القرآن نزل بلغة العرب، والنبي الأمي - صلوات الله وسلامه عليه - خاطبهم بلغتهم التي يفهمون، وقد ذكر النفس والروح، والتي فهموا منها - أو

---

(١) ((مختصر ما بعد الموت)) (ص ٣١).

(٢) ((في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيق)) (ص ١٢٠).

بعضهم - أن المراد بها في بعض كلامه ﷺ النفس أو الروح التي هي قسيمة البدن، لكن كلام الدكتور يُفهم منه أن هناك ندرةً وشُحّاً في النصوص التي تبيِّن مفهوم الروح عندهم.

جاء في كتاب «ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي»، قول الباحث: «لم نجد في شعر الجاهليين ما يفيد في فهم معين للروح، ونظرة محددة إليها، وإنما كل ما وجدناه هو ذكر للروح فقط، ورد في شعر عبيد بن الأبرص، في قوله:

هل نحن إلا كأجساد تمر بها ... تحت التراب وأرواحٌ كأرواحِ

هذا يُستفاد منه: أنه كانت عند الشاعر فكرة عن الروح، ولكننا لا نستطيع أن نحدد وجود هذه الفكرة»[1].

وهي بلا شك موجودة عند من أنشدهم الشاعر أيضاً، وإلا كان كلامه عبثاً.

ومعلوم أن بعض العرب في الجاهلية تصوَّر الروح تصوراً مادياً، وقد ذكر المسعودي مذاهبهم وتنازعهم في كيفيتها، يقول: «كانت للعرب مذاهب في الجاهلية في النفوس، وآراء ينازعون في كيفيتها.

فمنهم من زعم أن النفس هي الدم لا غير، وأن الروح الهواء الذي في باطن جسم المرء منه نفسه؛ ولذلك سموا المرأة نفساء؛ لما يخرج منها من الدم... قال «تأبّط شرّاً» لخاله الشنفرى الأكبر وقد سأله عن قتيل قتله: كيف كانت قصته؟ فقال: ألحيته عضباً فسالت نفسه سكباً.

وقال ابن براق في كلمة:

وكم لاقيت ذا نجب شديد ... تسيل به النفوس على الصدور

---

(١) ((ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي)) (ص ١١٤).

إذا الحرب العوان به استهامت وحال، فذاك يوم القمطرير

وطائفة منهم تزعم أن النفس طائر ينبسط في جسم الإنسان، فإذا مات أو قُتِلَ لم يزل مطيفاً به، متصوراً إليه في صورة طائر يصرخ على قبره مستوحشاً... ويزعمون أن هذا الطائر يكون صغيراً، ثم يكبر حتى يصير كضرب من البوم، وهي أبداً تتوحش وتصرخ، وتوجد أبداً في الديار المعطلة والنواميس، وحيث مصارع القتلى وأجداث الموتى»[١].

إذاً فالعرب تصوروها الدم السائل من الجراحة المفضي إلى الموت، وتصوروها الطائر الملازم للقبور، وهذا نوع من التصور الذي كان عليه المشركون، وهو لا يخرج عن نطاق المادة وما يُدرَك بالحس.

ولعل جذور هذين المذهبين يمتد إلى الماضي البعيد، وكان يلازمه أو جاء بعده مذهب ثالث – وإن لم يكن سائداً – يفهم من الروح ما يفهمه المسلمون وغيرهم من أنها تلك التي بوجودها تكون الحياة وبفراقها يكون الموت، وبرهان ذلك أمران:

الأول: أن الإسلام قد ذكر الروح، وخاطب بكلامه العرب الأقحاح، ففهموا المراد، وهذا يعني أن لديهم علماً عن الروح، وإلا كان الكلام معهم عنها كالكلام مع العجموات.

الثاني: أن مشركي العرب قد احتكوا ببعض أهل الكتاب وغيرهم ممن لهم علم بالروح، فأخذوا عنهم وتأثروا بهم، يوضح هذا أن النبي ﷺ قد سُئل وهو بين أظهرهم عن الروح، الذي هو الروح الإنساني عند بعض أهل العلم – كما تقدم

---

(١) ((مروج الذهب)) (١/ ١٣٤).

الكلام عليه عند عقائد السلف – مما يعني فهمهم للمراد به.

وعن العصر الذي عُرف به هذا المعتقد، يقول بعض الباحثين: «إن العربي عرف الروح «في العصر الذي انتشرت فيه الصابئة واليهود، لا في العصر الذي سادت فيه أسطورة الروح – المذكورة – إذ كانت الحياة عبارة عن الطبيعة نفسها»[١].

والمهم في تقرير هذا المعتقد أن مشركي العرب على اختلاف مذاهبهم كانوا يفهمون أن الروح شيء آخر غير البدن، يبقى الإنسان حياً ما دام ملازماً له، فإذا فارقه مات.

وكان الطائر الذي تتشكل فيه الروح البوم ومنه الصدى[٢] والهامة الوارد ذكرها في حديث: ((لا عدوى ولا هامة ولا صفر))[٣].

يقول ابن منظور: «كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لم يُدْرَك بثأره تصير هامة، تقول: اسقوني، اسقوني، فإذا أُدْرِك بثأره طارت، وهذا المعنى أراد جرير بقوله:

ومنا الـذي أبكى صُـديَّ بن مالك ونفَّـر طـيراً عـن جُعـادة وقعـا

يقول: قُتل قاتلُه فنفرت الطير عن قبره.

... ومنه قول ذي الإصبع:

يا عمرو، إن لا تدع شتمي ومنقصتي أضربك حتى تقول الهامة اسقوني[٤]

---

(١) ((الأساطير والخرافات عند العرب)) (ص ٥٦).

(٢) انظر: ((لسان العرب)) (١٢/ ٦١).

(٣) صحيح.
أخرجه **البخاري** في كتاب: الطب، باب الجذام (٥/ ٢١٥٨ برقم ٥٣٨٠).

(٤) ((لسان العرب)) (١٢/ ٦٢٤)، وانظر: ((البدء والتاريخ)) (٢/ ١١٨).

أما الصدى ففي بعض معانيه أنه طائر يخرج من رأس القتيل إذا بلي، وقد أُطْلِق على غير القتيل أيضاً[١]، «وقد ظل هذا من تخيلات العرب بعد الإسلام، مما يدل على أصالته في نفوس العرب، قال توبة:

ولـو أن ليلى الأخيلية سلَّمت ... عليَّ، ودوني جندلٌ وصفائحُ

لسلَّمتُ تسليم البشاشة أو رقا ... إليها صدىً من جانب القبر صائحُ

... وقال جميل بن معمر:

يهواك ما عشتُ الفؤادُ فإن أمت ... يتبع صداي صداك بين الأقبرِ[٢]

فالهامة والصدى هما الروح التي تفارق الجسد بالقتل أو الوفاة.

٢- الاعتقاد بأن أرواح الموتى تتردد على أهلها عاماً كاملاً:

كان العرب يتواصون بالنياحة التي حرمها الإسلام وينهون عن بعض، وكانوا يعتقدون أن أرواح الموتى لا تنقطع عن التردد إلى منازلهم في الدنيا طيلة سنة كاملة. قال لبيد[٣] لابنته لما حضرته الوفاة[٤]:

تمنى ابنتاي أن يعيش أبوهما ... وهل أنا إلا من ربيعةَ أو مضرْ

فقوما وقولا بالذي تعلمانه ... ولا تخمشا وجهاً ولا تحلقا شعرْ

وقولا هو المرء الذي لا صديقَه ... أضاع، ولا خان الأمين ولا غدرْ

إلى الحول ثم اسم السلام عليكما ... ومن يبكِ حولاً كاملاً فقد أعذرْ[٥]

---

(١) انظر: ((الأسطورة عند العرب في الجاهلية)) (ص ٧٩).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)) (٧٩ – ٨٠).

(٣) **لبيد بن ربيعة أبو عقيل العامري**، الشاعر المشهور، توفي سنة إحدى وأربعين. انظر: ((البداية والنهاية)) (٧/ ٢٢٢).

(٤) ((معجم البلدان)) (٤/ ٦٩).

(٥) انظر: ((بلوغ الأرب)) (٣/ ١٦)، و((الأسطورة عند العرب في الجاهلية)) (٤١ - ٤٢).

٣- الاعتقاد بتقديس الأسلاف وعبادة أرواحهم:

لم أقف على نص صريح في تقرير هذا المعتقد، ومبناه عند بعض الباحثين على الاستنتاج، يقول علي جواد: «ومعارفنا عن عبادة السلف عند الجاهليين قليلة، ويمكن أن نستنتج من أمر النبي ﷺ بتسوية القبور ونهيه عن اتخاذها مساجد ومواضع للصلاة أن الجاهليين كانوا يعبدون أرواح أصحاب هذه القبور ويتقربون إليها، ولعل في عبارة «قبر ونفس» أو «نفس وقبر» الواردة في بعض النصوص الجاهلية ما يؤيد هذا الرأي، فإن النفس هي الروح»[١].

وقد ذكر جملة من آثار عبادة السلف التي أشار إليها العلماء من نحو حلق الرأس، وتجريح الجسد، واحتفالات دفن الموتى، ولبس المسوح، والعناية بالقبور والصلاة عليها، وإقامة شعائر دينية فوقها، أو علامات خاصة بالميت أو الموتى للتقديس[٢].

وإذا ما عدتَ بالذاكرة إلى الخلف، فإنك تلحظ أن عبادة الأموات أو الأسلاف عند العرب لا ترقى إلى مستوى عبادتها عند بعض الشعوب كما في الديانات الهندية واليونانية مثلاً، حيث ارتبطت عبادتهم لها بتفريعات عقدية كثيرة كما تقدم، ومثل هذه التفريعات لم تُلْحَظ عند العرب.

٤- الاعتقاد بالبعث والحساب عند بعضهم:

عقيدة البعث والحساب والمجازاة على الأعمال ليست من العقائد المتفق عليها عند العرب، ويمكن تقسيمهم في هذه المسألة إلى ثلاث طوائف:

أ – الطائفة الأولى: أقرت بالبعث والنشور، وأن الله يثيب المطيع، ويعاقب

(١) ((المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام)) (٢/ ٢٨١).

(٢) انظر: ((المصدر السابق)).

العاصي، وهؤلاء هم الموحدون المقرون بالخالق[١].

ومن هؤلاء قس بن ساعدة الإيادي[٢]، وهو القائل[٣]:

يا باكي المــوت والأموات في جدثٍ عليهــمُ مــن بقايــا بزِّهــم خــرقُ
دعهم فــإن لهم يومــاً يُصــاحُ بهم كــما ينبّــه مــن نوماتــه الصعــقُ
حتــى يجيــؤوا بحــالٍ غــير حالِهِمُ خلق مضى ثــم هذا بعــد ذا خلقوا
منهــم عــراةٌ ومنهــم في ثيابهــمُ منها الجديــدُ ومنهــا الأزرق الخَلِقُ

وفي بعض كلامه تفاصيل لا تُعلم إلا بالوحي؛ مما يدل على تأثره بأصل سماوي، ومن دلائل اعتقاد بعضهم بالبعث أنهم «كانوا يربطون الناقة معكوسة الرأس إلى مؤخرها مما يلي ظهرها، أو مما يلي كلكلها وبطنها، ويأخذون ولية فيشدون وسطها ويقلدونها عنق الناقة ويتركونها حتى تموت عند القبر، ويسمون الناقة: بلية، والخيط الذي تُشَدُّ به: ولية»[٤].

وذلك أنهم كانوا يرون أن الناس يُحشَرون ركباناً على البلايا، ومشاةً إذا لم تُعكَس مطاياهم عند قبورهم[٥].

قال الشهرستاني: «وكان بعض العرب إذا حضره الموت يقول لولده: ادفنوا معي راحلتي حتى أُحشَر عليها، فإن لم تفعلوا حُشِرْتُ على رجلي، قال جريبة بن

---

(١) انظر: ((مروج الذهب)) (١/ ١٣٦).

(٢) **قس بن ساعدة بن حذافة بن زفر الإيادي**، البليغ الخطيب المشهور، مات قبل البعثة، عاش ثلاثمائة وثمانين سنة، وهو أول من آمن بالبعث من أهل الجاهلية.
انظر: ((الإصابة)) (٥/ ٥٥١).

(٣) انظر: ((البداية والنهاية)) (٢/ ٢٣٦).

(٤) ((الملل والنحل)) (٢/ ٥٩٤).

(٥) انظر: ((تاج العروس)) (١٠/ ٤٣).

الأشيم الأسدي في الجاهلية وقد حضره الموت يوصي ابنه سعداً:

يـا سعدُ إمـا أهلكـنَّ فإننـي أوصيـك إن أخا الوصـاةِ الأقربُ
لا تتركـنَّ أبـاك يعثـر راجـلاً في الحـشر يـصرع لليديـن وينكبُ
واحمـلْ أبـاك عـلى بعيـرٍ صالـحٍ وابـغ المطيـةَ إنـه هـو أصـوبُ
ولعـلَّ لي ممـا تركـتُ مطيـةً في الحشرِ أركبها إذا قيـل اركبوا»[١]

وقد ذكر الشهرستاني في هذا الباب من قصائد العرب المثبِتة للبعث الكثير، وفيما ذكرت غنية عن التطويل.

ب- **الطائفة الثانية**: أنكرت البعث والإعادة بعد الموت، وإنكارهم في الأصل مبني على إنكارهم للخالق _تعالى - وهؤلاء الدهرية وصفهم الشهرستاني بقوله: «معطِّلة العرب... منكروا الخالق والبعث والإعادة، وقالوا بالطبع المحيي، والدهر المفني، وهم الذين أخبر عنهم القرآن المجيد ﴿وَقَالُوا۟ مَا هِىَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَآ إِلَّا ٱلدَّهْرُ﴾ [الجاثية: ٢٤]».

فشبهتهم: اعتقادهم أن لا دار غير هذه التي هم عليها، فيموت قوم ويعيش آخرون، وقد أجابهم الحق -تعالى- في آخر الآية الآنفة الذكر فقال سبحانه: ﴿وَمَا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ﴾ [الجاثية: ٢٤].

فكلامهم صادر عن غير علم، وغاية ما عندهم الظن فما يتكلمون إلا به، ولا يستندون إلا إليه.

ج - **الطائفة الثالثة**: أنكرت البعث والإعادة، ولم تنكر الخالق سبحانه، قال -تعالى-: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُم مَّنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُ ﴾ [الزخرف: ٨٧]، ومع هذا قالوا:

---

(١) ((الملل والنحل)) (٢/ ٥٩٣).

﴿إِنْ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا ٱلْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ﴾ [الدخان: ٣٥]، فأقروا بالبداءة والمُبدئ، وأنكروا البعث والمعاد.

قال الشهرستاني عن هذه الطائفة: «وهم الذين أخبر عنهم القرآن في قوله -تعالى-: ﴿وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ قَالَ مَن يُحْيِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٌ﴾ [يس: ٧٨]». وهذا النوع جاء ذكره في قول المصطفى ﷺ عنه ربه -تعالى- في الحديث القدسي الشريف: ((**كذبني ابن آدم ولم يكن له ذلك، وشتمني ولم يكن له ذلك، أما تكذيبه إياي أن يقول: إني لن أعيده كما بدأته...**)). ولا شبهة لهم سوى الاستبعاد.

ومما جاء في هذا المعنى ما أنشده شداد بن الأسود بن عبد شمس[1] يرثي به قتلى قريش يوم بدر، فإنه قال:

يحدثنا الرسول بأنا سنحيا وكيف حياة أصداءٍ وهامِ

وإذا كان بعض العرب يعتقد بالبعث وبعضهم ينكره فهل خطر ببالهم مسألة التقمص والتناسخ كما مر في بعض الأديان؟

ذكر غير واحد من أهل العلم أن من العرب من قال بالتناسخ، فقال الشهرستاني: «ومن العرب من يعتقد التناسخ، فيقول: إذا مات الإنسان أو قُتِلَ اجتمع دم الدماغ، وأجزاء بنيته فانتصب طيراً هامة، فيرجع إلى رأس القبر كل مائة سنة، ومن هنا أنكر عليهم الرسول - عليه الصلاة والسلام -فقال: ((**لا هامة...**))».

ولما وقف الألوسي عند قوله تعالى: ﴿نَمُوتُ وَنَحْيَا﴾ [الجاثية: ٢٤]. ذكر في تفسيرها عدة أقوال ختمها بقوله: «وجوز أن يريدوا بالحياة على سبيل المجاز:

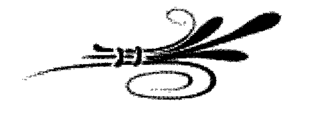
---

(١) **شداد بن الأسود بن شعوب الليثي**، نسب إلى أمه شعوب، وهو من بني ليث بن كنانة، وله أبيات في رثاء أهل بدر، وقد أسلم.

إعادة الروح لبدن آخر بطريق التناسخ، وهو اعتقاد كثير من عُبَّاد الأصنام، ولا يخفى بعد ذلك».

وقد ذكر عبدالعزيز الثعالبي أن هذا المعتقد انتقل من مصر إلى بلاد العرب.

لكن الذي يظهر لي أن الاعتقاد بالتناسخ عند بعض العرب مغمور، والمشهور عندهم خلافه، ولم يثبت – حسب علمي – لهم فلسفة في التناسخ كما هو الحال عند الهنود وغيرهم من التناسخية.



الخاتمة

الحمد لله الذي بفضله تتم الصالحات، والصلاة والسلام على خاتم أنبيائه ورسله، وعلى آله وصحبه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:
ففي ختام هذا الكتاب أجمل أهم نتائجه في الآتي:

١- تنعدم الثقة في ما ذكره أهل الكتاب من اليهود والنصارى عن الروح وما يتصل بها؛ ذلك أنهم بنوا عقائدهم في بعض ما يذكرونه على كتب قد طرأ عليها التغيير والتبديل.

أضف إلى ذلك أنهم قد ابتدعوا كثيراً في مسائل الروح، وجاؤوا بعقائد كفرية تصادم وحي السماء، كما أنهم يضطربون ولا يتفقون – في الجملة – فيما بينهم.

٢- يظهر التشوه في العقائد التي يدين بها من لهم شبهة كتاب من المجوس والصابئة المندائية، وبعض ما يذكرونه من عقائد مشوهة في الروح وما يتصل بها يوحي بأن له أصلاً سماوياً أو أنه قد تأثر بأصل سماوي.

٣- يغلب على أكثر الديانات الوضعية الاعتقاد بالتناسخ، والحلول، والرجعة، ويتميز قدماء المصريين في بعض عقائدهم بما يوحي بأن لها أصلاً سماوياً وخاصة فيما يتعلق بالبعث.




al-maktabeh
www.
.com
مكتبة
المهتدين

الفهارس

١- فهرس الأعلام المترجم لهم.

٢- فهرس الأديان، والفرق، والطوائف.

٣- فهرس المصادر والمراجع.

٤- فهرس الموضوعات.





فهرس الأعلام المترجم لهم

فهرس الأديان، والمذاهب

فهرس المصادر والمراجع

حرف الألف

١- القرآن الكريم.

٢- أبو الأنبياء الخليل إبراهيم: عباس محمود العقاد، ط (١٩٥٣م) مطابع دار أخبار اليوم - مصر.

٣- الآثار العقدية للوثنية اليونانية: علي الشبل، ط١ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) مطابع جامعة الإمام - الرياض.

٤- الأثر الفارسي الهندي في التوراة: **عبدالمجيد حمو، ط/ دار غار حراء - دمشق.**

٥- الأحناف: عماد الصباغ، ط١ (١٩٩٨م) دار الحصاد للنشر والتوزيع - دمشق.

٦- أخبار الحكماء: القطفي، ط (٢٠٠١م)، المكتبة الأزهرية للتراث - مصر.

٧- أخلاق اليهود وأثرها في حياتهم المعاصرة: وفاء صادق، ط١ (١٤٠٨هـ - ١٩٧٨م) دار الفرقان للنشر والتوزيع - عمان.

٨- أديان العرب قبل الإسلام ووجهها الحضاري والاجتماعي: الأب جرجس داود، ط٣ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٥م) مجد المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت.

٩- الأديان القديمة في الشرق: رؤوف شلبي، ط ٢ (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) دار الشروق - بيروت.

١٠- أديان الهند الكبرى: أحمد شلبي، ط٩ (١٩٩٠م) مكتبة النهضة المصرية - القاهرة.

١١- الأديان في القرآن: محمد الشريف، ط٤ (١٩٧٩م) دار عكاظ للطباعة والنشر - جدة.

١٢- الأديان والمذاهب بالعراق: رشي الخيون، ط١ (٢٠٠٣م) منشورات الجمل - بيروت.

١٣- أساطير التوراة الكبرى وتراث الشرق الأدنى القديم: كارم محمود، ط١ (١٩٩٩م) دار الكلمة - دمشق.

١٤- الأساطير والخرافات عند العرب: محمد خان، ط٤ (١٩٩٣م) دار الحداثة للطباعة والنشر والتوزيع - بيروت.

١٥- أسرار الوجود وانعكاساته التربوية: حسن الحياري، ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) دار الأمل - الأردن.

١٦- أسس الديانتين الإسلام والمسيحية: عايدة طالب، ط١ (٢٠٠٣م) دار العلم - بيروت.

١٧- الأسطورة عند العرب في الجاهلية: حسين الحاج، ط (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع - بيروت.

١٨- الأسفار المقدسة في الأديان السابقة للإسلام: علي عبدالواحد وافي، ط/ دار نهضة مصر للطبع والنشر - القاهرة.

١٩- الأسفار المقدسة قبل الإسلام: صابر طعيمة، ط١ (١٤٠٦هـ - ١٩٨٥م) عالم الكتب - بيروت.

٢٠- الإسلام والأديان الأخرى نقاط الاتفاق والاختلاف: لواء أحمد عبدالوهاب، ط/ مكتبة التراث الإسلامي - القاهرة.

٢١- الإسلام والأديان: مصطفى حلمي، ط ١ (١٤١١هـ - ١٩٩٠م) دار الدعوة للنشر والتوزيع - الإسكندرية.

٢٢- أشهر الديانات القديمة: لطفي وحيد، ط/ المركز العربي للنشر بالإسكندرية - مصر.

٢٣- الإصابة في تمييز الصحابة: ابن حجر، تحقيق: عادل أحمد وآخر، ط ١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٤- أصل الإنسان وسر الوجود: باسمه كيال، ط دار ومكتبة الهلال - بيروت.

٢٥- أصلح الأديان للإنسانية: أحمد عبدالغفور، ط (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) مكة المكرمة.

٢٦- أصول الدين: البغدادي، ط٣ (١٣٤٦هـ - ١٩٢٨م) دار الكتب العلمية - بيروت.

٢٧- الأضحوية في المعاد: لابن سينا، تحقيق: حسن عاصي، ط١ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر - بيروت.

٢٨- أضواء علمية على العالم الآخر: موريس شربل، ط١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) دار المناهل - بيروت.

٢٩- الأعلام: للزركلي، ط ٣، وط٤ (١٩٧٩م) دار العلم للملايين - بيروت.

٣٠- أفلاطون: محمد كامل، ط (١٩٨٨م) منشورات العالمي - بيروت.

٣١- أفلوطين رائد الوحدانية: غسان خالد، ط١ (١٩٨٣م) منشورات عويدات - بيروت.

٣٢- أقانيم النصارى: أحمد حجازي، ط ١ (١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م) مطبعة المجد - مصر.

٣٣- إنجيل برنابا: ترجمة خليل سعادة، ط (١٩٥٨م) مطبعة محمد علي صبيح وأولاده بالأزهر - مصر.

٣٤- الإنسان الكامل في معرفة الأوائل والأواخر: عبدالكريم الجيلي، ط/ القاهرة بدون بيانات.

٣٥- الإنسان في ظل الأديان: عمارة نجيب، ط (١٤٠٠هـ - ١٩٧٩م) مكتبة المعارف - الرياض.

٣٦- أوربا في مطلع العصور الحديثة: عبدالعزيز الشناوي، ط٤ (١٩٨٠م) مكتبة الأنجلو المصرية.

٣٧- أوهام التاريخ اليهود: جودت السعد، ط١ (١٩٩٨م) الأهلية للنشر والتوزيع - لبنان.

٣٨- الآيات البينات في عدم سماع الأموات عند الحنفية السادات: الألوسي، تحقيق: الألباني، ط ٤ (١٤٠٥هـ) المكتب الإسلامي - بيروت.

٣٩- إيضاح الدليل في قطع حجج أهل التعطيل: محمد بن إبراهيم بن جماعة، تحقيق: وهبي سليمان الألباني، ط١(١٩٩٠م) دار السلام.

٤٠- الإيمان والروح: أحمد عبدالمنعم، ط (١٣٦٦هـ - ١٩٤٧م)، شركة مطبعة مصطفى البابي الحلبي وأولاده - مصر.

حرف الباء

٤١- الباجافاد جيتا (الكتاب الهندي المقدس): شاكوانتا لاراوا، ترجمة: رعد عبدالجليل، ط٢ (٢٠٠٠م) دار الحوار للنشر والتوزيع - سوريا.

٤٢- البدء والتاريخ: مطهر بن طاهر المقدسي، مكتبة الثقافة الدينية - القاهرة.

٤٣- بدايات التفلسف الإنساني: مهدي فضل الله، ط١ (١٩٩٤م) دار الطليعة للطباعة والنشر - بيروت.

٤٤- بدايات الفلسفة الأخلاقية: محمد عبدالرحمن مرحبا، ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر - بيروت.

٤٥- البداية والنهاية: ابن كثير، تحقيق: أحمد أبو ملحم وغيره، ط٣ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) دار الكتب العلمية - بيروت.

٤٦- بوذا: واليولاراهولا، ترجمة: يوسف شلبي، ط ١ (٢٠٠١م) ورد للطباعة والنشر والتوزيع سوريا.

٤٧- بوذى الأكبر وحياته وفلسفته: حامد عبدالقادر ط/ دار نهضة مصر للطباعة والنشر - مصر.

٤٨- البوذية: هنري آرفون، ترجمة: هنري زغيب، ط٢ (١٩٨٥م) المنشورات العربية - بيروت.

٤٩- البيان في مقارنة الأديان: أسعد السحمراني، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) دار النفائس - بيروت.

٥٠- البيروني فيلسوفاً: بركات محمد، ط١ (١٩٨٨م) الصدر لخدمات الطباعة.

٥١- بين عالمين: مصطفى الكيك، ط (١٩٦٥م) دار المعارف - مصر.

حرف التاء

٥٢- تاج العروس: **الزبيدي، تحقيق: عبدالستار أحمد، ط (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) التراث العربي - بيروت.**

٥٣- تاريخ الفلسفة العربية: جميل صليبا، ط٣ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) الشركة العالمية - بيروت.

٥٤- تاريخ الفلسفة العربية: حنا الفاخوري، ط٢ (١٩٦٣م) مؤسسة بدران وشركاه - بيروت.

٥٥- تاريخ الفلسفة اليونانية من منظور شرقي: مصطفى النشار، ط (١٩٨٩م) دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

٥٦- تاريخ الفلسفة اليونانية: م.ع. مرحبا، ط ١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) مؤسسة عزالدين - بيروت.

٥٧- تاريخ أهل الذمة في العراق: توفيق سلطان، ط (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) دار العلوم للطباعة والنشر - الرياض.

٥٨- تاريخ بغداد: البغدادي، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت.

٥٩- تاريخ جهنم: جورج مينوا، تعريب: أنطوان إ. الهاشم، ط١ (١٩٩٦م) منشورات عويدات - بيروت.

٦٠- تاريخ مصر القديمة: نيقولا جبريهال، ترجمة: ماهر جويجاتي، ط٢ (١٩٩٣م)، دار الفكر للدراسات والنشر - القاهرة.

٦١- التراث الإسرائيلي في العهد القديم: صابر طعيمة، ط (١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م) دار الجيل - بيروت.

٦٢- تراث العرب في العلم والفلسفة: كمال اليازجي، ط/ دار المكشوف - لبنان.

٦٣- تعريف عام بالديانة الهندوسية: إسماعيل عبدالقادر، ط١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) دار الفتح - الشارقة.

٦٤- تفسير القرآن العظيم: ابن كثير، ط (١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م) دار الفكر - بيروت.

٦٥- التفسير الكاشف: محمد جواد مغنية، ط١ (١٩٦٨م) دار العلم للملايين - بيروت.

٦٦- التلمود تاريخه وتعاليمه: ظفر الإسلام، ط٦ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) دار النفائس - بيروت.

٦٧- التلمود: آ. كوهن، ترجمة: جاك مارتي، نقله إلى العربية: سليم طنوس، ط١ (٢٠٠٥م) دار الخيال - بيروت.

٦٨- تهافت التهافت: ابن رشد، تقديم: محمد العريبي، ط١ (١٩٩٣م) دار الفكر اللبناني - بيروت.

٦٩- التوراة الكنعانية: هـ.ا.يل ميديكو، ترجمة: جهاد هواش وآخر، ط١ (٢٠٠٠/ ١٩٨٨) دار دمشق - سوريا.

٧٠- التوراة بين الوثنية والتوحيد: سهيل ديب، ط١ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) دار النفائس - بيروت.

٧١- تيارات الفلسفة الشرقية: محمد حسن، ط/ منشورات دار علاء الدين - دمشق.

حرف الجيم

٧٢- الجديد في الحكمة: لابن كمونة، تحقيق: حميد الكبيسي، ط (١٤٠٣هـ - ١٩٨٢م) إحياء التراث الإسلامي - الجمهورية العراقية.

٧٣- جذور الحضارة المصرية: إبراهيم الشتلة، ط (١٩٩٨م) مصر.

٧٤- جمهورية أفلاطون : دراسة وترجمة : فؤاد زكريا ، ط(١٩٨٥م) الهيئة المصرية العامة للكتاب .

٧٥- جمهورية أفلاطون: أفلاطون، ترجمة: حنا خباز، ط ٢ (١٩٨٠م) - بيروت.

حرف الحاء

٧٦- حقيقة البيان في وود الخالق وكيان الإنسان: ملكة حبيب، مطبعة الأمانة - مصر.

٧٧- حقيقة النصرانية من الكتب المقدسة: أحمد حجازي السقا، ط/ دار الفضيلة - القاهرة.

٧٨- الحكماء الثلاثة: أحمد الشنتاوي، ط٢ (١٩٦٧م) دار المعارف بمصر - القاهرة.

٧٩- حياة القبوريين المسلمين وأهل الكتاب: أحمد حجازي، ط/ مصر.

حرف الخاء

٨٠- الخلود في حضارة مصر القديمة: محمد الخطيب، ط (١٩٩١م) دار أطلس للدراسات والترجمة والنشر - مصر.

حرف الدال

٨١- دائرة معارف القرن العشرين: فريد وجدي، ط (١٩٦٧م)، دار الفكر - بيروت.

٨٢- دراسات في الأديان الوثنية القديمة: أحمد علي عجيبة، ط١ (٢٠٠٤م) دار الآفاق العربية - القاهرة.

٨٣- دراسات في الأديان اليهودية والمسيحية: سعود الخلف، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م) أضواء السلف - الرياض.

٨٤- دراسات في الفلسفة الإسلامية: محمود قاسم، ط٣ (١٩٧٠م) دار المعارف - مصر.

٨٥- دراسات في المسيحية: محمود كريت، ط١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) دار الطباعة المحمدية - القاهرة.

٨٦- دراسات في تاريخ الشرق الأدنى القديم: محمد بيومي، ط (١٩٨٤م) دار المعرفة الجامعية - مصر.

٨٧- دراسات في تاريخ الفلسفة: كامل حمود، ط/ دار الفكر اللبناني - بيروت.

٨٨- دراسات في علم الكلام والفلسفة الإسلامية: يحيى هويدي، ط (١٩٨٥م) - دار الثقافة للنشر - القاهرة.

٨٩- الديانات الوضعية الحية في الشرقين الأدنى والأقصى: محمد العربي، ط١ (١٩٩٥م) دار الفكر اللبناني - بيروت.

٩٠- الديانات الوضعية المنقرضة: محمد العريبي، ط١ (١٩٩٥م) دار الفكر اللبناني - بيروت.

٩١- الديانات والعقائد في مختلف العصور: أحمد عبدالغفور عطار، ط١ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) مكة المكرمة.

٩٢- الديانة الفرعونية: واليس بدج، ترجمة: نهاد خياطه، ط٢ (١٩٩٣م) دار علاء الدين - دمشق.

٩٣- الديانة المسيحية: نهى نجار، ط١ (١٩٩٥م)، دار الفكر اللبناني - بيروت.

٩٤- الديانة الهندوسية ونظرتها تجاه البشرية: أليف الدين الترابي، ط١ (١٩٩٧م) المركز الإعلامي لكشمير المسلمة بإسلام أباد - باكستان.

٩٥- ديانة مصر القديمة نشأتها وتطورها: أدولف إرمان، ترجمة: عبدالمنعم أبو بكر، ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٥م) مكتبة مدبولي - القاهرة.

٩٦- الدين المصري: خزعل الماجدي، ط١ (١٩٩٩م) دار الشروق - الأردن.

٩٧- الدين المقارن: محمد أبو الفيض، ط/ نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع، الفجالة - مصر.

حرف الراء

٩٨- ربيع الفكر اليوناني: عبدالرحمن بدوي، ط٥ (١٩٧٩م) دار القلم - بيروت.

٩٩- الرد على النصارى: القاسم بن إبراهيم، تحقيق: إمام حنفي، ط١ (١٤٢٠هـ - ٢٠٠٠م) دار الآفاق العربية - القاهرة.

١٠٠- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني: الألوسي، ط٤ (١٤٠٥هـ - ١٩٨٥م) دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٠١- الروح بين الدين والفلسفة: محسن أحمد، ط١ (١٤٢٠هـ-١٩٩٩م) مؤسسة الأعلمي للمطبوعات - بيروت.

حرف الزاي

١٠٢- زرادشت الحكيم: حامد عبدالقادر، ط١ (١٩٥٦م) مكتبة نهضة مصر.

١٠٣- زرادشت والديانة الزرادشتية: فارس عثمان، ط١ (٢٠٠٢م) دار آية بيروت - دمشق.

حرف السين

١٠٤- سقراط أمجد الفلاسفة: جان براند، تعريب: جورج أبو كسم، ط١ (١٩٩٤).

١٠٥- سقراط رائد فلاسفة اليونان: فاروق عبدالمعطي، ط/ دار الكتب العلمية - بيروت.

١٠٦- سقراط: الفرد دوارد، ط (١٩٦٢م) مكتبة نهضة مصر ومطبعتها - مصر.

١٠٧- سنن الترمذي: الترمذي، تحقيق: كمال الحوت، ط (١٤٠٨هـ-١٩٨٨م) دار الفكر - بيروت.

حرف الشين

١٠٨- الشرق الأوسط في موكب الحضارة: محمد علي، ط (١٩٥٩م) النهضة المصرية - مصر.

حرف الصاد

١٠٩- الصابئة المندائية في إيران: رؤوف سبهاني، ط١ (١٤٢٧هـ- ٢٠٠٦م) دار المحجة البيضاء - بيروت.

١١٠- الصابئة المندائيون: سليم برنجي، ترجمة: جابر أحمد، ط١ (١٩٩٧م) دار الكنوز الأدبية - بيروت.

١١١- صابئة حران والتوحيد الدرزي: محمد عبدالحميد، ط٣ (٢٠٠٤م) دار الطليعة الجديدة - دمشق.

١١٢- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان: محمد بن حبان، تحقيق: شعيب الأرنؤوط، ط٢(١٤١٤ هـ - ١٩٩٣ م) مؤسسة الرسالة- بيروت

١١٣- صحيح البخاري: البخاري، تحقيق: د. مصطفى ديب البغا، ط ٤ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) دار ابن كثير، دمشق - بيروت.

١١٤- صحيح سنن أبي داود: الألباني، ط(١٤٠٩هـ-١٩٨٩م) المكتب الإسلامي - بيروت.

١١٥- صحيح سنن الترمذي: الألباني، ط ١ (١٤٠٨هـ - ١٩٨٢م) المكتب الإسلامي - بيروت.

١١٦- صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج القشيري، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١١٧- صوت داهش: مجلة ثقافية فصلية عدد (٣) - سنة (٥) شتاء (٢٠٠٠)، تصدر عن الدار الداهشية - نيويورك.

حرف العين

١١٨- عالم الأديان بين الأسطورة والحقيقة: فوزي محمد، ط (١٩٩١م) منشورات جمعية الدعوة الإسلامية - ليبيا.

١١٩- العبادات في الديانات القديمة: عبدالرزاق الموجي، ط١ (١٤٢٥هـ - ٢٠٠٤م) الأوائل للنشر والتوزيع - دمشق.

١٢٠- علم اللاهوت النظامي: القس حيمس أنس، راجعه ونقحه وأضاف إليه: القس منيس عبدالنور.

١٢١- العود للتجسد في المفهوم العلمي الحديث: عبدالعزيز جادو، ط/ منشأة المعارف بالإسكندرية - جلال حزي وشركاه.

حرف الفاء

١٢٢- فتح القدير: الشوكاني، ط (١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م) دار الفكر - بيروت.

١٢٣ - الفرق بين الفرق: لأبي منصور البغدادي، تحقيق: محمد محي الدين، مكتبة صبيح - القاهرة.

١٢٤ - فضح التلمود: زهدي الفاتح، ط ٤ (١٤١٢هـ - ١٩٩١م) دار النفائس - بيروت.

١٢٥ - الفكر الديني القديم: تقي الدباغ، ط١ (١٩٩٢م) دار الشؤون الثقافية العامة - بغداد.

١٢٦ - الفكر الديني اليهودي: حسن ظاظا، ط٢ (١٤٠٧هـ - ١٩٨٧م) دار القلم - دمشق.

١٢٧ - الفكر الفلسفي الهندي: سرفبالي كرشنا، ترجمة: ندرة اليازجي، ط (١٩٦٧م) دار اليقظة العربية - بيروت.

١٢٨ - الفكر الفلسفي والأخلاقي عند اليونان: محمد الجبر، ط١ (١٩٩٤م) دار دمشق - دمشق.

١٢٩ - فكر الهند: ألبير شويتزر، ترجمة: يوسف شلبي، ط١ (١٩٩٤م) دار طلاس للترجمة والنشر - بيروت.

١٣٠ - الفكر اليوناني قبل أفلاطون: حسين حرب، ط ٢ (١٩٨٤م) دار الفارابي - بيروت.

١٣١ - فكرة عن فلسفة سقراط: محمد المفتي، ط/ دار الفكر العربي.

١٣٢ - فلاسفة إنسانيون: كارل ياسبرس، ترجمة: عادل العوّا، ط٣ (١٩٨٨م) دار منشورات عويدات - بيروت.

١٣٣- فلسفات إسلامية: محمد جواد مغنية، ط ٦ (١٩٩٣م) دار مكتبة الهلال - بيروت.

١٣٤- الفلسفة الشرقية: محمد غلاب، ط٢ (١٩٥٠م) مكتبة الأنجلو المصرية.

١٣٥- الفلسفة اليونانية (مقدمات ومذاهب): محمد عبدالرحمن، ط (١٤٠١هـ- ١٩٨١م) منشورات المكتبة والمطبعة العصرية - صيدا.

١٣٦- الفلسفة اليونانية حتى أفلاطون: عزت قرني، ط (١٩٩٣م) دار الفكر - بيروت.

١٣٧- الفلسفة في الهند: علي زيعور، ط (١٤١٣هـ- ١٩٩٣م) مؤسسة عزالدين للطباعة والنشر - بيروت.

١٣٨- في العودة للتجسد بين الاعتقاد والفلسفة والعلم: رءوف عبيد، ط (١٩٧٦م) مطبعة الاستقلال الكبرى - القاهرة.

١٣٩- في الفكر الديني الجاهلي قبل الإسلام: محمد إبراهيم، ط (١٩٧٩م) عالم الكتب - القاهرة.

١٤٠- في الفلسفة الإسلامية منهج وتطبيقه: إبراهيم مدكور، ط٣ دار المعارف - مصر.

١٤١- في النفس والعقل لفلاسفة الإغريق والإسلام: محمود قاسم، ط٤ (١٩٦٩م) مكتبة الأنجلو - مصر.

١٤٢- في تاريخ مصر القديمة: محمد علي، ط (٢٠٠٠م) مركز الإسكندرية للكتاب - الأزاربطة.

١٤٣- في عالم الروح: الأنبا غريغوريوس، ط (١٩٩٢م) دار الجيل للطباعة - مصر.

١٤٤- فيثاغورس فيلسوف علم الرياضيات: فاروق عبدالمعطي، ط (١٤١٤هـ-١٩٩٤م) دار الكتب العلمية - بيروت.

١٤٥- فيثاغورس: مصطفى غالب، ط (١٩٨٣م) دار مكتبة الهلال - بيروت.

١٤٦- فيدون: أفلاطون، ترجمة: عزت قرني، ط ٣ (٢٠٠١م) دار قبا للطباعة والنشر والتوزيع - القاهرة.

حرف القاف

١٤٧- قادة الفكر: طه حسين، ط (١٣٨٣هـ) دار العلم للملايين - بيروت.

١٤٨- قاموس الكتاب المقدس: نخبة من الأساتذة واللاهوتيين، ط٣ (٢٠٠٠م) دار مكتبة العائلة - القاهرة.

١٤٩- قصة الديانات: سليمان مظهر، ط٢ (١٤١٨هـ-١٩٩٨م) مكتبة مدبولي - القاهرة.

حرف الكاف

١٥٠- الكتاب المقدس: **ط/ دار الكتاب المقدس - القاهرة.**

١٥١- كتاب الموتى الفرعوني: برت إم هرو، ترجمة: والس برج، وعنه إلى العربية: فيليب عطية، ط١ (١٩٨٨م) مكتبة مدبولي - القاهرة.

١٥٢- الكتب المقدسة في ميزان التوثيق: عبدالوهاب طويلة، ط١ (١٤١٠هـ-١٩٩٠م) دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع - مصر.

١٥٣- الكنز المرصود في قواعد التلمود: ترجمة: يوسف نصر الله، ط١ (١٤٠٨هـ-١٩٨٧م) دار القلم - دمشق.

١٥٤- كونفوشيوس النبي الصيني: حسن شحاته، طبعة مكتبة نهضة مصر بالفجالة.

حرف اللام

١٥٥- لسان العرب: ابن منظور، ط ٣ (١٤١٤هـ - ١٩٩٤م) دار صادر - بيروت.

١٥٦- الله والعالم والإنسان في الفكر الإسلامي: محمد جلال شرف، ط (١٩٨٠م) دار النهضة العربية - بيروت.

١٥٧- الله: عباس محمود العقاد، ط (٢٠٠١م) نهضة مصر للطباعة والنشر والتوزيع - مصر.

حرف الميم

١٥٨- المجموعات العرقية المذهبية في العالم العربي: ناجي نعمان، ط (١٨٥٢م).

١٥٩- محاضرات في تاريخ المذاهب والأديان: عبدالعزيز الثعالبي، تقديم ومراجعة: حمادي الساحلي، ط١ (١٩٨٥م) دار الغرب الإسلامي - بيروت.

١٦٠- مختصر الموت وما بعده: زين الدين المليباري، ط١ (١٩٩٤م) دار دمشق للنشر والتوزيع - دمشق.

١٦١- المدخل لدراسة التوراة والعهد القديم: محمد علي البار، ط١ (١٤٤٠هـ - ١٩٩٠م) دار القلم - دمشق.

١٦٢- مدخل لقراءة الفكر الفلسفي عند اليونان: مصطفى النشار، ط (١٩٩٨م) دار قبا للطباعة والنشر والتوزيع - مصر.

١٦٣- مذاهب علم النفس: علي زيعور، ط ٥ (١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م) دار الأندلس - بيروت.

١٦٤- المرشد الأمين: دافيد زكي ليشع، ط (١٩٤٨م) مطبعة أوليمبيا سابقاً ومحمود خضر بالخليج المصري بالموسكي - مصر.

١٦٥- مروج الذهب ومعادن الجواهر: المسعودي، تصحيح: شارل بلا، ط١/ منشورات الشريف الرضي، دار الفكر - بيروت.

١٦٦- المسلمون في اليابان: عبدالله اليحيى، ط (١٤٢١هـ)، مطبعة مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية - الرياض.

١٦٧- المسيحية وأساطير التجسد في الشرق الأدنى القديم: دانييل إ. باسوك، ترجمة: سعد رستم، ط١ (٢٠٠٢م) الأوائل للنشر والتوزيع - دمشق.

١٦٨- **المصادر** الشرقية للفلسفة اليونانية: مصطفى النشار، ط١ (١٩٩٧م) دار قبا - القاهرة.

١٦٩- مصر الفرعونية: أسامة حسن، ط١ (١٤١٩هـ-١٩٩٨م) دار الأمل للنشر والتوزيع - القاهرة.

١٧٠- مصر القديمة: جان فير كونير، ترجمة: ماهر جويجاني، ط١ (١٩٩٣م) دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع - القاهرة.

١٧١- مطول الإنسان روح لا جسد: رءوف عبيد، ط٣ (١٩٧١م)، دار الفكر العربي - مصر.

١٧٢- المعتقدات الدينية لدى الشعوب: جفري بارندر، ترجمة: إمام عبدالفتاح، ط٢ (١٩٩٦م) مكتبة مدبولي للنشر والتوزيع - القاهرة.

١٧٣- معجم البلدان: ياقوت الحموي، ط/ دار الفكر - بيروت.

١٧٤- المعجم الفلسفي: عبدالمنعم الحفني، ط ١ (١٤١٠هـ - ١٩٩٠م) الدار الشرقية - القاهرة.

١٧٥- معجم المؤلفين: عمر رضا كحالة، ط/ دار إحياء التراث العربي - بيروت.

١٧٦- المعجم الموسوعي للديانات والعقائد والمذاهب والفرق والطوائف والنحل في العالم منذ فجر التاريخ حتى العصر الحالي: سهيل زكار، ط١ (١٤١٨هـ - ١٩٩٦م) دار الكتاب العربي - بيروت.

١٧٧- المعرفة والنفس والألوهية في الفلسفة الإسلامية والمدارس الفلسفية الأخرى: محمد رضا اللوائي، ط١ (١٩٩٤م) دار الساقي - بيروت.

١٧٨- المفصل في تاريخ العرب قبل الإسلام: جواد علي (١٣٨٠هـ) منشورات الشريف الرضي - بغداد.

١٧٩- مقارنات الأديان (الديانات القديمة): محمد أبو زهرة، ط (١٩٩١م) دار الفكر العربي - القاهرة.

١٨٠- مقارنة الأديان: سعدون الساموك، ط١ (٢٠٠٤م) دار وائل للنشر والتوزيع - الأردن.

١٨١- ملامح الفكر الديني في الشعر الجاهلي: صادق مكي، ط١ (١٩٩١م) دار الفكر اللبناني - بيروت.

١٨٢- ملامح الفكر الفلسفي والديني في مدرسة الإسكندرية القديمة: حربي عطيو، ط١ (١٤١٣هـ - ١٩٩٢م) دار العلوم العربية - بيروت.

١٨٣- الملل والنحل: الشهرستاني، تعليق: أحمد فهمي، ط (١٤١٠هـ) دار الكتب العلمية - لبنان.

١٨٤- من أفلاطون إلى ابن سينا: جميل صليبا، ط٢ (١٤٠١هـ - ١٩٨١م) دار الأندلس - بيروت.

١٨٥- من الفلسفة اليونانية إلى الفلسفة الإسلامية: محمد مرحبا، ط (١٩٨٣م) عويدات للنشر والطباعة - بيروت.

١٨٦- من قاموس الأديان (الشنتوية - الكونفوشية): أسعد السحمراني، ط١ (١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م) دار النفائس - لبنان.

١٨٧- من قاموس الأديان (الصابئة الزرادشتية اليزيدية): أسعد السحمراني، ط١ (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) دار النفائس - لبنان.

١٨٨- من قاموس الأديان (الهندوسية البوذية السيخية): أسعد السحمراني، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٨م) دار النفائس - بيروت.

١٨٩- منحة القريب المجيب في الرد على عباد الصليب: عبدالعزيز ناصر، ط٤ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٩م) دار ثقيف للنشر والتأليف - الرياض.

١٩٠- مندائي: عبدالحميد أفندي، ط١ (٢٠٠٣م) دار الحكمة - لندن.

١٩١- المنهج في تاريخ الفلسفة العربية: حسن عاصي، ط (١٤١٢هـ - ١٩٩٩م) دار المواسم.

١٩٢- المهاربهاراتا: ترجمة: عبدالإله الملاح، ط (١٩٩١م) مكتبة الأسد - دمشق.

١٩٣- المواقف في علم الكلام: عبدالرحمن الإيجي، ط/ عالم الكتب - بيروت.

١٩٤- الموت في الديانات الشرقية: حسين العويدات، ط٢ (١٩٩٢م) الأهالي للطباعة والنشر والتوزيع - دمشق.

١٩٥- موسوعة الأديان الميسرة: مجموعة مؤلفين، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) دار النفائس - لبنان.

١٩٦- موسوعة الأديان: مهدي البصري، ط١ (٢٠٠١م) دار أسامة للنشر والتوزيع - الأردن.

١٩٧- موسوعة الحضارة المصرية القديمة: سمير أديب، ط١ (٢٠٠٠م) العربي للنشر والتوزيع - القاهرة.

١٩٨- الموسوعة الفلسفية: إسماعيل الشرفا، ط١ (٢٠٠٢م)، دار أسامة للنشر والتوزيع - الأردن.

١٩٩- موسوعة المورد: منير البعلبكي، ط/ دار العلم للملايين - بيروت.

٢٠٠- الموسوعة الميسرة في الأديان والمذاهب والأحزاب المعاصرة: إشراف مانع الجهني، ط٣/ دار الندوة العالمية للطباعة والنشر والتوزيع- الرياض.

٢٠١- موسوعة غرائب المعتقدات والعادات: محمد كامل، ط٢ (١٤١٨هـ - ١٩٩٨م) مكتبة الدار العربية للكتاب - القاهرة.

٢٠٢- موقف ابن تيمية من النصرانية: مريم عبدالرحمن، (١٤١٧هـ - ١٩٩٧م) (رسالة علمية موصى بطباعتها) جامعة أم القرى.

٢٠٣- ميثولوجيا الخلود: خزعل الماجدي، ط١ (٢٠٠٢م) الأهلية للنشر والتوزيع - الأردن.

حرف النون

٢٠٤- نحو رؤية جديدة فيما وراء الطبيعة: علي بوملحم، ط١ (١٤١٩هـ - ١٩٩٩م) دار المواسم - بيروت.

٢٠٥- النصرانية تاريخاً وعقيدة وكتاباً ومذهب: مصطفى شاهين، ط/ دار الاعتصام - القاهرة.

٢٠٦- النصرانية في الميزان: محمد عزت، ط١ (١٤١٦هـ - ١٩٩٥م) دار القلم - دمشق.

٢٠٧- النصرانية في ميزان العقل والإسلام: محمد سليم، ط (١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م) دار الكتاب الثقافي - الأردن.

٢٠٨- نظرية الاتصال عند الصوفية في ضوء الإسلام: سارة بنت جلوي، ط١ (١٤١١هـ - ١٩٩١م) دار المنارة - جدة.

٢٠٩- نظرية السعادة عند فلاسفة الإسلام: سعيد مراد، ط (١٩٩٢م) مكتبة الأنجلو المصرية - القاهرة.

٢١٠- نظرية المعرفة عند الرازي من خلال تفسيره: محمد العربي، ط١ (١٩٩٩م) دار الفكر العربي - بيروت.

حرف الهاء

٢١١- الهداية في الفكر الإسلامي وضلال الفكر الغربي: حسن الصباغ، ط١ (١٤٢٢هـ - ٢٠٠١م) دار العصماء - دمشق.

٢١٢- الهندوسية تحضيرها لانعتاق الروح: سوامي نيخيلا، ترجمة: نبيل محسن، ط١ (٢٠٠٠م) دار ورد - دمشق.

حرف الواو

٢١٣- الوافي في تاريخ الفلسفة العربية: عبده الحلو، ط١ (١٩٩٥م) دار الفكر اللبناني - بيروت.

حرف الياء

٢١٤- يا أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء: رؤوف شلبي، ط٢ (١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م) دار الاعتصام - القاهرة.

٢١٥- يقظة أولي الاعتبار ما ورد في ذكر النار وأصحاب النار: صديق حسن

خان، تحقيق: أحمد السقا، ط (١٤١٠هـ) دار التراث الإسلامي - القاهرة.

٢١٦- اليهود الحسيديم: جعفر هادي، ط١ (١٤١٥هـ - ١٩٩٤م) دار القلم - دمشق.

٢١٧- اليهود تاريخ وعقيدة: كامل سعفان، ط٢ دار الاعتصام للطباعة والنشر - القاهرة.

٢١٨- اليهود في عصر المسيح: سيد محمد، ط ١ (١٤١٤هـ - ١٩٩٣م) دار القلم - دمشق.

٢١٩- اليهودي شاول بولس الطرطوسي وأثره في العقائد النصرانية الوثنية: محمد أحمد عبدالقادر، ط١ (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) دار الإسراء للنشر والتوزيع - الرياض.

٢٢٠- اليهودية بين الوحي الإلهي والانحراف البشري: فرج الله عبدالباري، ط١ (٢٠٠٤م) دار الآفاق - القاهرة.

٢٢١- اليهودية والمسيحية: محمد الأعظمي، ط١ (١٤٠٩هـ - ١٩٨٨م) مكتبة الدار - المدينة المنورة.

٢٢٢- اليوم الآخر في الديانات السماوية والديانات القديمة: يسر محمد، ط (١٤١٢هـ - ١٩٩٢م) مكتبة الغزالي - أدلب.

٢٢٣- اليوم الآخر والحياة المعاصرة: عبدالغني عبود، ط١ (١٩٧٨م) دار الفكر العربي.

٢٢٤- البحث عن منقذ دراسة مقارنة بين ثماني ديانات: فالح مهدي، ط ١ (١٩٨١م) دار ابن رشد للطباعة والنشر - مصر.

فهرس الموضوعات

الباب الأول

الروح في الديانات الكتابية ومن له شبهة كتاب

الفصل الأول

الروح عند اليهود

الفصل الثاني

الروح عند النصارى

الفصل الثالث

الروح عند المجوس

الفصل الرابع

الروح عند الصابئة

الباب الثاني

الروح في الديانات الوضعية

الفصل الأول

الروح في الديانة الهندوسية

الفصل الثاني

الروح في الديانة الجينية

الفصل الثالث

الروح في الديانة البوذية

الفصل الرابع

الروح في الديانة الكونفوشيوسية

الفصل الخامس

الروح عند قدماء المصريين

الفصل السادس

الروح في الفلسفات اليونانية والرومانية

الفصل السابع

الروح عند مشركي العرب

تم الصف والإخراج في
مؤسسة الدرر السنية
nashr@dorar.net
هاتف: ٠٣٨٦٨٠١٢٣
فاكس: ٠٣٨٦٨٢٨٤٨
جوال: ٠٥٥٦٩٨٠٢٨٠